المُحلّمية

هوية عربية .. وجذور أصيلة

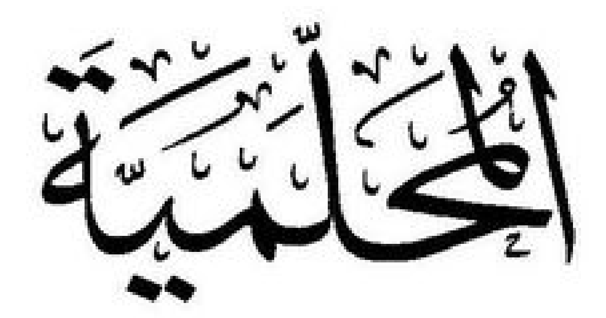
بحث تاريخي موثق في أصول عشائر المُحلّمية

إعداد

حسن إسماعيل   عبد القادر عثمان

راجعه وقدم له

الاستاذ الدكتور سهيل زكار



هوية عربية... وجذور أصيلة

بحث تاريخي موثق في أصول عشائر المحلمية

إعداد

حسن اسماعيل عبد القادر عثمان

راجعه وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دار الملاح للطباعة والنشر

إهداء خاص للأخ
العزيز أحمد أديب الأحمد
عبد الحليم الطبري - قامشلي

المحلَّمِيَّة

هَوِيَّةٌ عَرَبِيَّة... وَجُذُورٌ أَصِيلَة

بحث تاريخي موثق في أصول عشائر المحلَّمِيَّة

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الذين حملوا لواء العروبة مع عشيرتهم من أبناء أمتـــهم العربيـــة، وانتموا إليها بلسانهم وعقولهم ودافعوا عنها قولاً وفعلاً..

إلى المحافظين على هويتهم الأصيلة وانتمائهم العربي منـــذ عشـــرات القرون، الذين قاوموا كل المحاولات ووسائل الضغط لطمس هويتهم القومية أو النيل منها.

إلى أبناء عشائر المُحلّمية أينما حلوا..

إلى أبناء الجزيرة السورية..

نقدم باكورة عملنا هذا..

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل ربِّ زدني علماً)

شغلت بلاد الشام أو سورية دوراً أساسياً في نشوء الحضارة الإنسانية وتطورها، وهناك إجماع بين الكتّاب الكلاسيكيين ثم المسلمين من بعدهم على أن حدود بلاد الشام من الشمال هي سفوح جبال طوروس الشمالية، ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب تخوم مصر وأطراف شبه جزيرة العرب، ومن الشرق سقي الفرات من على الطرفين، وتاريخياً نبع النهران العظيمان: الدجلة والفرات من الهضاب الشمالية المتاخمة لسورية، وبما أن سورية باتت هكذا مسورة من كل جانب عرفت بهذا الاسم، وصحيح أن بعضهم يرى أن الاسم مشتق من اسم آشور، لكن يرجح أن اسم آشور، هذا هو مصدر اشتقاقه، وغالباً ما أطلق الناس على المنطقة التي قامت فيما بين الدجلة والفرات في الشمال اسم الجزيرة.

وعرفت الجزيرة الوحدة الحضارية والبشرية مع بقية أجزاء بلاد الشام، لكنها غدت بشكل واضح منذ القرن الرابع قبل الميلاد أرض صراع بين القوى الإمبراطورية لإيران، والقوى الكلاسيكية الأوروبية التي ظهرت على شكل إمبراطوريات بعد الاسكندر المقدوني، حتى أن نهر الفرات صار نهراً من نار سياسياً، لكن الجزيرة بقيت تتمتع بالوحدة البشرية واللغوية

والحضارية، ونظراً للصراعات الدولية ولأسباب أخرى كثيرة شهدت أراضي الجزيرة مع الشمال الشامي وفود جماعات بشرية متنوعة من الشمال، كلها ذابت مع الأيام واندمجت في الكيان العربي للشام والجزيرة.

وتمتعت الجزيرة بالوقت نفسه بوشائج متينة مع المناطق الجنوبية من بلاد الرافدين، وشهدت استمرار حركة الجولان للقبائل العربية، وكانت أرض الشام والجزيرة والعراق وشبه جزيرة العرب المسرح الرئيسي لحركة الجولان هذه، وقبل انتقال الوضع الاجتماعي للعرب المتجولين من الكتل البشرية الكبرى (الشعوب والجماهر) إلى النظام القبلي، صارت الجزيرة مؤلفة من ديار ثلاث حملت كل واحدة منها اسم كتلة بشرية كبيرة تقسمت فيما بعد إلى مجموعة من القبائل، وهذه المجموعات الكبرى الثلاث هي: مضر، وربيعة، وبكر.

لقد كان هذا هو الحال قبيل ظهور الإسلام، وقد وصلت مؤثرات الإسلام إلى هذه القبائل منذ أيام النبي ﷺ، وظهر هذا جلياً في معركة ذي قار أولاً، ثم في بداية حركة فتوحات العراق ثانياً، حيث أن المبادرة في هذه الحركة جاءت من قبائل شيبان بزعامة المثنى بن حارثة الشيباني، وكان المثنى هو البطل الفعلي لحروب مرحلة الأيام في فتوح العراق قبل القادسية، وهو الذي أعاد إقامة الشخصية العربية الإسلامية للعراق وبعثها إلى الوجود.

وتعدّ قبيلة شيبان إحدى قبائل بكر الرئيسية، وعلى هذا امتد وجودها من جنوب العراق حتى أقصى الشمال حيث عرفت الديار باسم ديار بكر، وما زالت تعرف بهذا الاسم، ومع محافظة قبائل بكر على النظام القبلي، تحولت نحو حياة الاستقرار الريفية، وسكنت في القرى والدساكر.

وفي أيام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ جرى تنظيم الأقاليم الإسلامية إدارياً وعسكرياً، وهكذا جعل من بلاد الشام أربعة أجناد، ومن الجزيرة مصراً قائماً بذاته، أهم مدنه الموصل وريثة نينوى الآشورية، إنما الواصلة الآن ما بين كثير من أقاليم المشرق وبلاد الشام، وهكذا عندما آلت الخلافة إلى الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ، ألحق هذا الخليفة مصر الجزيرة بولاية الشام، الأمر الذي أغضب جند الكوفة، فكان واحداً من الأسباب الرئيسية لحدوث الفتنة الكبرى.

وبعد الفتنة الكبرى، وبيعة الإمام علي ﷺ بالخلافة، تزعمت الكوفة دار الإسلام، وكان عليها أن تخوض معركتها الحاسمة من أجل توطيد هذه الزعامة مع دمشق الشام، فكانت معركة صفين على أرض الجزيرة، وخسرت الكوفة المعركة، وتمزقت قواها بقيام حركة الخوارج وسواها، وأسس معاوية حكم الأسرة الأموية، ومع ذلك ظلت الكوفة تتزعم المعارضة للحكم الأموي في سبيل السيطرة الكاملة على الجزيرة، وهذا واضح تمام الوضوح من خلال الوقائع التي كانت بعد كربلاء ووفاة يزيد بن معاوية، ومجدداً انتصرت دمشق، وأعاد عبد الملك بن مروان تأسيس الخلافة الأموية، ومن الجزيرة زحف على الكوفة فسيطر عليها.

لكن هذا لم يخمد حركات المعارضة، حيث شهدت الكوفة الكثير من الثورات، كما أن أرض الجزيرة صارت مسرحاً لنشاطات الخوارج، الذين كان الكثير منهم من قبائل بكر، وخاصة شيبان، ولذلك ولأسباب أخرى انتقل بلاط الخلافة الأموية من دمشق إلى المناطق القريبة من الجزيرة، حيث أن بلاط عمر بن عبد العزيز كان على سيف البادية الشامية، ثم اتخذ من بعده

هشام بن عبد الملك من الرصافة الجزرية مقراً له، ومن بعده اتخذ مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية مدينة حران الجزرية العريقة مقراً له، وعلى أرض الجزيرة كانت المعركة الحاسمة التي أزالت الخلافة الأموية، وبعد ذلك بأمد وجيز سعى عبد الله بن علي ـ عم الخليفة المنصور العباسي ـ إلى إعادة تأسيس الخلافة الشامية الجزرية فهزمه أبو مسلم الخراساني على أرض الجزيرة، ومن أرض الجزيرة مضى عبد الرحمن بن معاوية ـ صقر قريش ـ حتى الأندلس حيث أعاد تأسيس الحكم الأموي هناك.

ورست مقاليد السلطة للعباسيين في العراق، ومع ذلك ظلت الجزيرة وبلاد الشام تمثل المعارضة للعباسيين، الذين ما أن ضعفوا قليلاً حتى شهدت الجزيرة قيام كيانات شبه مستقلة للقبائل العربية، في الموصل، وميافارقين وآمد، وحران، والرحبة وقلعة جعبر، وتولت هذه الكيانات في غالب الأحيان التصدي الجهادي للبيزنطيين، الذين اجتاحوا في القرن الرابع للهجرة /العاشر للميلاد الثغور الجزرية والشامية، وتوغلوا عميقاً في أقاليم الشام شمالاً وجنوباً، وفي ديار الجزيرة، ولقيام هذا النشاط العسكري البيزنطي، ولما كانت تشهده المناطق الشرقية من ديار الخلافة العباسية ولأسباب متنوعة كثيرة تدفق على الشام الشمالي وعلى أرض الجزيرة مجموعات بشرية من سكان المرتفعات الشمالية الثغرية لجبال الأكراد ومرتفعات أرمينية، وعمل معظم الأكراد في القوات العسكرية، لكن الأرمن كانت أعدادهم أكبر، فوصلت مجموعات منهم حتى إلى مصر حيث شغلوا دوراً سياسياً وعسكرياً مهماً في حياة الخلافة الفاطمية منذ خلافة المستنصر حتى سقوط هذه الخلافة.

وحاول زعيم كردي اسمه باذ السيطرة على الجزيرة، فأخفق، لكن نجح بعض من أقربائه في إقامة حكم أسرة كردية في آمد وميافارقين، ومع هذا كانت هذه الدولة عربية الشخصية من جميع الجوانب، وقد وقفت الموصل بزعامة الحمدانيين أولاً ثم العقيليين في وجه التوسع الكردي وأوقفته، وذاب الأكراد في المجتمع الشامي الجزري، وفي القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد تعرضت بلاد الشام والجزيرة إلى اجتياح القبائل الغُزّية التركية، مما أدى إلى زوال دولة ميافارقين، وكذلك زالت دولة العقيليين وسواها من إمارات الأسر العربية، وشرع التركمان يؤسسون كيانات سياسية خاصة بهم، ونجحوا في تتريك مناطق آسية الصغرى، إنما ذابوا في الجسم العربي في الشام والجزيرة.

وشهدت السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر للميلاد قيام الحروب الصليبية، واستولى الصليبيون على مدينة الرها الجزرية العريقة، لكن هذه الدولة لم تعمر طويلاً، وحرر عماد الدين زنكي الرها، وليس من الغلو القول أنه من الجزيرة والشام الأعلى انطلقت حركة التحرير واسترداد الأرض من الصليبيين، ولولا استيلاء صلاح الدين على الجزيرة والشام الشمالي لما نجح في معركة حطين.

وبعد وفاة صلاح الدين بوقت قصير وصل إلى الجزيرة وأعالي الشام فلول قوات دولة خوارزم شاه، ونشط الخوارزمية لمدة طويلة في الجزيرة وأرض الشام، وهكذا استمرت أراضي الجزيرة مسرحاً لنشاطات القوى العسكرية الوافدة من تركمان، وخوارزمية، ومغول، ثم تركمان، وأرمن وأكراد، وكذلك كرج (جورجيون) وفرنجة، لكن هذا كله لم يغير الملامح العربية الأساسية للجزيرة التي اندمجت كلها مع الشام الشمالي.

إن ما تقدم يبين مدى أهمية البحث في تاريخ الجزيرة، والذي استعرضناه حتى الآن هو بعض الصور السياسية، وبلا شك عندما نستعرض قليلاً من التاريخ الحضاري للجزيرة سوف نشعر بأن هذا التاريخ أكثر أهمية، وبناء عليه اهتممت بهذا الموضوع منذ قيام الإسلام، وقليلاً قبل الإسلام، حيث تملكتني الدهشة تجاه صورة الثراء الحضاري العربي للجزيرة.

ففي حواضر الجزيرة وعلى رأسها: الرها وحران، والموصل، ونصيبين ازدهرت الحضارة العربية بعمق إنساني مدهش، فغنوصية الجزيرة أثّرت على جميع الديانات والعقائد، ومن الجزيرة انتقلت المسيحية إلى الشرق الأقصى، ويعد دستور مدرسة نصيبين أقدم الدساتير التعليمية وأرقاها.

وعانت الجزيرة في أواخر القرن التاسع عشر وطوال القرن العشرين، من خطط مدمرة رعتها مراكز التبشير والاستعمار الغربي، وكان من محصلاتها تدمير السريان العرب لصالح القبائل الكردية في جبال هكاري وبعض مناطق الجزيرة، وتهجير السريان من حواضر الجزيرة، وتقسيم اقليم الجزيرة وتوزيعه بين تركيا والعراق وأخيراً سورية، ونجم عن هذا نتائج خطيرة جداً، منها ما تعرض له الأرمن في بلادهم، ومنها تدفق أعداد كبيرة من الأكراد على الجزيرة السورية من تركيا منذ القضاء على ثورة الشيخ سعيد شيخ النقشبندية، واستقبلت الجزيرة السورية المهجرين من الأرمن، والشركس والأكراد وسواهم ومنحتهم المأوى والأمان، وتعايش هؤلاء مع عرب الجزيرة بسلام ووئام، إنما مع وجود بعض ردّات الفعل الاجتماعية، أو المؤامرات التي رسمت في الخارج ــ كما قلت ــ ومازالت مرسومة.

ومع العالم المتطور الجديد للقرن الحادي والعشرين وعلى الرغم من التمزق السياسي، ينبغي السعي إلى المحافظة على الوحدة الحضارية العربية للجزيرة بمختلف الوسائل، وعلى رأسها الدراسات التاريخية العلمية الجادة، وتأتي الدراسة التي أقدم اليوم لها بين هذه الدراسات، حيث أنها تتناول مجموعة قبلية كبيرة من قبائل شيبان البكرية التي سكنت ديار الجزيرة منذ قرون مديدة، وكان لها دوماً وجودها العربي المتميز والفعّال، وجاء هذا البحث جاداً ملتزماً بالوثائقية إلى أبعد الحدود، مشوباً بعاطفة جيّاشة، لكن من دون تعصب أو انغلاق وتزمت، ذلك أنه على رأس مزايا الأمة العربية الانفتاح الإنساني، ذلك أن العرب كانوا قبل الإسلام حملة مشاعل الهداية الحضارية للبشر أجمعين، وبعد الإسلام حملة رسالة التوحيد، وفي ظل التوحيد الرباني يعيش البشر اخوانا بلا طغيان أو تحكم أو ظلم أو استغلال، مع التمتع بالحرية الكاملة شروعا من العقيدة، ومن مبدأ «لا إكراه في الدين» لن يكون هناك أي نوع من أنواع الإكراه، وهذا ما تحتاجه البشرية الآن، التي تحكمت بها جبرية العولمة الصهيونية المسيحية المتهودة، القائمة على الاستغلال والمبيحة لنفسها سفك دم الآخرين، فقد قام كيان الولايات المتحدة على إبادة الهنود الحمر، وكان عدد الهنود الذين أبادهم المسيحيون المتهودون حتى عام ١٩٠٠ مائة وستة عشر مليونا، وتعمل الصهيونية منذ سنين طويلة على إبادة العرب الفلسطينيين، لكن هذا كله سوف يكون إلى زوال، مثلما كان حال جميع الغزاة المعتدين عبر العصور، ومن هؤلاء الصليبيين في الجزيرة وأرض الشام.

لقد تمتعت بدراسة تاريخ قبيلة المُحلّمية، وشكرت للباحثين جهدهما في الكشف العلمي الموثق عن تاريخ ونسب أبناء المثنى بن حارثة الشيباني وأحفاده، كما أن معارفي تعمقت حول تاريخ ماردين ومنطقة طور عابدين، وزادتني هذه الدراسة إيماناً بضرورة تكثيف الجهود لدراسة تاريخ الجزيرة، ولكم أتمنى تأسيس جامعة كاملة باسم جامعة الجزيرة، تجعل على رأس أهدافها الكشف عن تاريخ هذا البلد العربي الأصيل.

ولسوف تبقى الجزيرة أرض الهداية العرفانية، أرضاً عربية إسلامية، يعيش سكانها في وئام كامل وانسجام، فهذا كان دوماً ما اتسم به سكان الجزيرة عبر التاريخ، وإني أتطلع إلى تطوير هذه الدراسة وأن أسهم في القريب العاجل في دراسة عن جميع قبائل بكر خاصة شيبان وتغلب، ذلك أن المُحلّمية فرع من شيبان.

هذا وإن مثل هذه الدراسات عن تاريخ بعض القبائل هي ظاهرة صحية، ذلك أن دور الإنسان وعبقريته تتقدم على دور الجغرافية، وقد جمع الإنسان العربي في الجزيرة بين عبقرية الإنسان وأصالته وبين أهمية المكان وفضائله، والمجتمع الكبير مجموعة من الوحدات الصغيرة، والوطن العظيم مؤلف من مجموعة من الأقاليم، وتقود معرفة الوحدات الصغيرة بشكل علمي سليم إلى المعرفة الشاملة، فعمليات الإحصاء تبدأ بالأفراد، إنما في الوقت نفسه مرفوضة عمليات التأريخ لتكريس الفئوية والطائفية والقبلية والإقليمية، فالعرب أمة واحدة، وليسوا أمماً، وديارهم وطن واحد على الرغم من التمزقات السياسية، وفجر الوحدة مقبل إن شاء الله عربياً إسلامياً صرفاً، لا شرق أوسط كبير أو صغير، فنحن نعرف اسم الوطن العربي والمشرق

العربي والمغرب العربي، ولا نعرف المسميات الجديدة، ووطننا هو المركز إليه الانتماء ومنه صدرت الحضارات والفلسفات والديانات والعقائد، وإذا كان هو المركز فهو ليس شرقاً منتمياً لأصل هو أوروبا أو سواها.

من الله جل وعلا أسأل التوفيق والسداد وله الحمد والشكر، والصلاة والسلام على النبي العربي محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه ومن أخذ بهداه إلى يوم الدين.

سهيل زكار

دمشق ٢٦ / ربيع الآخر ١٤٢٥هـ

١٤ / حزيران ٢٠٠٤م

مقدمة

لم نفكر يوماً ما أن نكتب موضوعاً تاريخياً شاقاً ومعقداً، كـهذا الـذي أقدمنا عليه، وخاصة لما يتطلبه من بحث وتنقيب، وتفحص ودراية، وتفـرغ وصبر وجهد، ووقت ومال.

وما يتطلبه أيضاً من صدق وموضوعية وأمانة، والتي تُعد مـن أشد العوامل المؤثرة في نفسية أي كاتب، والتي تجعله دائماً يشعر بأنه رهين قوة مؤثرة هي قوة الضمير، هذا الرقيب الذي لازمَنا دائماً في كل مراحل البحث والتنقيب حتى الوصول إلى النتيجة المرجوة.

إلا أن الكثير من الأمور والأسباب استدرجتنا شيئاً فشيئاً حتـى وجدنا أنفسنا نغوص في بحر التاريخ الواسع، فمن هذه الأمور حبنا واعتزازنا بعروبتنا وعشيرتنا ووطننا أولاً، وتطلع الناس البسطاء من أفراد عشيرتنا إلى من ينتشلهم من دائرة الشك والحيرة ثانياً، هذه الحيرة التي لازمتهم منذ ولادتهم، فقد أصبحت قضية الانتماء والمرجعية هاجساً لا بل كابوساً مخيفاً، يجثم على صدورهم، ويضع العثرات أمام مستقبلهم وهم الذين لا حول لـهم ولا قوة، وقد حُرم أغلبهم من نعمة المال والعلم، فظلوا عشرات السنين وهم يبحثون عن بصيص أمل هنا أو طرف خيط هناك لعله يوصلهم إلى الحقيقة.

كما أن هناك إشكال كبير يتعلق بهذه العشيرة بدأ وتبلور منذ قرن كامل، وهو تاريخ الوجود المحلمي في الجزيرة، هذا الوجود الـذي طـرح أسئلة كثيرة، منها ما يتعلق بمرجعية هذه العشيرة وانتماءها.

وكان الجواب ــ وبالرغم من مرور هذه المدة الزمنية الطويلة ــ وكأنه أمراً صعب المنال، فبقي كل شيء على حاله وبقينا جميعاً رهنـــاء الدائــرة المغلقة التي ضُربت حولنا، ولقد سار بنا العمر دون أن نحس، ومضى جيلٌ من المُحلّمية وأجيال قبله، وطال انتظارنا ونفد صبرنا.

وفي مسيرة البحث هذه أوقفتنا محطات عدة كان من أهمها:

أ ــ أثناء إعدادنا لعملنا هذا كنّا حريصين على أن نستطلع آراء أبنـــاء المُحلّمية ــ وخاصة كبار السن منهم ووجهاءهم ــ فيما وصلنا إليه من نتائج فكانت هناك مناقشات وحوارات تتعلق بالمسألة، ولأن الطرف الآخر الـــذي كنا نناقشه ونحاوره لم يكن على درجة واحدة من الثقافة والوعـــي والعلـم. لذلك فلقد صادفتنا نماذج عدة من هؤلاء فمنهم الأمّي، والمثقّف، والبســـيط، والعنيد، ولكل نموذج أسئلته وهواجسه وتخوفاته، فكان تشجيع من طـــرف، وتخوف من طرف آخر.

وكان الجدل والحوار يصل في بعض الأحيان إلى درجة كبـــيرة مـــن التوتر والإنفعال عند الطرف الآخر الذي كنّا نريد إقناعه بعدم صحة رأيـــه وفكرته، وأن ما يقوله لا يستند لأي أدلة تاريخية أو غير ذلك، بل كان سنده في ذلك أمور واهية وهمية تعتمد على عرف موروث مزيف ومغلوط وصل عند البعض مرتبة الاعتقاد واليقين.

وإن أخطر المسائل التي أثارت الجدل واختلفت حولها الآراء هي قضية النسب والمرجعية القبلية، وهي مسألة معقّدة ومتشابكة، وكنّا نعـــرف تمامـــاً أنها المسألة التي ستتعبنا كثيراً، ليس من ناحية المعالجة التاريخية، وإنما من ناحية المعالجة الذهنية، ونقصد هنا معالجة ما في ذهنيتنا من عرف خـــاطئ واجتثاثه واستبداله بحقائق تاريخية مدعّمة بالحجج والبراهين.

ونقول بكل صراحة وجرأة: إن مسألة النسب ليست بالأمر السهل البسيط، لأنها تمس أصول عشيرة كبيرة ذات تاريخ عريق، وإن التلاعب أو اللعب بها يشكّل مغامرة تاريخية، ربما تؤدي إلى نتائج اجتماعية مأساوية غير محدودة.

ومع ذلك لم يكن التاريخ يربكنا، ولكن كان الذي يخيفنا هو الحاضر والمستقبل، ولهذا كنّا مطمئنين إلى ما وصلنا إليه من نتائج حصلنا عليها بشقّ الأنفس، فكان علينا أن نقرأ عشرات الكتب والمراجع حتى نصل إلى معلومة مهمّة قد لا تتجاوز السطر الواحد، وحينما أنجزنا هذا الكتاب كنّا قد اطّلعنا على أكثر من ثلاث مئة مصدر ومرجع.

ومع هذا الزخم الهائل من العمل والبحث والتنقيب كنا نسير بسرعة، لأن الكثيرين من أبناء المحلمية كانوا ينتظروننا، وخاصة البسطاء منهم الذين وضعوا أحلامهم بين أيدينا وملكونا أفراحهم وأحزانهم وهم ينتظرون لحظة ولادة هذا الكتاب، وكانوا يخشون من أن يكون الحمل كاذبا، بينما كان آخرون يلاحقوننا، وخاصة ممن كانوا ينتظرون منا أن نطلق رصاصة الرحمة على نسبنا الضائع في كهوف ودهاليز التاريخ المظلمة.

ومع كل ذلك فإن أكثر ما كان يتعبنا ويقلقنا ويجعلنا نصل إلى درجة الإحباط واليأس بعضا من أولئك الذين نحن منهم وهم منا، والذين طحنوا التاريخ كله وعجنوه، وصنعوا منه سيفا من خشب وحصانا وفارسا، ثم يريدون بعد ذلك أن يتحول هذا السيف الخشبي إلى سيف أسطوري.

فكنا أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن نحطم آمال أبنائنا المحلميين ونحطم التاريخ والحقيقة مع آمالهم تلك، وإما أن نحطم أوهام أولئك الذين

حملوا هذا السيف الخشبي وظنوا أنه سيف أبي زيد الهلالي زوراً وبـــهتاناً. وبتعبير آخر لقد وجدنا أنفسنا أمام تيارين من المُحلّمية:

١ ـ تيار من جيل الشباب المثقف الواعي الذي لم تعد تخدعه المظاهر والأكاذيب، ولم يعد يقنع بالأمور إلاّ إذا كانت مدعّمةً بـــالحجج والثبوتيـــات التاريخية، فهو يعيش في عصر العلم والمعرفة.

فقد كان هذا التيار على قناعة تامة من أن نسب المُحلّمية إلى بني هلال تنقصه الأدلة التاريخية، وأن هذا الأمر قد استند إلى نظرية هشّة، تفتقر إلى الأدلة والموضوعية والدقة، لذلك فإن هذا التيار كان يدعم كـــل المحـــاولات التي من شأنها أن تساهم في عملية البحث والتنقيب عـــن الجـــذور وكشـــف الحقيقة، وهؤلاء هم الذين حمّلونا آمالهم وأحلامهم وراهنوا على نجاح عملنا هذا.

٢ ـ وتيار آخر يمثل الجيل الذي ساهم بشكل أو بـــآخر بصنـــع هـــذه الخرافة، والتي تحولت فيما بعد إلى معضلة تاريخية معقّدة، ووضـــع نفســـه والعشيرة من جراء ذلك في نفق ليس فيه بصيص ضوء، وتراه على الرغـــم من ذلك يعاند ويكابر ولا يقبل إلا بهذه الخرافة التي اخترعها وصدّقـــها، ولا يريد أي شيء، بدلاً عنها.

وأصحاب هذا التيار هم الذين أوهموا الآخرين بأنهم قد ركبوا خلف أبي زيد الهلالي وهم يمتطي فوق صهوة جواده وبيده ســـيفه البتّـــار، وأوهمـــوا الآخرين بأنهم ورثة ذلك الذي حمل السيف، فتراهم مكابرين مزاودين علـــى الرغم من أنهم على علم تام بأن السيف الذي حملوه ليـــس إلا مـــن صنـــع أوهامهم وهو خشبي يجب أن يتحطم على صخرة الحقائق والأدلة التاريخية.

كذلك آثرنا أن ننطق بالحق والحقيقة مهما كانت، ولقد وجدنا أن الحقيقة التي كشفت لنا أننا من أحفاد شعب هم من العظام حقاً، وهم الذين ذكرتهم كتب التاريخ كلها لأنهم يستحقون منه ذلك.

فلم يكن تاريخهم هذه المرة من صناعة رواة ابتدعوه فأوجدوا فيه بطولات خارقة وشخصيات وهمية أسطورية وسيوف لا تقهر، وإنما هي أمجاد ومعالي حملتها بطون الكتب، ووثقتها أقلام المؤرخين.

ب ـ وهناك مشكلة أخرى واجهتنا، وهي قلة المصادر التاريخية الحديثة التي تتحدث عن منطقة الجزيرة السورية وتاريخها وعشائرها وغير ذلك.

فإذا كان هناك بعض الكتب التي تختص بالحديث عن قبيلة أو عشيرة ما، فإن هذه الكتب لا ترقى إلى مرتبة (المؤلفات التاريخية)، وإنما هي أشبه (بكتب الاحصاء) والتي تتحدث فقط عن العشائر وأفخاذها، ومناطق سكناها وأسماء ومسميات، وصور وقصص محلية أو غير ذلك.

وبعبارة أخرى فإن هذه الكتب (تصف حالة راهنة) وهي (وصفية) أكثر منها موضوعية، فهي لا تبحث عن الواقعة التاريخية وتحلّلها لتصل إلى نتيجة واضحة.

لذلك نستطيع القول بأن منطقة الجزيرة السورية تحتاج إلى وضع دراسة تاريخية علمية وموضوعية عنها، ربما لا يستطيع كاتب بمفرده أن ينجز هذا العمل الكبير والشاق، وهذا الأمر يحتاج إلى جهود جماعية، أو قل لجنة بحث كاملة متكاملة لإنجاز هذا الموضوع.

ولقد أطلعنا على كتب تاريخية حديثة تتناول تاريخ منطقة معينة ككتاب (مدينة ماردين) لحسن شميساني وكتاب (تاريخ الموصـــل) لمؤلفــه سـعيد ديوجي وغيرهم ووجدنا أن كتاباً عن الجزيرة بوزن هذه الكتب يبحث فـــي منطقتها وتاريخها، ويتناول المراحل التاريخية كلّها ــ والتي تمتد إلى أكــثر من ثلاثة آلاف سنة وربما أكثر ــ سيكون له الفائدة الكبرى بأن يبقى مرجعاً تاريخياً هاماً لهذه المنطقة التي هي جزء من منطقة أكــبر هــي الجزيــرة الفراتية، والتي تضم ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر وغيرها، أضف إلى ذلك أن هذه المنطقة قد شهدت الكثــير مــن الحضــارات، ودارت حولــها الصراعات والحروب، وهو الأمر الذي يزيدها أهمية ومكانة.

ج ــ وهناك نقطة أخرى وقفنا عندها كثيراً وهي قضيـــة (الـــهيكليات العشائرية)، وربما هناك سائل يسأل: وما هدفنا من وراء الحديث عنها؟

ولعل أحداً ما قد يفهم هذا الأمر بشكــل معــاكس لمــا فـهمناه نحـن وطرحناه، ولذلك يجب توضيح هذه النقطة بالذات لإزالة أي غموض، خشية الوقوع في مغالطات أو التباس.

فطَرْحنا هذا يقوم على أساس التفريق ما بين (الـــهيكليات العشائريــة) وبين (القبلية والعشائرية) نفسها، فنحن تحدثنا عن تطوير (الهيكلية) فقط ولم نطالب بإلغاء دور (القبيلة أو العشيرة) في مجتمعنا الجزري، بل نريد له أن يتطوّر ويُحدَّث ويُعطى قيمة حضارية اجتماعية أكبر، ولكي نستطيع أن نفعل شيئاً نحو ذلك فعلينا إذاً أن نفكر بتطوير (الهيكلية العشائريـــة) وذلــك بـأن نحولها من (نموذج ثابت) إلى (نموذج متحرك متطور).

وإن لم نفعل ذلك فإن الحديث عن تفعيل دور العشيرة والقبيلة يصبح كما يقال حبراً على ورق.

ولنسأل بدورنا ما هي حاجة الفرد للقبيلة أو العشيرة في وقتنا الراهن؟

وهل هي حاجة ضرورية أم هي كمالية؟ وهل هي مادية أم معنوية؟

في الواقع وعلى ضوء الحقائق والوقائع نستطيع أن نقول: إن حاجة الفرد للعشيرة في الوقت الراهن هي حاجة (معنوية كمالية) وليست حاجة (ضرورية مادية) فالعشيرة اليوم لم تعد قادرة على شغل دورها القديم والذي تنازلت عنه للدولة وفق المفهوم الحديث للجماعة المنظّمة.

فهي لم تعد تستطيع حماية أفرادها، وليست قادرة على حماية أمنهم وممتلكاتهم، ذلك أن هذا الدور قد أُنيطت مسؤولياته بالدولة التي أصبحت راعية وحامية لمواطنيها، فالدولة هي التي تقوم بدور المدافع والراعي لحقوق ومصالح أفرادها في شتى أنحاء العالم.

كما إن العشيرة لا تستطيع أن تؤمن لأفرادها الضرورات المادية لهم من مأكل ومشرب ومياه، ومستلزمات الحياة الأخرى، ذلك أن الدولة قد أُنيط بها أيضاً مسؤولية القيام بهذا الدور، وأصبح بالتالي (أبناء العشيرة) مواطنين من رعايا الدولة، لهم حقوق وعليهم واجبات يحددها دستور ينظم العلاقة بينهم.

إذن ما هي الخدمة المادية التي تستطيع أن تقدمها العشيرة اليوم لأبنائها؟

تستطيع أولاً تقديم أصل الهوية والانتماء على الرغم من أن علاقة الفرد بالعشيرة أصبحت علاقة معنوية ليس أكثر، لأن العشيرة أصبحت عاجزة وغير قادرة على تحقيق أي شيء للفرد سوى حاجة معنوية تقدّم للمرء

وهذا ليس كل شيء، إنها مجرد فاتحة نختمها بتقديم الشكر إلى جميع الذين أيدونا وآزرونا بقلوبهم ولسانهم العربي، ووقفوا معنا مشجعين ومؤيدين، يحثوننا على المثابرة والمضي في عملنا هذا.

كما نشكر كل الذين ساهموا معنا في إعداد هذا المؤلف بما قدموه لنا من خدمات وتسهيلات مرجعية ومكتبية.

ولكل من ساهم معنا في هذا العمل من أبناء العشيرة أو غيرهم قولا وفعلا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى العربي الأصيل وعلى آله وأصحابه أجمعين.

القامشلي ـ ٢٠٠٤/٦/٣٠

حسن اسماعيل ـ عبد القادر عثمان

ـ دليل البحث وخطته ـ

مدخل

الفصل الأول

التوزيع الجغرافي للمُحلَمية.. ونسبهم

أولاً: بني مُحلَم.. النسب والجذور

ثانياً : السكن والاستقرار

الفصل الثاني

الشيبانيون.. ومكانتهم التاريخية

أولاً: في أطراف الجزيرة العربية.. والعراق

ثانياً: الشيبانيون ومباشرة فتوح العراق

ثالثاً: انسياح شيبان نحو الجزيرة واستقرارهم بها

رابعاً: الشيبانيون في الجزيرة الفراتية.

خامساً: اسهام بني شيبان.. في حركة الخوارج في الجزيرة

الفصل الثالث

بنو مُحلَم.. بين الأمس واليوم

أولاً: لمحة تاريخية عن أسباب تراجع الشيبانيين

ثانياً: ديار المُحلَمية

الفصل الرابع

قوة التكوين المُحلَمي العربي

مدخل

قد يخيل لبعضهم للوهلة الأولى أن البحث في مادة تاريخية تتعلق بالأصول القبلية والعشائرية مسألة لم تعد ذات شأن في هذا العصر الذي نعيش فيه، والذي تسير فيه الإنسانية برمتها نحو شمولية الانتماء الكوني ووحدة القرية الكونية الواحدة بسبب ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية من تقدم ورقي وازدهار.

إن هذا الأمر لا يُنظر إليه في الحقيقة من هذه الناحية، لأن هناك جملة من المعايير تجعل من مسألة البحث في الجذور والأصول ضرورة لابد منها وخاصة إذا كانت طريقة البحث ذاتها تقوم بأدوات معرفية حديثة وأساس علمي، ومن هذه المعايير ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومن المعايير العامة نذكر:

* **أولاً:** إن مسألة الانتماء القومي لازالت مسألة مهمة وحيوية في حياة الناس والشعوب، إذ على أساسها تقوم الدول وترسم الحدود، وهي قضية حيوية ونشطة، قد تصنع السلم أو الحرب أحياناً في مناطق عدة من العالم.

* **ثانياً:** إن المجتمع يقوم بالأساس على بنية اجتماعية وتركيبة نسبية تستند إلى معايير ومكونات القبيلة والعشيرة، وإن الجغرافية البشرية العربية كانت ومازالت ترسمها حدود القبائل والعشائر العربية المنتشرة في سائر أنحاء الأرض العربية.

• **ثالثاً:** إن التكوين الاجتماعي الإنساني يقوم برمته على تنوع الشعوب والقبائل الإنسانية، وهو الأمر الذي عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة: (**إنّا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**).

وقوله جل وعلا: (**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**).

أصدق تعبير وأدق رؤية، وهذا يؤكد على أن قضية التنوع الاجتماعي الإنساني هي قضية واقعية وموضوعية قائمة وموجودة على الرغم مما وصلت إليه درجة التطور والوعي الإنساني، والذي لا يستطيع أن يلغي وجود هذه القضية أو الحد منها.

مع العلم أن هذا التنوع ذاته لم يكن يوما ما أساسا تقوم عليه أفضلية شعب أو قبيلة على أخرى، لأن الجميع منطو تحت مقياس واحد، هو مقياس التقوى والعمل الصالح، وحسن المعاملة وحسن الجوار، لكن يمكن للتراث القبلي أن يسهم كأداة رقابة اجتماعية في مكارم الأخلاق، وفي تماسك المجتمع الوطني المؤلف من وحدات هي القبائل والعشائر والأسر.

رابعا: إن منطقة الجزيرة السورية تتميز بخصوصية معينة، وهي وجود تنوع اجتماعي قبلي وعشائري يشكل لوحة فسيفسائية عربية سورية.

اجتماعية جميلة، حيث تعيش وتتجاور عشرات القبائل والعشائر والطوائف والملل في منطقة واحدة.

هذا النسيج الاجتماعي له أثره في التكوين الفكري والحضاري في هذه المنطقة، الأمر الذي يجعل من مسألة البحث عن الانتماء الى عشيرة أمرا لا غنى عنه وضروري جدا.

تلكم كانت أهم الدوافع العامة التي دفعتنا للقيام بهذا العمل إلا أنه كان هناك دوافع ومسوغات خاصة تتعلق بعشيرة المُحلّمية، ومن هذه الدوافع:

• أولاً: لقد وقع الكثيرون من أبناء هذه العشيرة في الجزيرة السورية في غلط تاريخي كبير وفادح حينما ألحقوا هذه العشيرة ونسبوها خطأً إلى قبيلة بني هلال العربية، وذلك لأسباب عدة سنعمد إلى بيانها بالتفصيل لاحقاً في كتابنا هذا، ولقد خصصنا لذلك فصلاً بأكمله.

وإن هذا الغلط التاريخي المتراكم قد ترك بصماته الواضحة على الوضع العام لهذه العشيرة، والتي لم يستطيع أحد ما أن يثبت مرجعيتها العشائرية تلك تاريخياً، ولا شك في أن هذا (الغلط) أو (الخطأ) قد شكل (عرفاً تاريخياً) خاطئاً بالنتيجة تناقله الناس وشاع أمره.

ولقد قمنا بعمل جاد وبحث دؤوب وبشكل موضوعي ونزيه حتى استطعنا أن نصل إلى المستند التاريخي والأدلة التاريخية التي تؤكد المرجعية القبلية الصحيحة لهذه العشيرة، وقد حللنا أسباب ذلك الخطأ التاريخي وآثاره، ومع ذلك نحن على دراية تامة وأمل بأن هذا الكشف ستكون له آثاره ونتائجه الإيجابية الكثيرة والكبيرة على الوضع العام لهذه العشيرة.

وفي كل الأحوال فإن ما يهمنا هو الحقيقة، والواقع المدعم بالمستندات التاريخية الموثقة، والتي أوصلتنا إلى غايتنا الأساسية وهي تحديد الانتماء والهوية لهذه العشيرة المترامية الأطراف.

ولقد أفردنا فصلاً كاملاً لبيان تفاصيل ذلك.

• ثانياً: مما لاشك فيه أن موطن الاستقرار الرئيسي والأصلي لعشيرة المُحلّمية، هو ما كان يعرف قديماً باسم ديار ربيعة وبكر والتي يقع معظمها حالياً ضمن حدود الدولة التركية حيث ما تزال عشرات البلدات والقرى

(المُحلَمية) منتشرة في تلك المناطق وما تزال مأهولة بالسكان حتى وقتنا الحاضر. ومن هناك قدم أبناء العشيرة الموجودون حالياً في سورية والعراق ولبنان، وكان قدومهم مع بدايات القرن العشرين حيث استقر معظم هؤلاء الوافدين في منطقة الجزيرة السورية.

وإن هذا الأمر قد أوجد (حالة انقطاع وشبه قطيعة تاريخية) ما بين أفراد العشيرة الواحدة، قد تركت آثارها السلبية على الوضع العام للعشيرة تمثل في نواحٍ عدة من أهمها:

أ ـ إن مرور زمن طويل على هذه القطيعة التاريخية والجغرافية بين أفراد العشيرة الواحدة الموجودة في دول عدة مختلفة عربية وغير عربية (تركية) قد فرض على كل تجمع عشائري مُحلَمي ظرفاً داخلياً خاصاً به، ووضعاً اجتماعياً معيناً جاء نتيجة منطقية لهذا الظرف، وأدى كل ذلك إلى تكريس هذه القطيعة وتقوية عوامل القسمة والفرقة ما بين أبناء العشيرة الواحدة، ولقد وصل هذا الخطر إلى حد انصهار بعض أفراد هذه العشيرة في المجتمع الذي تعيش فيه، حيث فقدوا انتماءهم العشائري في مكان، وفقدوا اسمهم (المُحلَمي) في مكان آخر، كما نجد ذلك ظاهراً في لبنان حيث يعيش أبناء هذه العشيرة، ولقد خصصنا فصلاً لبيان وضع أبناء العشيرة هناك.

ب ـ لقد تعرض أفراد العشيرة الذين ما زالوا يستقرون في بلد الاستقرار الأصلي وأعني به (تركية اليوم) تعرضوا للكثير من الضغوط السياسية والاجتماعية و الاقتصادية، والتي فرضتها سياسة العثمانيين أولاً ومن بعدهم سياسيات (التتريك) عليهم ثانياً.

ومن أشكال تلك السياسة إبدال الهيكلية العشائرية (بنظام البكات) وفرض اللغة التركية، وتغيير أسماء البلدات والقرى (المُحلَمية)، وعملية

الدمج السكاني والاجتماعي والثقافي في المجتمع التركي، ومنع ارتداء الزي العربي في تلك المناطق.

وإن كانت هذه السياسة قد استطاعت تغيير (المظهر العشائري) إلا أنها لم تفلح ولم تستطع محو الهوية العربية ونزعها من أبناء هذه العشيرة، ولم تستطع في الوقت نفسه طمس انتماء هذه العشيرة لعروبتها الأصلية فظل (المُحلّميون) هناك محافظين على عروبتهم ولغتهم وعاداتهم حتى يومنا هذا، وإن ذلك ليشكل دليلاً قاطعاً على قوة انتماءهم العربي وأصالتهم.

ج ـ أما الذين وفدوا إلى الجزيرة السورية من أبناء هذه العشيرة، فقد وجدوا أن المحيط الاجتماعي مختلف ومتنوع عما كانوا عليه في منطقة عيشهم الأصلية، فالجزيرة السورية يعيش فيها عشرات العشائر العربية وسواها، وهكذا استطاعت المجموعات الوافدة أن تؤلف فيما بينها وحدة عشائرية اجتماعية ثقافية واحدة انتمت إلى المجموعة العربية وانحازت إليها في مواقفها، إلا أنها قد عانت من فقدان الانتماء القبلي حتى وقعت في أغلاط تاريخية بسبب ذلك.

إن هذه الأوضاع جميعها قد ساهمت بشكل أو بآخر في تكريس القطيعة والانقطاع بين أبناء العشيرة الواحدة المترامية الأطراف في بلدان عدة، وإن هذا الانقطاع بين الأصول والفروع كانت له آثاره السلبية على العشيرة ككل، والتي أصبحت مثار تساؤل وجدل حول انتماءها وأصولها.

كل ذلك جعلها محلاً للجذب تطمع فيه بقية العشائر غير العربية والطوائف الأخرى نظراً لما تتحلى به هذه العشيرة (كمجموعة وأفراد) من صفات أخلاقية واجتماعية متميزة تعود في أصولها إلى الفضائل والمكارم

العربية، وأيضاً لما تشكله هذه العشيرة من قوة هامة، ونفوذ اجتماعي جيد في هذه المنطقة.

وجعلتنا كل هذه الأمور نأسف ونتوجع لما وصلت إليه حالة هذه العشيرة، الأمر الذي دفعنا لإنجاز هذا العمل، وأضحى من الواجب علينا وضع دراسة تاريخية وبحث تاريخي متكامل، وبأدوات معرفية حديثة نتناول فيه أوضاع هذه العشيرة المترامية الأطراف.

وذلك من أجل التعريف بهذه العشيرة العربية ذات الانتماء الأصيل، ومن أجل التعرف على جذورها وأصولها وعاداتها العربية الأصيلة.

والعمل في الوقت نفسه على دحض كل الافتراءات المتراكمة، والتي كان من شأنها وما يزال النيل من متانة هذا الانتماء الأصيل، وذلك بغية إلحاقها ودمجها في مجموعات أو عشائر أخرى.

وحتى نصل إلى هدفنا وغايتنا هذه فقد آلينا على أنفسنا ــ بل وكان لزاماً علينا ــ أن نسلك أسلوب المنهج العلمي التاريخي، والذي قادنا إلى الرجوع إلى مئات المصادر والمراجع التاريخية المتنوعة القديمة والحديثة وإلى العديد من الدراسات السكانية والاجتماعية لإعداد هذا المؤلف الذي نبين فيه نسب عشيرة المُحلّمية وانتماءها القبلي، والذي يتضمن الرد على جميع الكتّاب والمؤرخين الذين تناولوا عشيرة المُحلّمية في كتبهم بشكل غير علمي، وجاء هذا الرد بأسلوب علمي وموضوعي ومنطقي يدحض مزاعمهم وأقوالهم وآراءهم وما وصلوا إليه من نتائج واهية بهذا الخصوص.

آملين من المولى القدير عز وجل أن يوفقنا في عملنا هذا.

والله من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

التوزع الجغرافي للمُحلَّمية.. ونسبهم

ـ أولاً ـ

بني مُحلَّم.. النسب والجذور

(١)

ليس العرب فقط هم سكان الصحارى والقفار والأرض المجدبة التي لا ماء فيها ولا نبات، بل هم سكان الوطن العربي على امتداده الواسع، ويرجُح أن كلمة عربي التي ظهرت قبل خمسة آلاف عام، مشتقة من الماء، وأصل العرب في موطنهم العربي الكبير، وبات من غير الممكن القبول بفكرة أن شبه جزيرة العرب هي الوطن الأم للأمة العربية، ومع هذا نساير الآن علماء الأنساب العرب فيما ذهبوا إليه وقالوه بعد مجيء الإسلام، حيث قد قسم المؤرخون والنسابون العرب إلى ثلاثة أقسام بحسب السلالات التي انحدروا منها وهي:

١ ـ **العرب البائدة**: وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم مثل: عاد، وثمود، وجشم، وجديس، وعملاق وسواهما، ولكن من الممكن مطابقة بعض المكتشفات الأثرية حولهم.

٢ ـ **العرب العاربة**: وهم العرب ـ كما قال بعضهم ـ الذين انحدروا من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان، واسمهم العرب (القحطانية) أو الجنوبية.

٣ ـ **العرب المستعربة**: وهم الذين من صلب (إسماعيل عليه السلام) وعرفوا بالعرب العدنانية أو الشمالية.

ووفقاً لما جاء عند الإخباريين والنسّابين كان موطن شعب قحطان بلاد اليمن، وقد تشعبت قبائلها وبطونها واشتهرت منها قبيلتان:

١ ــ حمير: وأشهر بطونها: قُضَاعة.

٢ ــ كهلان: ومنها هوازن، وأنمار، وطي، ومذحج، وكنـــدة، ولخـــم، وجذام، والأوس والخزرج.

وأما العرب المستعربة فأصل جدهم الأعلى هو سيدنا إســماعيل عليــه السلام من بلاد العراق ومن بلدة يقال لها (آر) على الشاطئ الغربي من نهر الفرات بالقرب من الكوفة وولد لإسماعيل قيذار، وولد منه عدنان، ووُلد معد، ومنه نزار التي حفظت العرب العدنانية انتسابها، وعدنان هو الجد الحـــادي والعشرين من سلسلة النسب النبوي الشريف، وقد ورد أنه صلـــى الله عليــه وسلم كان إذا انتسب فبلغ عدنان فأمسك ويقـــول: «كـــذب النسّـــابون» فـــلا يتجاوزه[1].

ولقد تفرقت بطون معد بن نزار، وقيل إنه لم يكن له ولد غيره، فكـــان لنزار أربعة أولاد تشعبت منهم أربعة قبائل عظيمة هـــي: إيـــاد، وإنمـــار، وربيعة، ومضر، وهذان الأخيران (ربيعة ومضر) هما اللذان كثرت بطونهما وانشقت أفخاذها فمن ربيعة: أسد بن عنزة، وعبد القيس، وأبناء وائل وهـــم بكر وتغلب.

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين هما: قيس عيلان، وإلياس بن مضر، فمن قيس عيلان: بنو سليم، وهوازن، ومن إلياس بن مضر: تميم، وهذيل، وبنو أسد. ولما تكاثر أولاد عدنان تفرقوا في أنحاء شتى من بـــلاد العرب متتبعين مواقع الماء ومنابت العشب.

---

(١) : انظر تاريخ الطبري ــ دار المعارف (١٩٦٠) ــ ج٢، ص١٠٩١.

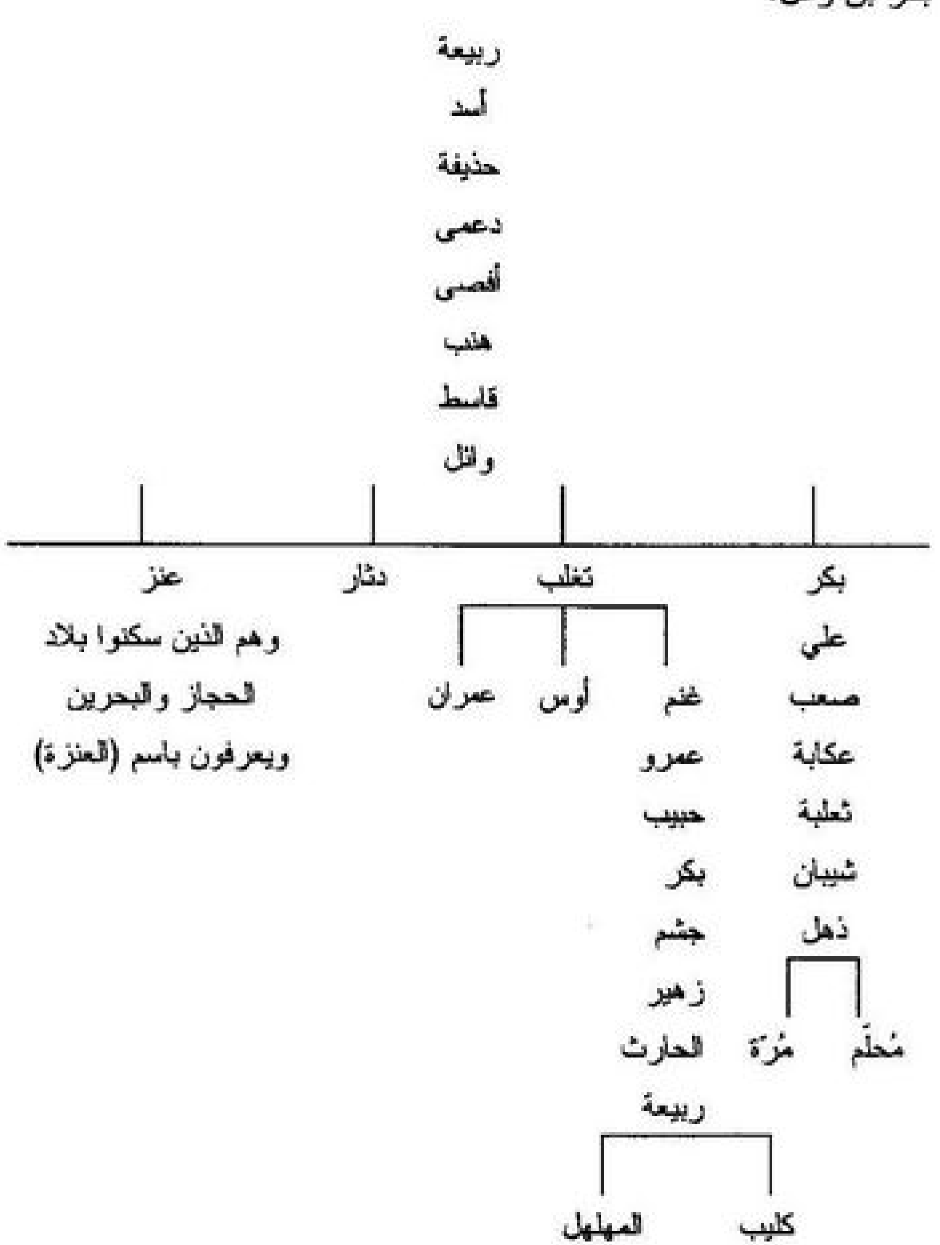
فهاجرت عبد القيس وبطون من بكر بن وائل وبطون من تميم إلى البحرين فأقاموا بها، وخرجت بنو حنيفة بن صعب بن علي بن بكر إلى اليمامة، وأقامت سائر بكر بن وائل في طول الأرض من اليمامة إلى البحرين فأطراف سواد العراق، وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية مع بطون من بكر، ومن هذه البطون (البكرية) كان بني شيبان ومنهم بنو مُحلِّم (المُحلَّمية).

(٢)

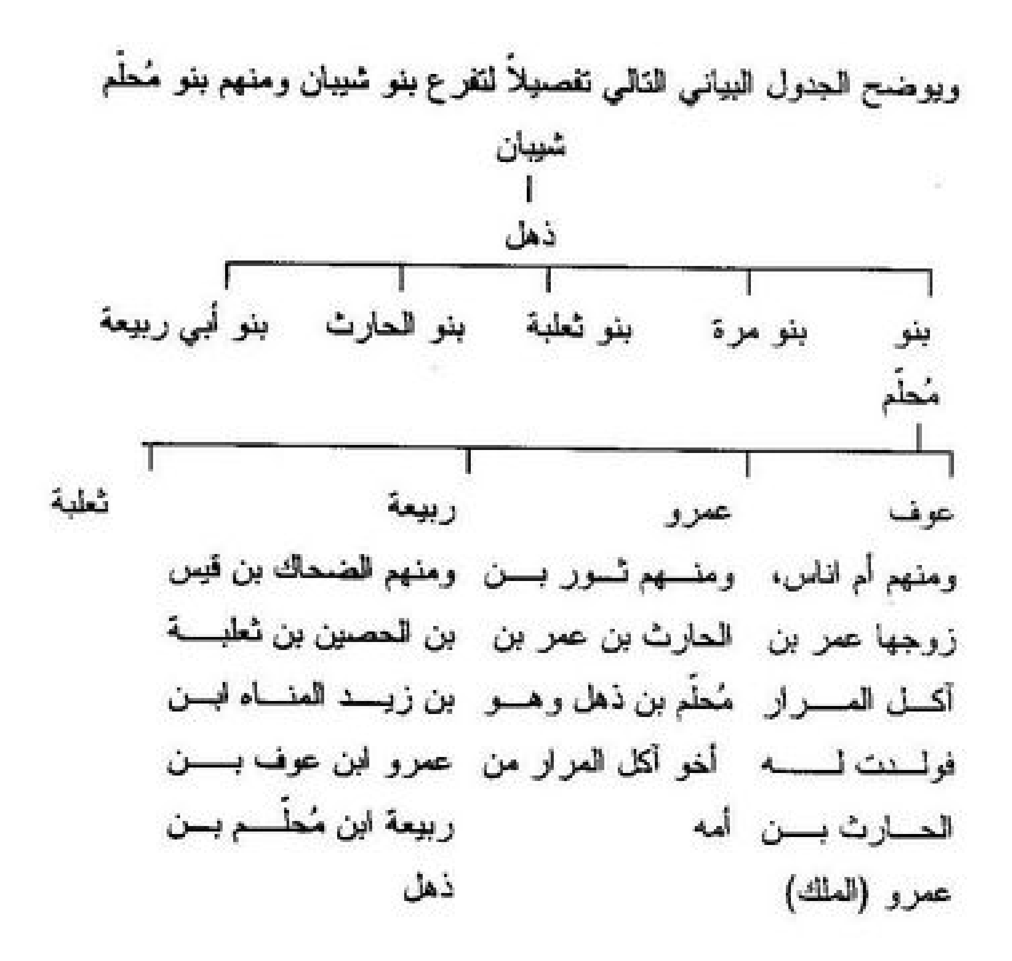
نسب المُحلَميَة ـ بنو مُحلَم

ينسب المُحلَمية إلى (مُحلَم) بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة، وعليه فإن عشيرة المُحلَمية أو بنو مُحلَم ترجع في أصولها إلى بني شيبان بن بكر بن وائل بن ربيعة، وهي إحدى القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، واستقرت في تهامة، كما استقر بطن منها في سواد العراق، ومن هناك امتدت مساكنها إلى الجزيرة الفراتية والتي عرفت مناطقها هناك باسم ديار بكر.

ويوضح الجدول البياني التالي تفصيلاً يبين فيه (تفرع) بني مُحلّم عن بكر بن وائل.



ويوضح الجدول البياني التالي تفصيلاً لتفرع بنو شيبان ومنهم بنو مُحلّم



(النسب مأخوذ من جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ـ ط. دار الكتب العلمية بيروت ـ ١٩٩٨ ـ صفحة ٣٢٢).

النسب المُحلّمي وفق رواية ابن الكلبي المنشور في كتاب «جمهرة الأنساب»

ذكر ابن الكلبي في «جمهرة الأنساب» نسب ربيعة وفق ما يلي:

ولد ربيعةُ بن نزار بن معد بن عدنان: أسداً، وقبيصة، وعمراً، وأكلب.

فولد أسدُ بن ربيعة: جديلةَ.

فولد جديلة بن أسد: دعمياً، وجدياً.

فولد دعمي بن جديلة: أفصى، وأشيبا.

فولد أفصى بن دعمي: هنباً، ولكيزاً، وعبد القيس، وجشم.

فولد هنب بن أفصى: قاسطاً.

فولد قاسطاً بن هنب: وائلاً، ومعاوية.

فولد وائلُ بن قاسط: بكراً، ودثاراً، وتغلب، والحارث.

فولد بكر بن وائل: علياً ويشكر، وبدناً.

فولد علي بن بكر: صعب، ودهراً، وسهراً، وخالداً.

فولد صعبُ بن علي: عكابة، ولجيم، ومعاوية.

فولد عكابة بن صعب: ثعلبة.فولد ثعلبة بن عكابة: شيبان، وذهلاً، وقيساً، والحارث.

فولد شيبان بن ثعلبة بن عكابة: ذهلاً.

فولد ذهل بن شيبان مُحلّماً، ومُرّة، وابا ربيعة، والحارث.

وولد مُحلّم بن ذهل بن شيبان: عمراً، وعوفاً، وثعلبة، وأبا ربيعة بن مُحلّم.

وولد عوف بن مُحلّم: أبا عمرو، ومالكاً، وأم أناس.

وولد عمرو بن مُحلّم: الحارث، وسعداً، ووائلة، وعبد يغوث، وصبيرة، وأمهم بنت قتان من النمر.

فمن بني عمرو بن مُحلّم: ثور بن الحارث بن عمرو، وهو أخو الحارث الملك بن عمرو بن آكل المرار من أمه.

ومن ولد ثور: البطين الخارجي.

ومن بني ربيعة بن مُحلّم: الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد مناه بن أبي عمرو بن عوف بن ربيعة بن مُحلّم الشيباني.

هؤلاء بنو مُحلّم بن ذهل.[1]

ولقد عرف السمعاني في كتابه «الأنساب» المُحلّمية والنسب إلى مُحلّم حيث ذكر:

المُحلّم الشيباني، وهو مُحلّم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة.. يُكنى أبا عمر ويعني هماماً.

والمُحلّمي: بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد اللام.[2]

ولقد جاء في كتاب «بنو شيبان» لمؤلفه محمود عبد الله العبيدي: «كما تفرعت قبيلة بكر بن وائل إلى عدة فروع تفرعت بنو شيبان إلى فروع عدة أيضاً أبرزها بنو مُحلّم وبنو الحارث وبنو أبي ربيعة وبنو مرّة.

---

(١) انظر جمهرة الأنساب لابن الكلبي ــ ط. دمشق ١٩٢٢ ــ ج٢ ــ صفحات (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) انظر كتاب الأنساب للسمعاني. صفحة ٢٤٣.

وبنو مُحلّم: ينتسبون إلى مُحلّم بن ذهل بن شيبان وتفرعوا إلى عدة فروع عوف وعمرو وربيعة وأبي ربيعة وثعلبة».[1]

ثم أضاف: «ومن رجالات هذا الفرع التي اشتهرت بالوفاء والكرم عوف بن مُحلّم الذي ضرب به المثل القائل: «لا حرٌ بوادي عوف» ومنهم ثور بن الحارث بن عمرو بن مُحلّم وهو أخو الحارث لأمه».[2]

كما عرف الحازمي الهمذاني في كتابه (عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب) النسبة إلى مُحلّم فقال: «والمُحلّمي منسوب إلى مُحلّم بن ذهل بن شيبان بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل»[3]

وقال أيضاً: «وبنو مُحلّم ينسبون إلى مُحلّم بن ذهل بن شيبان».[4]

وهكذا فإننا نلاحظ في كل ماذكرناه من نسب المُحلّمية أو بنو مُحلّم ما يلي:

١ ـ إن المُحلّمي نسبه إلى مُحلّم بن ذهل بن شيبان، والذي يعرف بمُحلّم الشيباني.

---

(١) انظر كتاب بني شيبان لمحمود إبراهيم العبيدي ـ ط دار الحرية بغداد ـ ١٩٨٤ ـ صفحة ٣٩.

(٢) انظر كتاب بني شيبان ـ لمحمود ابراهيم العبيدي ـ ط دار الحرية بغداد ـ ١٩٨٤ ـ صفحة ٣٩.

(٣) انظر كتاب عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ـ الحازمي ـ ط القاهرة ١٩٦٥ صفحة ١١١.

(٤) المرجع نفسه. صفحة ١١١.

٢ ــ إن نسبة المفرد إلى (مُحلّم) هي (مُحلّمي) بضم الميم وتشديد اللام، ونسبة الجماعة إلى مُحلّم هي (المُحلّمية)، أو حسب مـا أوردتـه المصـادر التاريخية هي (بنو مُحلّم)، أو (آل مُحلّم)، وعرفوا باسم المُحلّمية.

٣ ــ إن مُحلّم ومُرّة وغيرهم من أولاد ذهل بن شيبان يعرفون باسم بنو شيبان أو الشيبانيون.

٤ ــ يرجع الشيبانيون إلى بكر بن وائل القبيلة العربية الكبيرة.

٥ ــ يرجع البكريون والتغلبيون إلى وائل بن ربيعة، وهم من القبـائل العدنانية.

ــ ثانيا ــ

السكن والاستقرار

ولقد سكن (بنو محلم) المحلمية في ديار بكر في منطقة جبل طور عابدين حيث لا زالت قراهم وبلداتهم عامرة بهم إلى يومنا هذا.

ولقد ذكر اسحاق أرملة في كتابه «القصارى في نكبات النصارى»: «أن جبال طور عابدين هو لبني شيبان بن بكر بن وائل».[1]

ولقد أوضح مؤلف كتاب «تاريخ طور عابدين» أن طور عابدين منطقة جبلية تقع ما بين النهرين في الشمال الشرقي لماردين وأن الجانب المطل على المنطقة المعروفة قديما باسم (باعربايا) أو المنطقة العربية يعرف باسم جبل إزلا، وفيه ناحيتين منطقة بيت ريشا وبيت محلم.. كما بين: «أن الجغرافيين العرب من أمثال أبي القاسم ابن خردانبة (سنة ٨٤٨) يقولون إن منطقة بين ريشا وبيت محلم ــ هي كورة في ديار ربيعة».[2]

ويحدد مؤلف الكتاب المذكور بشكل أوضح منطقة سكن المحلمية ووجودهم حيث يقول: «المحلمية هي منطقة واسعة إلى الجهة الجنوبية من طور عابدين وكانت فيها أكثر من خمسمائة قرية».[3]

---

(١) انظر كتاب «القصارى في نكبات النصارى» لاسحاق أرملة ــ ج١ ــ طبعة بالأوفست ١٩٧١ ــ صفحة ٦.

(٢) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» لمار اغناطيوس الأول ــ ط ــ ١٩ ــ صفحة ١٩٧.

(٣) انظر المرجع نفسه صفحة ٣٥٢.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضاً بين القولين حيث يذكر المؤرخ أرملة أن جبل الطور هو لبني شيبان بينما قال اغناطيوس أنـــه للمُحلَميـــة، والحقيقة أنه لا تناقض بين القولين لأن بنو مُحلّم (المُحلَمية) هم مـــن بنـــي شيبان وهذا ما أكدناه حينما ذكرنا نسب المُحلّمية.

ولقد ذكر الهمداني أيضاً أن «جبل الطور البري هو أول حـــدود ديـــار بكر وهو لبني شيبان وذويها، لا يخالطهم أحـــد إلـــى ناحيـــة خراســـان إلا الأكراد».(١)

كما ذكر حسن شميساني في كتابه «مدينة ماردين» سكنَ الشيبانيون تلك المنطقة مع غيرهم من القبائل العربية بقوله: «ومن القبائل العربية المشهورة التي كانت تسكن تلك الجهات، ومن ضمنها مدينة مـــاردين ــ نذكـــر تلـــك القبائل التي وافتنا بها كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى، وأكدتـــها كتـــب ومؤلفات الحداث منهم ومنها قبـــائل تغلـــب.. بكـــر بـــن وائـــل.. شيبـــان وغيرها».(٢)

ومن الجدير بالذكر هنا أن من بين تلك العشائر التي ذكرها شميســـاني أيضاً: زوبع، وطي، وبني سبعة وغيرهم.

كما أوضح حسن شميساني في كتابه: «والجدير بالذكر أن هذه الديـــار جميعها نزلتها القبائل العربية الوافدة من تخوم اليمن إثر تصدع سد مـــأرب حوالي سنة ٤٢٢م، واستوطنت بواديها منذ ذلك التـــاريخ، واندمجـــت مـــع

---

(١) انظر كتاب صفة جزيرة العرب ــ للـــهمداني ــ ج٢ ــ ليـــون ــ مطبعـــة بريـــل (١٨٨٤) صفحة ٢٧٦.

(٢) انظر كتاب مدينة ماردين. حسن شميساني ــ دار عالم الكتب ــ بـــيروت ١٩٨٧ ــ صفحة ٣٤١ ــ ٣٤٢.

سكانها الأصليين، وتولت وإياهم تعمير تلك النواحي، وإن كلاً من الفرس والرومان قد عمل على احتواء تلك القبائل وجرّها لسلطانه، ومن ثم قسموها إلى إمارات وممالك جعلوا على كل منها حاكماً يدين لهم بالولاء والطاعة»[1].

كما أورد أحمد وصفي زكريا في كتابه «عشائر الشام» ما يدل على سكن بني شيبان في تلك المناطق حيث يقول: «ديار بكر هي بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وهي وحدها ما غرب دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنهم حصن كيفا وميافارقين».

وأضاف: «وديار ربيعة هي بين الموصل ورأس العين والخابور، وما بين ذلك من المدن والقرى، وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ربيعة، لأنهم كلهم من ربيعة، وهذا اسم لهذه البلاد قديم، كانت العرب تحمله قبل الإسلام في بواديهم واسم الجزيرة يشمل الكل».

وأضاف أيضاً: «ويظهر من هذا التعريف أن القسم الغربي من الجزيرة الواقع ما بين الخابور والفرات، وفيه إلى يومنا هذا قضاء الرقة وعين العرب كان من ديار مضر وحاضرتها الرقة، والقسم الأوسط الواقع ما بين دجلة والخابور وفيه قضاء القامشلي والحسكة وجبل سنجار كان من ديار ربيعة وحاضرتها الموصل، والقسم الشمالي الذي فيه جزيرة ابن عمر وميافارقين مما ظل في داخل حدود الترك كان من ديار بكر وحاضرتها

---

(١) انظر كتاب مدينة ماردين. حسن شميساني ــ دار عالم الكتب ــ بيروت ١٩٨٧ ــ صفحة ٤٤.

آمد.. وفي هذه الجزيرة حدثت الوقائع ما بين قبائل ربيعة وبين عشائر بكر وتغلب وهي حرب البسوس.. وجرت وقائع أيضاً ما بين شيبان وتغلب».[1]

ثم أضاف: «وانتشروا فيها واستقروا على نحو ما عملته قبائل بكر وربيعة ومضر وأنمار وإياد وشيبان وتغلب، وكلهم من أعقاب نزار بن معد بن عدنان، فاحتل بنو بكر شمالها، ومن ذلك اسم (ديار بكر) للبلاد وهي بلاد واسعة.. وحدها ما غرب دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيف وآمد وميافارقين»[2].

ولقد عرفت تلك المنطقة التي سكنها المُحلَّمية (بنو شيبان) باسم (عربايا) أو المنطقة العربية، يقول أدي شير:

«إن منطقة (عربايا) أو بيت عرباي هي لفظة أطلقها السريان على المنطقة الممتدة من بين بازبدي (أزخ) قرب جزيرة ابن عمر، وإلى بلد ونصيبين ومعناها موطن العرب، أي إن سكانها كانوا عرباً»[3].

---

(١) انظر كتاب عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا ــ دار الفكر بدمشق ط٢ ــ صفحة ٧٦ ــ ٧٧.

(٢) المرجع نفسه ــ صفحة ٧٦ ــ ٧٧.

(٣) انظر كتاب «تاريخ كلدو وآشور» لمؤلفه ادي شير ــ ج٢ ــ المطبعة الكاثوليكية ــ ١٩١٣ ــ ضمن توطئة ج٢.

ـ خلاصة ـ

نستطيع أن نلخص ما جاء في هذا الفصل المتعلـــق بنســب المُحلَميـــة وموطنهم بالشكل التالي:

إن المُحلّمية هم المعروفون تاريخياً باسم (بنو مُحلّم)، وهـم ينتسـبون إلى (مُحلّم) بن ذهل بن شيبان وإلى الشيبانيين، أو بني شيبـــان مـن بكـر، ويشترك معهم في هذا النسب إلى شيبان بنو مُرّة أولاد ذهـل بـن شيبـان، وغيرهم من أولاد ذهل الشيباني.

ولقد سكن المُحلّمية في منطقة جبل طور عابدين متجاورين مع غيرهم من أبناء ذهل بن شيبان، وعُرف ذلك الجبل باسمهم من أنـه لبنـي شيبـان وتحديداً (لبني مُحلّم) منهم كما جاء في كتاب «طـــور عـــابدين»، وتقسيم المؤرخ ابن خردانبة لتلك المنطقة إلى منطقتين بيت ريشا وبيت مُحلّم.

وعليه فإن تسمية المحلمية أو بنو محلم ترجع إلى نسبهم إلـى محلـم، وليس كما كان يشاع (غلطا) من أنهم سموا كذلك نسبة إلى كونهم (محــل.. مية) من عرب بني هلال سكنت المنطقة، وإن هذا الغلط التـاريخي أصبح واضحا وإننا نعمد إلى بيان أسبابه لاحقا في كتابنا هذا.

ومن ذلك كله أيضا نستطيع أن نحـدد ووفـق المعطيـات التاريخيـة والجغرافية التي لدينا من أن منطقة سكن بنو محلم تاريخيـا هـي منطقـة وجودهم ذاتها. حاليا في ديار المحلمية في المنطقة العربية (عربابا)، والتـي يطل عليها جبل طور عابدين من الجهة الجنوبية والممتدة مـن (أزخ) عنـد جزيرة ابن عمرو شرقا إلى حدود ماردين غربا حيـث لا زالـت عشـرات القرى المحلمية والبلدات تنتشر في تلك المنطقـة وهـي عـامرة بسـكانها المحلميون إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني

الشيباتيون.. ومكانتهم التاريخية

ـ أولاً ـ

في أطراف الجزيرة العربية.. والعراق

يقسم النسابون قبيلة بكر بن وائل إلى فروع عدة أشهرها: علي، ويشكر، وبدن، وجشم، والحارث، وثعلبة، ومن بطونها المهمة: بنو حنيفة، وبنو عجل، وذهل، وقيس، وبنو شيبان.

والذي يهمنا في بحثنا هذا هو بنو شيبان، حيث تفرّعت قبائل بني شيبان إلى عدة فروع ذكرها محمود إبراهيم العبيدي بقوله: «تفرعت بنو شيبان إلى فروع عدة أبرزها: بنو مُحلّم، وبنو الحارث، وبنو أبي ربيعة، وبنو مرة»[١].

ولقد كانت مساكن الشيبانيين في ديار قبيلتهم ربيعة في تهامة، وإن كثرة هذه القبيلة (ربيعة) قد أدى إلى رحيلها.

وهناك سبب آخر لذلك، وهو حصول نزاع بين قبائلها أدى إلى افتراق بني ربيعة، حيث نزلت بعض قبائلها البحرين والجوف والعيون.[٢]

لكن إن إقامة أغلب قبائل ربيعة، وخاصة بكر وتغلب ابني وائل بن بكر لم تدم، إذ انتهى استقرارهم بها مع بداية حرب البسوس التي دارت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس للميلاد تقريباً.[٣]

---

(١) انظر كتاب (بنو شيبان) لمحمود إبراهيم العبيدي ــ ط دار الحرية بغداد ١٩٨٤ ــ صفحة ٣٩.

(٢) انظر كتاب معجم ما استعجم للاندلسي البكري ــ ط القاهرة ١٩٤٩ ــ صفحة ٨٠ ــ ٨١.

(٣) المصدر نفسه ــ صفحة ٨٢.

هذه الحرب التي استمرت لمدة طويلة والتي كان لوقائعها أثر كبير في انتقالهم إلى بلاد أخرى، ويؤكد البكري ذلك بقوله: «فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد، وتنقلهم من أرض إلى أرض»[١].

وحينما وضعت الحرب أوزارها انتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ومناظرها وناحية الأبله إلى هيث وما ولاها من البلاد، ويذكر الأخنس بن شهاب التغلبي ــ وكان من رؤساء تغلب وشعراءها ذلك بقوله:

وبكر لها العراق وإن تشأ　　　يحل دونها من اليمامة حاجب[٢]

وكان انتقالهم من أماكنهم القديمة إلى جنوب العراق أيضاً بسبب الكساد الذي شل حركتهم، إضافة إلى ما أصاب الجزيرة العربية من قحط وقلة أمطار مما حدا بهم إلى الانتقال إلى جنوب العراق طلباً للعيش والاستقرار.

ومن أشهر منازلهم قبل الإسلام كانت ذي قار، وذكر الطبري بعضاً من هذه الأماكن حيث قال: «من مياه ومنازل بني شيبان المشهورة قرب الكوفة، كما وإنه الموضع الذي تحقق به أول نصر عربي على الفرس في معركة ذي قار، ومن منازلهم حول ذي قار قراقر والجبايات وذو العجرم».[٣]

ولقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء جبال ووديان كانت مواضع لبني شيبان، ومنها ما ذكره الهمداني: من أن جبل الطور البري هو أول حدود

---

(١) انظر كتاب معجم ما استعجم للاندلسي البكري ــ ط القاهرة ١٩٤٩ ــ صفحة ٨٠.

(٢) المصدر نفسه ــ صفحة ٨٦.

(٣) انظر كتاب «تاريخ الرسل والملوك» الطبري ط٢ القاهرة ١٩٦٧ ــ ج٢ صفحة ٣٤٩.

ديار بكر، وهو لبني شيبان وذويها، ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد.[1]

ومن جبالهم أيضاً جبل الأمرار ومن ديارهم وادي الأثافي، وكانت ديارهم بالحيرة بالقرب من جبل الأمرار.

ولقد اقترن تاريخ بني شيبان بتاريخ قبيلة بكر بن وائل، وخاصة بعد أن أصبحت رئاسة بكر بن وائل بقيادتهم[2]

ويبدو أن زعامة شيبان لبكر قد بدأت مع بداية زعامة كليب بن ربيعة التغلبي لقبيلتي بكر وتغلب، وذلك بحدود العقد العاشر من القرن الخامس الميلادي وفق ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية:

«وبعد أن أصبحت قيادة بكر أكثر استقراراً بعد نشوب الحرب بين القبيلتين، ويبدو أن بني شيبان سكنت بداية تهامة كبطن من بطون القبيلة الأم بكر وكانوا هم وبني جشم من تغلب في منزل واحد»[3]

ولقد احتلت قبيلة بني شيبان مكانة متميزة بين قبائل العرب في وسط الجزيرة العربية عامة وربيعة خاصة، وقد أشار الرواة لهذه المكانة حيث ذكر أبو عبيدة: «إذا كنت من ربيعة ففاخرْ بشيبان، وقاتلْ بشيبان، وكاثر بشيبان»[4]

---

(١) انظر كتاب «معجم ما استعجم» للاندلسي البكري ــ ط القاهرة ١٩٤٩ صفحة ١٩٣.

(٢) انظر كتاب «التاريخ» لليعقوبي ــ طبعة ليدن ١٨٨٣م ــ ج١ صفحة ٢٥٦ ــ ٢٥٧.

(٣) انظر كتاب شرح ديوان امرئ القيس ــ ط٣ مطبعة الاستقامة القاهرة ــ صفحة ٢٤٦.

(٤) انظر كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة ط القاهرة ١٩٦٣ ــ ج١ صفحة ٢٩٣.

وروي عن ابن الكلبي قول أبيه: «العدد من ربيعة، والبيت والفرسان من شيبان»[1].

وذكر ابن الأثير من أيامهم يوم خزاز فقال: «إن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة، ثم وفد عليه من وجوه ربيعة منهم سدوس بن شيبان بن ذهل وعوف بن مُحلّم بن ذهل الشيباني»[2]

ثم ذكر ابن الأثير أيضاً: «إن ربيعة بن زياد الكلبي غزا في جيش من قومه، فلقي جيشاً لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالاً شديداً فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان، وأسروا أناساً كثيرين، وأخذوا ما كان معهم، وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبد الله بن قيس المُحلّمي فقال شاعرهم:

سائل ربيعة حيث حل بجيشه ... مع الحي كلباً حيث لبث فوارسه[3]

ولقد ذكر اسم (مُحلّم) ملقباً بالشيباني في كتاب «الأغاني» للأصفهاني حيث ذكر قصة واحد من أولاد مُحلّم وهو عوف جاء فيها: «وكان بنو تيم اللات بن ثعلبة وهم من بكر أسرته وتقول إنها باعته إلى عوف بن مُحلّم الشيباني وعوف هذا هو الذي ضرب به المثل بعدها: (لا حرّ بوادي عوف)».

ولقد جاء في كتاب «سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب» معرفاً بني شيبان ما نصُّه: «هذا بطن كثير الشعوب، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة في جهات الموصل، وكان سيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل الشيباني».

---

(١) انظر كتاب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» للألوسي طبعة القاهرة ١٩٢٤ ــ ج٢ صفحة ١٨٩.

(٢) انظر «الكامل» لابن الأثير ــ طبعة دار بيروت ١٩٦٦ ــ م١ صفحة ٥٢٠.

(٣) انظر «الكامل» لابن الأثير ــ طبعة دار بيروت ١٩٦٦ ــ م١ صفحة ٦٠٨.

ـ ثانياً ـ

الشيبانيون.. ومباشرة فتوح العراق

(١)

كانت بلاد العرب أقرب تلك القوى إلى بلاد فارس، فلقد قامت القبائل العربية والموجودة في أطراف العراق ومنها الشيبانيون بشن الغارات على الفرس، واستمروا كذلك دون أي مقاومة منهم، وبقيت القبائل العربية في تلك المنطقة على حالها إلى زمن سابور ملك الفرس حيث زحف على هذه القبائل وغزاها، وبعد مصالحة سابور للعرب فرق القبائل العربية فأسكن قبائل تغلب وبكر كرمان وموج والأهواز[١].

ولقد كانت هناك عمليات عربية ثأرية هزت الفرس على الرغم من اتخاذهم الحيرة كسد لتأمين حدودهم الغربية ضد هجمات القبائل العربية على العراق، فكانت نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي بداية ظهور أول ردة فعل عربية منظمة تزعمته بكر وشيبان ضد الفرس حتى تم تحرير الحيرة، وهكذا فإن هذه الأحداث بالإضافة إلى مقتل النعمان بن المنذر على يد كسرى ملك الفرس كانت السبب المباشر لمعركة ذي قار، وقد ذكر الأصمعي ذلك فقال: «وعُدَّ قتل كسرى للنعمان.. سبباً مباشراً لقيام هذه الحرب»[٢].

---

(١) انظر كتاب «تاريخ الرسل والملوك» ـ الطبري ط٢ القاهرة ١٩٦٧ ـ ج٢ صفحة ٦١.

(٢) انظر كتاب «نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب» الأصمعي ـ مخطوطة ـ بغداد ١٨٣٠ ـ ورقة ٢٤٧.

كما اتخذت بنو شيبان وبعض بطون بكر من عجل ويشكر موقفاً موحداً ضد الفرس بعد اغتيال النعمان، فغضب بنو شيبان لاغتياله، وأخذت تشن غاراتها على أطراف مملكة الفرس، حتى أصبحت الحرب بين الطرفين أمراً واقعاً لا محالة، ولقد راسلت بنو شيبان قبائل العرب وخاصة قبائل بكر للتصدي لهجوم الفرس المرتقب «فراسلت بكر بينها»[١].

وكان مكان التحشد العربي ذي قار «وتوافدت ـ أي القبائل ـ بذي قار»[٢] وتوافدت اناس من عبد القيس وحنيفة وغيرهم من بكر من اليمامة والبحرين تلبية لنداء الواجب للوقوف إلى جانب بني شيبان ضد الفرس[٣].

واشتركت قبائل بكر من بني عجل ويشكر ومعظمهم بطونها وحلفاؤهم في هذه الحرب[٤] وبعد معارك ومنازلات عدة استطاع العرب أن يحققوا انتصارهم على الفرس، ويصف لنا الأصمعي حالة كسرى من جراء شدة وقع انتصار العرب على الفرس بقوله: «واغتاظ من ذلك غضباً شديداً، ووقعت الزلزلة والعويل في المدائن والنوح والبكاء، فندب كسرى الجنود وفرق فيهم السلاح لمعاودة الحرب لبكر بن وائل»[٥]، وكانت معركة ذي قار

---

(١) انظر كتاب العقد الفريد ـ لابن عبد ربه ـ ط٣ـ القاهرة ١٩٦٥ـ ج٥ صفحة ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه ـ صفحة ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) انظر كتاب «التنبيه والاشراف» للمسعودي صفحة ٢٠٧ـ ٢٠٨.

(٤) انظر كتاب «العقد الفريد» ـ لابن عبد ربه ـ ط٣ القاهرة ١٩٦٥ـ ج٥ صفحة ٢٦٥.

(٥) انظر كتاب «نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب» للأصمعي ـ مخطوطة بغداد ١٨٣٠ ورقة، ٢٥٢.

فاتحة خير ومقدمة لعمليات التحرير العربية الإسلامية، ولا عجب أن يُروى عن الرسول ﷺ أنه قال: «هذا أول يوم فض الله فيه جنود الفرس بفوارس من ذهل بن شيبان» قال هيثم بن بشير بلغني أن النبي ﷺ قال: «وبي نُصروا»[1].

وروي أن بني شيبان، اتخذوا شعارهم باسم رسول الله ﷺ: يا محمد يا محمد.. يا منصور.. وذلك قبل إسلامهم. وهذا تأكيد قوله ﷺ: «وبي نصروا».

ولقد ذكر ابن عبد ربه في «العقد الفريد» وهو يتحدث عن يوم ذي قار فقال: «قال أبو عبيدة: سئل أبو عمرو بن العلاء، وتنافر إليه عجلي وبشكري، فزعم العجلي أنه لم يشهد يوم ذي قار غير شيباني وعجلي، وقال اليشكري: بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم.

فقال أبو عمرو: قد فصل بينكم التغلبي حيث يقول:

لما سمعت دعاء مرة قد علا	و أتى ربيعة في العجاج الأقتمِ
ومُحلِّم يمشون تحت لواءهم	والموت تحت أقدام آل مُحلِّمِ
لا يعرضون عن الوغى	في كل سابقة كلون العظلمِ[2]

حيث أشار الشاعر في هذه القصيدة إلى قدوم جحافل قبائل ربيعة إلى ساحة المعركة عند ذي قار، فوصف مجيئهم الذي أثار عجاجاً أسوداً لكثرتهم وعددهم، ووصف (آل مُحلِّم) وهم يمشون تحت لواء وقيادة جيش ربيعة ومعهم بنو مرة معبراً عن مدى إعجابه بقوتهم.

---

(١) انظر كتاب «العلل» لابن حنبل ـ طبعة انقرة ١٩٦٣ـ ج١ صفحة ٣٠.

(٢) انظر كتاب «العقد الفريد» ـ لابن عبد ربه ـ ط٣ القاهرة ١٩٦٥ـ ج٢ صفحة ٢٦٨.

وذكر ابن الأثير في كتابه «الكامل»: «ولكن الحرب كانت تدور على بني شيبان ورئيس الحرب فيهم هانيء، وقد أكثر الشعراء في مدحهم، منهم بكير أصم بن الحارث حيث قال:

إن كنت ساقية المدامة أهلها ... فاسقي على كرم بني همامِ

وأبا ربيعة كلها ومُحلِّماً ... سبقا بغاية أمجد الأيامِ[1]

وبنو همام: هم أبناء همام بن مرة بن ذهل بن شيبان.

ومُحلِّما: هم بنو مُحلِّم بن ذهل الشيباني

---

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير ـ طبعة بيروت ١٩٦٦ ـ م٢ ـ صفحة ٢٩٣.

(٢)

دور بني شيبان.. في حروب التحرير

من المعلوم تاريخياً أن القوة العربية الضاربة في ربوع العــراق، التــي عاشت حالة صراع دائم مع الفرس هي قوة بني شيبان بشكل خاص وبطــون بكر الأخرى بشكل عام، وحلفائهم وعلى وجه التحديد منذ انتصارها فــي ذي قار.

واستمر الحال كذلك إلى قدوم المثنى بن حارثة الشيباني إلــى الخليفــة الراشدي أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حينما أراد منه أن يجــيزه بقتــال الفرس فأجازه.

يقول كلوب: «لم يكن العراق وخاصة أطرافه المتاخمة للجزيرة العربية بغريبة عن بني شيبان، إذ كانوا يتاخمون العراق، وكثيراً ما شنــوا الغــارات علــى أطرافه، كما وإن معركة ذي قار وقعت عملياتها العسكرية في صحراء العراق بقيادة بني شيبان الذين كانوا في نزاع دائم مع الفرس»[١].

ولم يكتفِ المثنى بما قام به بنو شيبان من غارات على الفرس في تلــك الناحية، بل دعا البكريين إلى ذلك فقد رُوي أنه دعا ابن عم له يقال له ســويد ابن قطبة السدوسي، فضم إليه جيشاً ووجهه لقتال الفرس من ناحية الأبله وما يليهم من الفرس[٢].

---

(١) انظر كتاب «الفتوحات العربية الكبرى» جون كلوب ــ ط١ بغداد ــ مكتبة المثنــى ١٩٦٣ــ صفحة ١٩٩.

(٢) انظر كتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبري ط٢ القاهرة ١٩٦٧ــ ج٣ صفحة ٥٩٣.

واستمر قتال بني شيبان من جهة الحيرة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني بمعاونة قطبة السدوسي دون هوادة، مما أثر ذلك تأثيراً كبيراً على معنويات الفرس وزرع الرعب في قلوبهم فحشدوا لهم أعداد هائلة من جيوشهم، وهو الأمر الذي دفع المثنى بن حارثة الشيباني إلى إرسال أخيه مسعود ابن حارثة إلى دار الخلافة بالمدينة طالباً المدد منها لمواجهة قوة الفرس فأمدّه أبو بكر (رض) بخالد بن الوليد[1].

ولقد صدرت الأوامر إلى خالد بن الوليد بالتقدم نحو العراق.

وبعد أن اكتملت تعبئة الجيش العربي الإسلامي الذي وزعه خالد إلى أربع فرق، تتقدمه فرقة بني شيبان بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني التي وصلت هدفها قبل الفرق الأخرى بيومين[2].

وبعد تكامل الحشود العربية بوصول الفرق الأربعة أرسل خالد إلى القائد الفارسي هرمز أن يختار واحدة من ثلاث بعد أن كتب له كتاباً قال فيه:

«أسلم تسلم، أو أعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر الجزية، وإلاّ فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة»[3].

إلا أن الفرس استعدوا لدخول المعركة رافضين طلب خالد بن الوليد، وقد التقى الجيشان العربي الإسلامي والفارسي في معارك عدة منها معركة المذار في صفر ١٢هـ الموافق ١٧ نيسان ٦٣٣م، ومعركة الولجة في ٢٢ صفر ١٢هـ، الموافق ٣ أيار ٦٣٣ وغيرها من المعارك.

---

(١) انظر كتاب «الاصابة في تمييز الصحابة» للعسقلاني ــ ط١ مصر ١٣٣٨هـ ج٣ صفحة ٣٦١ــ ٣٦٢.

(٢) انظر «تاريخ الرسل والملوك» للطبري ــ ط٢ القاهرة ١٩٦٧ ج٣ صفحة ٣٤٨.

(٣) انظر كتاب «الأموال»ــ لابن سلام ــ القاهرة ــ ١٩٧٥ــ صفحة ٤٣.

وبعد سيطرة خالد والمثنى على مدن كثيرة صدرت الأوامر لخالد بن الوليد من الخليفة أبو بكر (رض) بالتوجه إلى الشام لدعم وتعزيز القوات العربية الإسلامية المقاتلة ضد البيزنطيين[1].

وأمره الخليفة أبو بكر بأن يأخذ نصف القوة التي معه في العراق، ويبقي النصف الآخر على أن يترك عند المثنى مثله[2]، ثم ودع المثنى بن حارثة الشيباني القائد خالد بن الوليد في قراقر ثم رجع المثنى إلى الحيرة[3].

ولقد أصبحت مهمة المثنى بعد رحيل خالد صعبة إذ أصبح عليه واجب مضاعف، إذ عليه أولاً، أن يحافظ على الأرض المحررة، في خطته الجديدة، وثانياً: الاستمرار في إنجاز خطة التحرير في ظل المبادئ التي أرساها الدين الجديد.

ولقد خاض المثنى عدة معارك منها معركة بابل في أواخر ربيع الأول عام ١٣هـ أواخر أيار ٦٣٤[4].

وحقق هناك انتصاراً كبيراً في هذه المعركة حيث لاحقت جيوش المسلمين فلول الفرس حتى أوصلوهم إلى المدائن ثم عادوا[5]، ولقد بدأ زحف المثنى نحو أرض السواد.. وأخذ يحرر القرى والعساكر دون مقاومة، وترك

---

(١) انظر تاريخ الرسل والملوك ـ للطبري ـ ط٣ القاهرة ١٩٦٧ـ جزء ٣ صفحة ٤١٥.

(٢) المصدر نفسه ص٤١١

(٣) المصدر نفسه ص٤١١.

(٤) المصدر نفسه ص٤١٢.

(٥) المصدر نفسه ص٤١٢.

الفرس ماوراء دجلة للعرب، ثم اتجه المثنى بن حارثة نحو الأنبار وميسان.. ثم إلى تكريت.. إلا أنه توفي قبل قدوم سعد ابن أبي وقاص القادسية وذلك سنة ١٤ هجرية[١].

ولكن لم ينته دور بني شيبان في عمليات تحرير العراق بعد وفاة المثنى، بل انضمت كتائبه التي قادها أخوه المعنى بن حارثة الشيباني إلى الجيش العربي القادم من الحجاز، وساهمت في عمليات التحرير ونشر الرسالة[٢].

وحينما التحمت القوات العربية في العراق مع الحشود الكبيرة القادمة من الحجاز عند بدء معركة القادسية كان بنو شيبان جزءاً من القوات العربية المشتركة في عمليات التحرير، والتي استمرت حتى تحرير العراق كله والجزيرة وغيرها.

---

(١) انظر كتاب فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ طبعة بيروت ـ نشر أنيس الطباع ١٩٧٨ ـ صفحة ٣٥٤.

(٢) انظر كتاب تاريخ «الرسل والملوك» للطبري ـ ط٣ القاهرة ١٩٦٧ـ جزء ٣ـ صفحة ٤٨٩ـ ٤٩٠.

(٣)

إنسياح شيبان نحو الجزيرة واستقرارهم فيها

وبعد انتهاء عمليات تحرير العراق والجزيرة ازداد الوجود الشيباني في تلك المناطق وخاصة المنطقة الممتدة من جنوب العراق، حتى مناطق ديار بكر، يقول محمود إبراهيم العبيدي موضحاً: «حينما نتحدث عن منازل بني شيبان بعد الإسلام لا يعني هذا أن بني شيبان وغيرها من القبائل العربية غيرت منازلها والتي كانت عليها عند ظهور الإسلام فجأة إلى أخرى، بل إن تنقلات القبائل حدث بشكل تدريجي، وبعبارة أدق إن عمليات التنقل رافقت عمليات التحرير التي كانت تقوم بها الجيوش العربية الإسلامية خارج الجزيرة العربية وما تبعها من تمصير الأمصار»[١].

ثم أضاف: «إنه وبعد تحرير العراق وتمصير الكوفة والبصرة يبدو أن هاتين المدينتين أصبحتا من المراكز الرئيسية لسكن بنو شيبان وبكر، وخاصة بعد أن غلبت عليهم روح التمدن، ويدلنا على ذلك ما ذكره الهمداني من افتخار بكر البصرة على بكر الكوفة»[٢].

---

(١) انظر كتاب «بنو شيبان» لـ محمود عبد الله العبيدي ـ طبع المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨٤ ـ صفحة ٣١.

(٢) المرجع نفسه صفحة ٣٥.

ووصل العبيدي إلى نتيجة هامة وصحيحة حيث قال: «ويكاد يكون تاريخ شيبان بشكل خاص وبكر بشكل عام في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الأول وما تلاه متصلاً بتاريخ الجزيرة الفراتية وخاصة ديار بكر»[١].

ولقد ذكر البكري عدة مواضع لبني شيبان، ومن هذه المواضع حول ذي قار، والكوفة، قراقر والجبابات، وذو العجرم، وديار بكر، وخاصة طور عابدين فقال: «إن جبل الطور البري هو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها، ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد»[٢].

كما تحدث المسعودي بشكل مفصل عن بعض مساكن بني شيبان في صدر الإسلام فقال: «أما عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، فمنهم تيم الله، وقيس ابن ثعلبة بن عكابة، وشيبان بن ذهل بن ثعلبة بطون ثلاث عظيمة، وأوسعها وأكثرها شعوباً بنو شيبان، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة في جهات الموصل»[٣].

ثم أضاف: «وكان بنو الشيخ بن مرة.. كانت لهم رياسة بآمد»[٤].

---

(١) انظر كتاب «بنو شيبان» لـ محمود عبد الله العبيدي ـ طبع المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨٤ـ صفحة ٣٥.

(٢) انظر كتاب «معجم ما استعجم» ـ للبكري ـ طباعة القاهرة ١٩٤٩. ج١ صفحة ١٩٣.

(٣) انظر كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي ـ ط١ القاهرة ١٩٦٥ـ ج١ صفحة ٣٠٤.

(٤) المرجع نفسه صفحة ٣٠٢.

• أما بنو مُحلّم فكان لهم طور عابدين وما جاوره وفق ما أكدته المصادر التاريخية والتي ذكرناها في حينه.

وعلى ضوء هذه المعطيات التاريخية نستطيع القول بأن الوجود الشيباني في منطقة ديار بكر كان ظاهراً وفاعلاً في تلك الحقبة حيث بدأ استقرار هذه العشيرة والتي اتخذت من تلك المناطق فيما بعد مناطق سكن دائمة لها حيث تحولت إلى عشائر مستقرة ساهمت في بناء تلك المناطق وإعمارها.

كما أكد ذلك الديوه جي في كتابه «تاريخ الموصل» بقوله: «بنو شيبان بطن من بطون بكر القبيلة التي انتشرت إلى ديار بكر التي عرفت بها، وسكن بنوشيبان الجزيرة والموصل وكانت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات الموصل في صدر الإسلام»[1]

---

(١) انظر كتاب «تاريخ الموصل» لسعيد الديوجي طبعة بغداد ١٩٦٩ ـ صفحة ١٩.

(٤)
الشيبانيون في الجزيرة الفراتية

من المعلوم أن منطقة الجزيرة الفراتية كان يسكنها عدد من القبائل والعشائر العربية كقيس، وتميم، ونمير، وبنو عامر، وعُقيل، وتغلب، وبكر، وشيبان وغيرها، وكانت هذه القبائل تتوازع مناطقها الثلاث ديار بكر، وديار ربيعه، وديار مضر.

ولقد كان المحيط القبلي والعشائري ساخناً في تلك المناطق وكانت العلاقات ما بين القبائل والعشائر العربية علاقات مد وجذر، فكثرت الحروب والصراعات في المنطقة، وخاصة تلك الحروب التي وقعت مابين القبائل الكبيرة كحرب قيس وتغلب أو بين بكر وتغلب وغير ذلك من الحروب.

ولقد وقف الشيبانيون دوماً مع أبناء قبيلتهم الأم بكر والتي تسلموا زعامتها مرات عديدة، كما أنهم ناصروا أبناء عمومتهم التغلبيون عدة مرات وكان من أهم أيامهم يوم الثرثار ويوم الحشاك، ويوم كلاب وغيره من الأيام.

ولقد كان من أهم تلك المواجهات موقعة الثرثار والتي حدثت مابين قيس وحلفائها وبكر و تغلب ومن والاهما، ولقد تحاشدت قيس وتغلب وجمعت تغلب جميع بطونها وكان من حضر ذلك اليوم من وجوه بكر بن وائل (المجشر ابن الحارث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن مُحلّم بن ذهل بن شيبان) وكان المجشر من ساداتهم بالجزيرة، فأتاهم في جمع كثير، وقال خصمهم في هذه الحرب عمير بن الحباب في ذلك:

أيا أخوتنا مــــن تميم هديتمــا ومن أسد هل تسمعان المناديـــا

ألم تعلما إذا جاء بكر بن وائـــل وتغلــب القافـاً تــهز العواليـا

وبعد منازلات عدّة في ذلك اليوم قتل فيها عمير من قيس وفــي ذلــك يقول تميم أخاه:

فإن تحتجز بالماء بكر بن وائـــل من عمنـــا فـــالدهر ذو متغــير

فسوف نخوض الماء أو ســوف نقتصُ من أبناء عم المجشـــر[1]

وفي هذه الموقعة يقول الأخطل:

أقفرت البليخ من عيلان فالرحبا فالمحلبيات فالخابور فالشعبـــا[2]

والشاعر الأخطل كما هو معلوم ابن الجزيرة الفراتية ومن بني تغلـــب عاصر تلك الحقبة ولقد أعطت أشعاره صورة دقيقة عن العلاقات القبلية في تلك الحقبة وكان شاهد عصر بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى فقد عبر عن العلاقة التي كانت قائمة بين قبيلة تغلب وقبيلة بكر وخاصة شيبان:

بقوله:

ألا أبلــغ بنــي شيبـــان عنـــي فمـــا بينــي وبينكــم ذحـــول[3]

وقال

فما لبني شيبان عندي ظلامـــة ولا بدمٍ تسعى علـــي الحنـــاتم[4]

---

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير ـ طبعة دار بيروت ـ عام ١٩٦٦ـ ج٢ـ صفحة ٤٣١.

(٢) انظر الأخطل ـ الديوانـ صفحة ٨٤.

(٣) المرجع نفسه صفحة ٣٧٢.

(٤) المرجع نفسه صفحة ٣٨٥.

كما تحدث عن حرب وقعت بين أبناء شيبان أنفسهم بنو مُحلِّم وبنو مُرّة فقال:

أفي كل عام لا يزال لعامرٍ	على الفرز نهب أروش مزنم
لعمري ما أدري إنني لسائل	لمُرّة أم أعمام مرّة أظلم
فما للسمين لا يقوم خطيبها	وما لابن الجدين لا يتكلمُ[1]

وفي الشرح: إن عامر هو (من بني مُحلِّم بن ذهل بن شيبان) والسمين هو (من بني أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان).

وقال مادحاً بني شيبان وخاصة (بنو مُحلِّم) فهم:

يا عامر بن عمير أنت مدرهنا	بالتل يوم تلاقت أوجه العرب[2]

وفي الشرح: المدره: هو السيد المدافع عن قومه.

وعامر بن عمير: هو من بني مُحلِّم بن ذهل بن شيبان.

كما ذكر ابن حوقل النصيبيني بعض الأمكنة في مناطق الجزيرة الفراتية فيها سكن للشيبانيين.

فذكر جزيرة ابن عمر بقوله: «وجزيرة ابن عمر مدينة صغيرة لها أشجار وثمار ومياه ومرافق وحصن وعليها سور.. وهي أيضاً على شفا جرف من الخوف والرجاء وبها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين، وربح مضطرب لو لم يجر فيها حكم الشياطين والخوارج»[3].

---

(١) المرجع نفسه صفحة ٧٣٦.

(٢) انظر الأخطل ، الديوان ـ صفحة ٧٥٩.

(٣) انظر كتاب صورة الأرض ـ لابن حوقل النصيبيني ـ طبع دار مكتبة الحياة في بيروت (دون تاريخ) صفحة ٢٠٢.

(٥)

إسهام بني شيبان في حركات الخوارج بالجزيرة

لقد أدى وجود الخوارج كقوة سياسية وعسكرية ذات فعالية في إقليم الجزيرة الفراتية الى حروب كثيرة بينهم وبين السلطة المركزية الأموية ثم العباسية فيما بعد.

ولقد كان لبني شيبان دور بارز في ثورات الخوارج أشارت إليه عدة مصادر تاريخية.

ومن ذلك ما أكده الصايغ في كتابه «تاريخ الموصل» بقوله: «كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى، وثوراتهم وغاراتهم على مناطق واسعة من أرض الجزيرة أثره السيء على تلك الجهات»[١].

وكان أحد أبرز القادة الخوارج من بني شيبان هو الخارجي الضحاك بن قيس (المُحلّمي الشيباني) والذي خلف الخارجي سعيد بن بهدل الشيباني ولقد ذكر حسن شميساني ثورة سعيد بقوله: «بحدود سنة ست وعشرين ومائة هجرية/ ثلاث وأربعين وسبعمئة ميلادية، وخلال انشغال الخليفة الأموي مروان بن محمد بمشاكل الشام تمكن الحروري (الخارجي) سعيد بن بهدل

---

(١) انظر كتاب تاريخ الموصل لسليمان الصايغ ـ ج٢ـ ط بيروت ـ ١٩٢٨ـ صفحة ٨٨.

الشيباني من أن يعد جيشاً من أهل الجزيرة ويعمل على إعداده وتدريبه في المنطقة الواقعة ما بين كفرتوثا وماردين، وبعد تكاثر جمعه سار باتجاه العراق لأخذه من الأمويين، لكنه مات في الطريق، فبايع القوم خليفته الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، وبعد أن استولى الضحاك على الموصل وكورها بعد سنتين من خروجه سنة ١٢٨ هجرية، وبعد أن تضخم عدد أفراد جيشه.. قصد مدينة نصيبين وضرب الحصار عليها ومن هناك وجه خمسة آلاف رجل إلى الرقة.. وسرايا إلى مناطق أخرى بديار ربيعة مع الإشارة، أن كفر توثا وماردين كانتا قاعدتين لتجمعاته»[١].

وذكر خليفة بن خياط في تاريخه قصة اختيار الضحاك خليفة لسعيد بن بهدل بقوله: «حدثني إسماعيل بن إبراهيم أن سعيد بن بهدل لما حضرته الوفاة بشهر زور، اجتمع إليه قواده فدعاهم أن يستخلف عليهم رجلاً منهم فجعلوا ذلك إليه فقال لنا: اختاروا منكم عشرة فأخرج منهم عشرة ثم صيرهم إلى أربعة، ثم قال للأربعة: اختاروا، فاختاروا الضحاك بن قيس المُحلّمي وشيبب بن عبد العزيز اليشكري، فقال لهما سعيد: اختاروا للمسلمين ولأنفسكما، فقال شيبان: فإني أختار لنفسي وللعامة الضحاك، وقال الضحاك: أختار لنفسي وللعامة شيبان، فأبى شيبان إلا الضحاك رضي بذلك أصحابهما فبايعوا الضحاك»[٢].

---

(١) انظر مدينة ماردين ــ حسن شميساني ــ ط ــ دار الكتب ببيروت ١٩٨٧ــ صفحة ٦٤.

(٢) انظر خليفة بن خياط ــ تاريخه ــ ط دمشق ــ وزارة الثقافة ١٩٦٨، ج٢ــ صفحة ٥٦٨.

ولقد جاء في تاريخ الطبري أن المعتضد بالله خرج في الحملة التي قادها لإصلاح أمر الجزيرة للتخلص من المشاغبين واستطاع بحملته تلك أن يعيد بني بكر الشيبانين إلى الطاعة[1].

كما ذكر حسن شميساني بإسهاب ما فعله بنو شيبان في تلك المنطقة بقوله: «والواقع أن سياسة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للعباسيين حيناً والانتفاضة عليهم أحياناً، وذلك حسبما كانت تستوجب ظروفهم المعيشية وحياتهم الخاصة، فتراهم يساندون جيش الخلافة من جهة كما فعل يزيد بن مزيد الشيباني في إخماد ثورة الوليد بن طريف الخارجي، وينضمون إلى الثائرين عليه من جهة أخرى كما فعلوا عندما أيدو الخارجي هارون الشاري وحاربوا إلى جانبه»[2].

وأضاف يقول: «ولقد استمر الوليد بن طريف الخارجي في طغيانه في بلاد الجزيرة، ورأس العين، وبا عربايا وغيرها، إلى أن سلط عليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فقتله.... كما قام الشيبانيون في أيام الخليفة الواثق بالله بن المعتصم بثورات منها ثورة محمد بن عمرو الشيباني الذي اتخذ من ديار ربيعة كلها مسرحاً لعملياته الحربية ضد العباسيين.. فقبض عليه الخليفة وسجنه في نصيبين»[3]

---

(١) انظر «تاريخ الرسل والملوك» ــ الطبري ــ ط مصر ــ دار المعارف ــ ١٩٧٣ــ ج٢ــ صفحة ١٠.

(٢) انظر كتاب «مدينة ماردين» ــ حسن شميساني ــ ط دار الكتب بيروت ١٩٨٧ صفحة ٨١.

(٣) المرجع نفسه صفحة ٨١.

ـ خلاصة ـ

من خلال ما بيناه في الفصل المتقدم فإننا نستدل على أن الوجود الشيباني في المنطقة لم يكن مقتصراً على منطقة طور عابدين، بل كان ممتداً إلى آمد وديار بكر كلها، وإلى نواحي الموصل والكوفة كما إن هذا الوجود لم يكن هامشياً بل كان فاعلاً، وكان له أثره وبصماته الواضحة على تلك الساحة، وخاصة حينما قاد حركة الخوارج عدة مرات، ولقد استمر هذا الوجود الفاعل قرون عدة منذ القرن الثالث الميلادي ومروراً بالفتوحات الإسلامية، بل حتى العصرين الأموي والعباسي وما بعدهما حيث بدأ يخفت شيئاً فشيئاً لأسباب عدة سنعمد إلى تفصيلها في فصول لاحقة.

ونختم هذا الفصل بقول العبيدي في كتابه «بنو شيبان»: «إن بني شيبان كانت لهم مكانتهم بين القبائل العربية الربعية والمضرية حتى قيل عن بني شيبان: جاء الإسلام وليس في العرب أعز داراً ولا أمنع جاراً ولا أكثر حليفاً من بني شيبان»[١]

---

(١) انظر كتاب «بنو شيبان» ـ لمحمود إبراهيم العبيدي. ط دار الحرية بغداد ٨٤ صفحة ٧٨.

الفصل الثالث

(بنو مُحلَم.. بين الأمس واليوم)

ـ أولاً ـ

لمحة تاريخية عن أسباب تراجع الشيبانيين

لقد عرفنا أن قبائل بكر وتغلب ابني وائل هم أول مـــن ســكن منطقــة الجزيرة الفراتية من القبائل العربية، وذلك منذ القرون الأولى للميـــلاد، وأن هذه المنطقة قد سميت باسم هذه القبائل، ولقد كانت الجزيرة قبـــل الإســـلام طائفة منها تابعة للروم وقسماً منها تحت النفوذ الفارسي، وبشكل عام فـــإن ديار ربيعة التي تمتد من تكريت والموصل إلى سنجار والخابور وبعضاً من مناطق جزيرة ابن عمر إلى حدود نصيبين وغيرها كـــانت تحــت النفــوذ الفارسي، أما ديار بكر ورأس العين وآمد وغيرهـــا فكـــانت تحــت النفــوذ البيزنطي.

وحينما وفدت هذه القبائل العربية ونزلت في تلك المنـــاطق فإنـــها قــد تعايشت مع سكانها العرب الأصليين، وتولت وإياهم تعمير تلـــك النواحـــي، ولقد عمل سلطان الفرس والروم على احتواء تلك القبائل بغية ضمها للتحالف معها، ولقد جعلوا على كل منها حاكماً أو أميراً تابعاً لـــهم ســواء للحـــاكم الفارسي المقيم في نصيبين، أو للبيزنطي المقيم في ماردين.

وفي تلك الأثناء كانت هذه القبائل العربية في حالة نزاع وقتال مســـتمر فيما بينها، وذلك لأجل الحصول على المراعي والأراضي الخصبة والميـــاه الوفيرة، مما تسبب في حدوث صراعات وخلافات كثيرة، نتج عنـــها عــدة حروب ذكرنا بعضاً منها، وخاصة تلك التي وقعت مابين تغلب ومن والاهـــا

من بكر، وبين قيس ومن والاها من العرب، ولقد كانت بين هاتين القبيلتين عدة أيام، مثل يوم الثرثار، ويوم ماكسين، ويوم الحشاك، وغيرها من الأيام.

وكان من تلك الحروب ماكان يقع بين أبناء القبيلة الواحدة كحرب البسوس بين بكر و تغلب، والتي استمرت عداواتها إلى عدة قرون، وإلى غير ذلك من حروب تلك القبائل ونزاعاتها المستمرة.

وظل الأمر على ماهو عليه حتى جاء الفتح الإسلامي لتلك المناطق وانطوى الجميع بعد حقبة من الزمن تحت رايته، حيث فتح المسلمون أكثر تلك المناطق صلحاً نظراً للوجود العربي فيها، فقد آزرت القبائل العربية جيوش الفتح الإسلامي في هذه المنطقة.

ويقول البلاذري في حديثه عن فتوح عياض بن غَنْم للجزيرة: «وفتح عياض آمد بغير قتال على مثل صلح الرُها، وفتح ميافارقين، وفتح حصن كفر توثا ونصيبين بعد قتال، وفتح طور عابدين وحصن ماردين ودارا على مثل صلح الرها، وكان ذلك سنة عشرين للهجرة»[1].

ولقد استمر القتال بين العشائر العربية في العصرين الراشدي والأموي وحتى العباسي المبكر، وحصل هذا الاقتتال بسبب ولاية قسم منهم لدولة بني أمية وقسم آخر لخلافة سيدنا علي ﷺ ولقد أدى ذلك إلى وجود الخوارج كقوة سياسية عسكرية في المنطقة مما أدى إلى حدوث معارك فيما بينهم ومن والاهم من القبائل العربية أو غير العربية وفيما بين السلطة المركزية الأموية ومن ثم العباسية فيما بعد، ولقد كان للشيبانيين خاصة دوراً في تقوية نفوذ الخوارج في الجزيرة وامتد تأثيرهم حتى الموصل إلى جنوب العراق.

---

(١) انظر كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري ــ صفحة ١٨٠.

ولقد قامت عدة ثورات للخوارج قام بها قادة من أمثال صالح بن مسرح الذي أشار إليه الطبري في «تاريخه»: «ولقد جمع حوله كثير من أهل دارا ونصيبين وسنجار»[1].

وكانت أيضا ثورة الخارجي سعيد بن بهدل الشيباني الذي خلفه الضحاك بن قيس المحلمي واللذان استطاعا أن يعدا جيشا من أهل الجزيرة، ويعملا على إعداده وتدريبه في المنطقة الواقعة ما بين كفر توثا وماردين، وكذلك كانت ثورة الخارجي مساور بن عبد الحميد الشاري.

وهناك نص سنورده بالكامل مأخوذ من عدة مصادر تاريخية، ولقد أورده حسن شميساني في كتابه «مدينة ماردين» حيث قال: «كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى وثوراتهم وغاراتهم المتواصلة على مناطق واسعة من أرض الجزيرة أثره السيء على تلك الجهات، والواقع أن سياسة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للعباسيين حينا، والانتفاضة عليهم أحيانا.. وذلك حسبما تستوجب ظروفهم المعيشية وحياتهم الخاصة.. فتراهم يساندون جيش الخلافة من جهة كما فعل يزيد بن مزيد الشيباني في إخماد ثورة الوليد بن طريف الخارجي، وينضمون إلى الثائرين عليه من جهة ثانية كما فعلوا عندما أيدوا الخارجي هارون في ثورته، وحاربوا إلى جانبه وجانب حلفاءه من الأعراب الآخرين»[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج٦ ص٢١٦.

(٢) انظر كتاب «ماردين» لحسن شميساني ط دار الكتب ببيروت ١٩٧٨ـ صفحة ٨١ وأيضا لابن الأثير الكامل جزء ٨ صفحة ١٨١ـ١٨٥. وانظر أيضا تاريخ خليفة بن خياط جزء ٢ صفحة ٧١٨ـ٧٢٢.

ويعطينا هذا النص صورة واضحة على أن الوجود الشيباني في تلـــك المرحلة التاريخية قد بلغ أوجه في الجزيرة.

ثم حكم المنطقة الحمدانيون، وبنو حمدان هؤلاء من تغلب وقـد بـدؤوا عملهم السياسي في الدولة العباسية حيث كانوا عمالاً للخليفة، وكانوا من أهل ديار ربيعة، فنشؤوا بها وأقاموا أول ما أقاموابها دولتهم فيها، ولقـد ارتبـط تاريخهم ارتباطاً وثيقاً بديار ربيعة ومنها الموصل ــ وهي قصبتها ــ ورأس العين وماردين ونصيبين وميافارقين وآمد وجزيرة ابن عمر وغيرها.

ويتحدث سعيد الديوه جي عن هذه المرحلة قائلاً: «وفي هذه الفترة نجد أن ابني حمدان يتوليان ديار ربيعة والموصل، فكان الحسين في ديار ربيعة، وأبو الهيجا في الموصل، وصار مركزهما قوياً وكان الخليفة المقتدر ورجال دولته ينظرون إلى أبناء حمدان بعين الحذر[1]».

واستمر الوضع على ماهو عليه حتى استطاع العقيليون القضاء علـى بقايا أبناء حمدان، حيث أزالهم أبو الذواد محمد بن المسيب العقيلـي، وبنـو عُقيل هؤلاء كانوا من أتباع بني حمدان، ثم انقلبوا عليـهم وقضـوا علـى دولتهم، واستولوا على الموصل وما يتبعها، فكان أول نشوء الدولة العُقيلية.

إلا أن هؤلاء العقيليين لم يستمروا أيضـاً، حيـث اسـقطتهم سـلطنة السلاجقة بعدما امتد حكمهم إلى حلب، وكان قد حصـل بيـن العقيلييـن و المروانيين أصحاب ميافارقين خلافات كبيرة في منطقة الجزيـرة الفراتيـة، وخاصة مناطق (بعربايا) و (ماردين) وغيرها، فقد امتدت هـذه الخلافـات حتى عام /٤٧٠/ للهجرة تقريباً حتى قضى عليهم السلاجقة بقيـادة ملكشـاه

---

(١) انظر كتاب «تاريخ الموصل» سعيد الديوه جي صفحة ٩٤.

أولاً ثم تتش بن ألب أرسلان. في بداية عصر الحروب الصليبية قامت عدة دويلات تركمانية حكمت أعالي الجزيرة مع مناطق من آسيه الصغرى، كان من أهمها دولة الأراتقة، فقد حكم بنو أرتق المنطقة بشكل متقطع وتأسست دولة أتابكة الموصل التي حكمت الجزيرة وحلب، ثم جاء بعدها سلطان بني أيوب، وفي أيام بني أيوب بعد صلاح الدين طرق الجزيرة فلول الخوارزمية، وقد ذكر ذلك ابن الأثير بقوله: «في العام ٦٢٨هـ تفرق عسكر جلال الدين بن خوارزم شاه فقصدت طائفة منه حران، وقصدت طائفة نصيبين والموصل وسنجار وماردين وغير ذلك من البلاد، ونزلوا نصيبين وأحرقوها وفعلوا بها أعظم مما فُعِلَ بغيرها[١]».

ثم جاء بعدهم التتر المغول الذين تمكنوا قبل من القضاء على الدولة الخوارزمية، وانفتح أمامهم العراق واستولوا على بغداد، وبعدها تقدموا نحو الغرب ووصلوا إلى بلاد الجزيرة وانساحوا فيها مجتاحين ومدمرين للإنسان والحياة والأرض.

وحدثنا ابن الأثير عن ذلك بقوله: «ساروا في البلاد لا مانع يمنعهم، ولا أحداً يقف بين أيديهم، فنهبوا.. وفر أهل ماردين للقلعة[٢]».

ولقد أشار ابن شداد إلى تلك الحوادث بقوله: «قصدت التتار، ميافارقين فنزلوها وضايقوها.. ووصلت غاراتهم إلى بلد وماردين، وآمد[٣]».

---

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير ــ جزء ١٢ ــ صفحة ٤٩٨.

(٢) انظر كتاب «الكامل» لابن الاثير ــ جزء ١٢ ــ صفحة ٤٩٢.

(٣) انظر كتاب «الإعلاق الخطيرة» لابن شداد ــ ج٣/٢ صفحة ٤٧٣

وإن ما أتى به المغول من إرهاب واضطهاد، وخاصة في العراق والجزيرة قد أحدث اضطراباً في الأوضاع واختلالاً في النفوس، وتكونت العصابات وكثرت الغارات، من ذلك أن الأكراد أغاروا على بلاد ماردين في سنة ٧٥١ـ٧٥٤هـ.

وتحدث حسن شميساني عن ذلك بقوله: «والأكراد الضاربون في أنحاء متفرقة من إقليم الجزيرة حاولوا الاستفادة من الأوضاع المضطربة التي عاشتها المنطقة آنذاك فقاموا كعادتهم في مثل هذه الظروف.. بالإغارة على الأعمال والنواحي يعيثون ويفسدون وكان من هؤلاء المدعو بدر الدين حسو بن هندو بعساكره هاجم بلاد الموصل وسنجار وتغلّب على أصحابها وواصل تحركاته إلى بلاد ماردين فاشتبك مع صاحبها الملك الصالح شمس الدين صالح، واستطاع قهره وإفساد بلاده ونهبها[1]».

«ومشى إلى بلاد ماردين ونهبها»[2] ولم تعرف المنطقة الاستقرار والهدوء لاستمرار تدفق الشعوب التركية والمغولية، وتتوج هذا في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد بالاجتياح التيموري الذي سبب اضطراباً في المنطقة لمتداه يقارب المئة عام، حيث مالبث بعد تيمور أن حكم التركمان من طائفتي القرا قونيلو والآق قونيلو حتى وصل الحكم إلى عائلة حسن بك الطويل لتحكم المنطقة حيث بدأ عهد «البيكات التركمان» ومن ثم خلفه أبناءه ومنهم حمزة بيك «الذي استتب أمر الملك له وساس بلاد الجزيرة طولاً وعرضاً بعد أن أناب فيها العمال والأعوان[3]».

---

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» حسن شميساني ط دار الكتب بيروت ١٩٧٨ صفحة ٢٥٧ـ ٢٥٨.

(٢) انظر كتاب «السلوك» للمقريزي ج٢ صفحة ٨٣٠.

(٣) انظر كتاب مدينة ماردين حسن شميساني ط دار الكتب ببيروت ١٩٨٧ صفحة ٣٠٠ـ ٣٠١.

وكان ذلك حوالي سنة ١٤٣٧م/ ٨٤٠هـ.

وفي أواخر عام ٩٠٧ هجرية انتهى عصر التركمان من سلالة حسن بيك الطويل على يد الصفويين، ثم بعد ذلك دخلت المنطقة تحت مظلة الحكم العثماني الذي استمر حتى الثورة العربية الكبرى أيام الحرب الكونية الأولى، وبعيد هذه الحرب زالت السلطنة العثمانية وحكم أتاتورك بقاياها حيث أسس الجمهورية التركية التي مازالت إلى اليوم تحكم تركيا.

تلكم كانت لمحة سريعة وموجزة عن الوضع التاريخي والسياسي للمنطقة، ولقد رأينا كيف أن منطقة الجزيرة الفراتية قد مر عليها الكثير من النكبات والحروب والغزوات، وخلفت تلك المآسي وتركت وراءها جملة من الآثار السلبية المأساوية، والتي أثرت على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في تلك المنطقة، وكان لها أشد التأثير على حياة المجموعات البشرية التي كانت تعيش هناك، وخاصة المجموعة العربية ومنها العشائر العربية التي تعيش هناك ومن جملتها بقايا بني شيبان وغيرهم والتي كانت تعيش وتقطن هناك ولقد بدأ النفوذ القبلي والعشائري هناك يتقلص رويدا رويدا مع تراجع النفوذ السياسي العربي.

كما إن النفوذ الشيباني أخذ يتقلص بدوره من جراء ذلك، ونتيجة لهذه الأحداث وخاصة بعد انهيار الخلافة العباسية وبداية الهجمات الشعوبية على المنطقة، ونستطيع أن نجمل أسباب ضعف النفوذ الشيباني بما يلي:

١ــ انضمام الشيبانيون للخوارج وتزعمهم لهذه الحركة ووقوفهم ضد حكم الخلافة العباسية وقبلها الأموية، الأمر الذي جعل بعض الخلفاء يحقدون عليهم حتى إن أحد الخلفاء العباسيين (الواثق بالله) قد قاد حملة بنفسه للقضاء

على ثورتهم.

وإن القضاء على الخوارج من الشيبانيين أو من والاهم كان يترك آثاره السلبية على كل أبناء هذه المجموعة العربية والتي جرّت المنطقة برمتها إلى كثير من الويلات، وانعكست بشكل مباشر على السكان أنفسهم.

٢ـ تعرض المجموعة العربية لعمليات تطهير عرقي على يد المجموعات الشعوبية وخاصة المغولية، والتركمانية، والكردية، والتركية، وغيرها. ولاسيما عند اختلال موازين القوى هناك منذ نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، وقيام الهجمات الشعوبية وكان لهذا الأمر أثره البالغ في انحسار المد السكاني الشيباني وتراجعه ليستقر في منطقة محدودة أو لنقل ضمن حيز جغرافي صغير.

٣ـ سيطرة الحكام التركمان على المنطقة، والذي تمثّل في الحكم (البكوي) الذي كاد أن يزيل النظام القبلي العشائري وأن يحل محله، وكان لهذا الأمر أثر بالغ في انهاك الهيكلية القبلية والعشائرية، الأمر الذي جعل المجموعات العربية عبارة عن مجموعة سكانية متفرقة هنا وهناك خاضعة لحكم (بيك) معين.

٤ـ الحروب والنزاعات مابين العشائر العربية التي أنهكتها هذه الحروب وأضعفتها وتركت آثاراً سلبية على الوضع العام في المنطقة.

هذه الأمور كلها قد أسهمت شيئاً فشيئاً في انحسار المد العربي في المنطقة وتراجعه، وبالتالي فإن القبائل العربية التي كانت تقيم هناك ومنها بني شيبان قد ضاقت بهم السبل، مما جعلهم في حالة ضعف وقسمة وخوف بعد ما كانوا في حالة قوة واتحاد، وأخذ الإشعاع العربي يخفت شيئاً فشيئاً حتى كاد أن يتلاشى..

وإن كثيراً من العشائر العربية قد رحلت عن تلك المنطقة ولم يبق منها اليوم إلا القليل وخاصة تلك التي نزلت في هذه المنطقة منذ زمن طويل واستقرت فيها معتمدة على أعمال الحراثة والزراعة والتجارة وعيشها في قرى منعزلة عن غيرها من المجموعات الأخرى كما هو حال (المُحلّمية) اليوم الذين بقوا من بني شيبان حيث لازالت تعيش في ديارها في منطقة طور عابدين في المنطقة العربية (باعربايا) وكذلك هناك بعض التجمعات لعشائر عربية أخرى، وهي أقل عدداً مثل الراشدية والمخاشنية والتغالبة (أهل أزخ) وقسم من طي وبني سبعة وغيرهم.

وإن هذه العشائر مجتمعة هي الباقي المتبقي من وجود عربي كثيف وكبير كان أول من أستوطن تلك المناطق وأعطاها اسمه، وعمل على بناؤها وإعمارها مع غيره من المجموعات الأخرى التي كانت تعيش هناك.

وإننا نستطيع أن نعطي مثالاً واحداً عن انحسار المد العربي الشيباني هناك بأنه خلال حقبة زمنية لا تتجاوز خمسة قرون كانت عشيرة المُحلّمية تمتد عبر خط طويل يصل ما بين أزخ عند جزيرة ابن عمر إلى حدود ماردين حيث كانت هناك أكثر من خمسئة قرية مُحلّمية لم يبق منها اليوم سوى عشرات القرى والبلدات، والتي لازالت عامرة بأبناءها المُحلّميون العرب إلى يومنا هذا. والذين لم يعودوا يعرفون عن عشائرهم وقبائلهم، بل حتى عن وجودهم التاريخي أي شيء، سوى أنهم من (بني مُحلّم) وأنهم عرب ينتمون إلى أصول عربية خالصة.

ـ ثانياً ـ

ديار المُحلَمية

(١)

إن ديار المُحلَمية اليوم هي منطقة حضرية يعيش فيها أبناء المُحلَمية، وهي ذاتها منطقة استقرارهم (الرعوية القديمة) حيث كانوا يعيشون هناك كعشائر رعوية وما تتطلبه حياتهم تلك من البحث عن مراعٍ خصبة ومياه وفيرة، وإنهم قد وجدوا في هذه المنطقة مايجعلهم يقيمون فيها بصورة دائمة، وقد استطاعوا المحافظة عليها نتيجة كثرة أعدادهم ووجودهم ونفوذهم الذي وصل في بعض الأحيان إلى حد السيطرة الكاملة على هذه المنطقة وما يجاورها من مناطق جغرافية كما تقدم ذكرنا لذلك.

وإن استقرارهم الطويل في هذه المنطقة ساعدهم على الانتقال من حياة البداوة إلى الاستقرار ثم إلى التحضر، ولدينا كثير من المعطيات والمؤشرات والدلائل التي تساعدنا وتعطينا فكرة عن وقت انتقالهم وتحولهم من حياة إلى أخرى.

ومن ذلك:

أ ـ السكن العمراني: حيث إنهم قاموا ببناء البيوت والمساكن وشيدوا القلاع والبنية التحتية اللازمة لسكناهم، ولقد ساعدت الطبيعة الصخرية للأرض في الحصول على المواد الأولية اللازمة للبناء، حيث نجد أن مساكنهم وبيوتهم مبنية من الحجر، وهناك ما يدل على وجود مساكن قديمة

من خلال وجود بقايا حجرية لها أصبحت على شكل أنقاض مرتفعة نسبياً. ويعود تهدم هذه المساكن أو خرابها لأسباب عدة: منها هجرة ساكنيها، أو لعوامل طبيعية، أو الحروب، وغير ذلك.

ب ـ **تكوّن القرى والتجمعات السكانية:** حيث كان هناك المئات من تلك القرى والتي مازال منها العشرات.

وهذا كله يعطي إشارة واضحة أن ساكنيها كانوا من المقيمين المستقرين بها، وخاصة أن هناك بقايا لبعض القلاع والتحصينات الموجودة في المنطقة، وهذا مؤشر على أن السكان كانوا يتخذون منها ملاجئ أو مخابئ لهم تحميهم من أخطار الحروب والغزوات، ومن هذه القلاع ما ذكره مار أغناطيوس في كتاب «طور عابدين» عن وجود قلعة قديمة اسمها (قلعة المُحلّمية) والقلعة الجديدة وغيرها.

ج ـ **الانتقال من الشكل الاقتصادي الرعوي إلى الحياة الزراعية،** وذلك بالاعتماد على الزراعة وخاصة زراعة الحبوب والأشجار المثمرة، وخاصة الكرمة (العنب) ولقد ساعد الموقع الجغرافي للمنطقة بكونها واقعة على الطرق البرية والنهرية الواصلة ما بين ماردين والموصل على عملية التحول هذه.

حيث كانت مدينة بازبدي (آزخ) القريبة من جزيرة ابن عمر على نهر دجلة بمثابة مرفأ نهري للمنطقة، فقد ساعد كل ذلك على قيام حركة تجارية مزدهرة ساعدت السكان في الانقلاب جذرياً نحو حياة اقتصادية جديدة. ولقد أعطانا ابن حوقل النصيبيني فكرة واضحة عن تلك المناطق ومدنها وحياتها المعيشية والاقتصادية بقوله:

ـ «وجزيرة ابن عمر.. مدينة صغيرة.. وبها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين وربح مضطرب لو لم يجرِ فيها حكم الشياطين والخوارج.. وتصل منها إلى الموصل المراكب مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن والجبن واللوز والبندق والزبيب والتين إلى غير ذلك من الأنواع وهي أحسن تلك الناحية عمارة».[1]

وقال: «وكانت أعمال دارا في الربع الشمالي وطور عابدين أيضاً، وهو من أعظم رساتيقها وقدر رستاق ابنين وهو مجاور لطور عابدين وكان لسيف الدولة بألفي كر حبوباً.. ورفع عصيرها ولسقاءها وعراصها وطواحينها».[2]

ولقد ذكر (بازيدي) آزخ بقوله: «حذها من الضيعة المعروفة بالمقبلة والأحمدي وباعوسا والبيضاء إلى حدود الجزيرة، ودخلها من الحنطة والشعير الحاصل ألف كرّ قيمتها من الورق ألف ألف درهم».[3]

وإن ما ذكره ابن حوقل عن منطقة طور عابدين ومنها الأحمدي والمقبلة وهما من القرى التي يسكنها المُحلّمية ليومنا هذا، دليل على أن تلك المنطقة هي حضرية واستقر فيها سكانها واعتمدوا على حياة اقتصادية جديدة (كالزراعة، والتجارة وغيرها).

د ـ التخلي عن العادات البدوية الرعوية القديمة، واكتساب عادات حضرية جديدة نتيجة عوامل الاستقرار والجوار، والحياة الاقتصادية

---

(١) انظر كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل النصيبيني ـ طبع دار مكتبة الحياة في بيروت ـ (من دون تاريخ) ـ صفحة ٢٠٣.

(٢) انظر المرجع نفسه صفحة ١٩٤.

(٣) انظر المرجع نفسه صفحة ١٩٧.

الزراعية والتجارية مع محافظتهم على لهجتهم العربية وبعضاً من عاداتهم وخصائلهم العربية.

ونرى ذلك واضحاً في بعض المستحدثات في حياتهم كشكل الملابس حيث إنهم قد تأثروا بالزي التركي مع المحافظة على زيهم العربي نوعاً ما، فاللباس عند الرجال يتكون من (جلابية قصيرة تصل إلى الركب، تحتها سروال طويل له تكيّ وفوقها صدرية تسمى بالتركي (يَلَكْ)، وعلى الرأس توضع (الشفقة) التركية). وقد فرض الأتراك عليهم لبسها وهي وجه من أوجه سياسة التتريك التي طالت اللغة والعادات وأسماء المدن والألقاب وغير ذلك.

أما لباس المرأة فهو عبارة عن فستان طويل حتى الركبة وتحته (شروال) يكون عادة ملون، وترتدي (اليلكْ) فوق الفستان كما أنها تغطي رأسها (بشاشية) بيضاء.

وإن هذه الألبسة كانت تخاط محلياً باليد وتنسج بالنول القديم. أما أحذيتهم فكانت تصنع من جلد البقر على آلة يقال لها (الجاروق)، وكانوا يستخدمون أدوات مختلفة اقتضتها حياتهم الجديدة، وإن كان معظم هذه الأدوات قد انقرض في الوقت الحالي، وحل محلها الأدوات الحديثة الكهربائية أو المصنوعة من الألمنيوم والستيل والزجاج ومن هذه الأدوات:

ــ دن الماء، حيث يصنع من الفخار ويستعمل لتصفية وتبريد الماء في موسم الصيف، والطاسي، والأبريق، والسجادة، والمرعز، والمنخل، والتنور، والصاج، والحطب، والهاون، والبساط وغيرها. وهي أدوات تتطلبها حياة الاستقرار والسكن.

(٢)

إن ديار المحلمية هذه هي منطقة قديمة أطلق عليها السريان وابن خرداذبة اسم «بيت محلم» وأطلق عليها المؤرخون العرب ديار بني شيبان ولقد ورد اسم هذه المنطقة وبعض قراها في العديد من المصادر التاريخية والأدبية، والتي أوردت أسماء بعض قرى وبلدات المناطق المجاورة لها، ولقد ذكرنا بعضا من هذه الأمكنة فيما تقدم وسنتحدث بشيء من التفصيل عن أسمائها في بعض المراجع الأخرى ومنها:

ما ذكره الأخطل (شاعر تغلب) عن سيادة بكر وتغلب وسيطرتهم على الجزيرة حيث ذكر اسم ماردين:

تربعنا على عرش الجزيرة بعد قيس
فأضحت وهي من قيس قفار
تسامى ماردون به الثريا
فأيدي الناس دونهما قصار[١]

ثم تراه ــ أي الأخطل ــ يتحدث عن نصيبين:

فآليت لا آتي نصيبين طائعا
ولا السجن حتى يمضي الحرمان[٢]

ثم ذكر الجودي في تلك المناطق، والجودي منطقة جبلية قريبة من جزيرة ابن عمر:

---

(١) انظر ــ الأخطل ــ الديوان ــ صفحة ٢٨٠.

(٢) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٢٩٨.

نساء زيد الله تروي عصبا

تعيدن بالجودي ورداً أصبها[1]

وفي الشرح ــ زيد الله ــ قبيلة تغلبية تسكن المنطقة.

ــ وحينما يتحدث الأخطل عن واقعة جرت ما بين بني شيبان أولاد (مُحلّم ومرة) قال:

أفي كل عام لا يزال لعامرٍ على الفرز نهب من أروش مزنمِ

لعمري ما أدري وإني لسائل أمُرّةَ أم أعمام مُرّةَ أظلمُ

وما كانت الجباء منا مربة ولا ثمد الكوربين ذاك القدم[2]

وفي الشرح: الجباء: منطقة في ديار ربيعة

وعامر: هو ابن عمرو بن مُحلّم الشيباني

ولقد ذكر ابن عربشاه أسماء بعض قرى المُحلّمية التي ما زالت أسماؤها موجودة ليومنا هذا، ولا زال سكانها مُحلّميون حيث قال: «ويسقيها (أي ماردين)، نهر الصور الآتي من جبل باسمه في طور عابدين ويصب هذا النهر في الخابور»[3].

والصور هذه بلدة من البلدات التي يسكنها المُحلّمية ليومنا هذا، وتعد من بلدات وقرى المُحلّمية في طور عابدين.

---

(١) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٧٤٣.

(٢) انظر الأخطل ــ الديوان ــ الصفحة ٧٣٦ ــ ٧٣٧.

(٣) انظر «كتاب عجائب المقدور» ــ لابن عربشاه ــ مصر ــ دار نافع للطباعة ــ ١٩٧٩.

ـ ولقد ذكرنا بأن ابن الأثير تحدث في «الكامل» عن بعض قادة الخوارج في تلك المنطقة وهو سعيد بن بهدل الشيباني، والذي خلفه الضحاك بن قيس المُحلّمي فإنه ذكر: «بأن جيشهم قد تم إعداده من أهل الجزيرة حيث تم تدريبه في المنطقة الواقعة بين كفرتوثا وماردين وكانتا مركزاً لتجمعاتها»[1].

ـ واخيراً فلقد ذكر مؤلف كتاب طور عابدين الأب مار اغناطيوس الأول في كتابه هذه المنطقة حينما قال: «إن المُحلّمية منطقة واسعة إلى الجهة الجنوبية من طور عابدين وكانت فيها أكثر من خمسمائة قرية»[2].

---

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير ـ ج٥ ـ صفحة ٣٣٤.

(٢) انظر كتاب «طور عابدين» ـ لمار اغناطيوس افرام الأول ـ صفحة ٣٥٢.

(٣)

أسماء الأمكنة

لقد سلف وذكرنا من قبل أن ديار المُحلَّمية أو (بيت مُحلَّم) تقع في المنطقة العربية والمعروفة باسم (باعربايا)، والممتدة من حدود قرية بازبدي (آزخ) عند جزيرة ابن عمر حتى حدود منطقة ماردين، حيث تنتشر قرى وبلدات المُحلَّمية، والتي يتوسطها قلعة صغيرة أثرية هامة تسمى (بقلعة المُحلَّمية)، جاء ذكرها في كتاب «طور عابدين» وما زالت إلى يومنا هذا تلك المنطقة هي ديار للمُحلَّمية حيث توجد عشرات البلدات والقرى المُحلَّمية، وهي ما تبقى من القرى الخمسمئة التي كانت في هذه المنطقة الواسعة.

وتعود أسباب انحسار قرى المُحلَّمية خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة منذ تاريخ استقرار المُحلَّمية في تلك المنطقة حتى يومنا هذا إلى ثلاثة أسباب هامة وهي:

١ــ ما لحق بالمنطقة الكثير من الحروب والغارات والغزوات التي خلفت آثاراً مدمرة على السكن والسكان في تلك المنطقة وغيرها من المناطق، مما أدى إلى تدمير عدد كبير من تلك القرى أو هجرانها.

٢ ــ الهجرة الخارجية والداخلية التي كان سببها الحروب والغزوات التي لحقت بالمنطقة وتأثيراتها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية هناك مما حدا بعدد كبير من سكان تلك المنطقة من المُحلَّمية إلى الهجرة للمدن العربية في سورية ولبنان والعراق، وإلى غيرها من مدن

الدول الأجنبية، كما وكانت هناك هجرات داخلية إلى المدن الرئيسية في تركيا وخاصة المدن الكبيرة منها كاستانبول وأنقرة وغيرها.

٣ ــ قيام التجمعات السكانية الكبيرة، مثل البلدان والمدن الصغيرة في المنطقة، وزوال القرى الصغيرة مما تسبب في تقلص عدد القرى أيضاً.

وسنورد فيما يلي بعضاً من أسماء البلدات والقرى المُحلّمية، ونستطيع أن نميز هذه البلدات والقرى عن غيرها من القرى والبلدات التي تسكنها مجموعات أخرى غير عربية من خلال محافظة هذه البلدات والقرى على الأسماء العربية، ووقوعها ضمن حزام سكاني جغرافي واحد، ومن هذه القرى والبلدات:

كفر جوزه، كفر علاّب، كفر جوشن، كفر حوّار، كفر عرب، شور أصبح، الصور، عين لوزة، جوزي، أبشه، الأحمدي، المنازل، أستل، كفر عنّاب، كفر سلط، عين كاف (عين كهف) وغيرها من القرى والبلدات.

ومن الملاحظ أن الصفة الغالبة على أسماء هذه القرى والبلدات هي أسماؤها العربية كما ذكرنا، وأنها مسبوقة بكلمة (كفر) وهي كلمة عربية تعني بلدة أو قرية أطلقت بمثابة سابقة على أسماء عدة بلدات في أماكن مختلفة من بلاد الشام ومصر وغيرها، مثل كفر حلب (حلب)، وكفر الدوار (مصر) وكفر تخاريم (إدلب، سورية).

وسنورد فيما يلي توضيح بعض أسماء هذه القرى والبلدات ومعناها باللغة العربية الفصحى، لأن أغلب هذه الأسماء هي صفات لبعض المهن أو مياه، أو أشجار، أو الموقع الجغرافي والتركيب الطبوغرافي.

جدول بأسماء القرى والبلدات والمدن المُحلّمية والكوسوية (عرب من غير المُحلّمية) في منطقة طور عابدين

ـ كفر حوّار[1]	ـ رشمل
ـ كفر علاّب[2]	ـ قبالا
ـ شور اصبح[3]	المخاشنيه[7]
ـ ابّشه[4]	مع سرتّه[8]
ـ قسطلونه[5]	استل[9]
ـ كنده ريب[6]	ايدو

---

(١) كفر حوار: كفر، الجمع كفور: الأرض البعيدة عن الناس. والكفر: قرية، حوّار: الحوّار هو نوع من الأحجار الصخرية. (القاموس)

(٢) علاّب: العلاّب هو من يضرب السيوف ويخدشها ويسمّها ويشحذها. (القاموس)

(٣) شوَر اصبح: الشّوْر هو العسل المجتنى. اصبح: اسود يضرب إلى الحمرة. (القاموس)

(٤) ابّشه: جمعه من القوم. تأبّشَ القوم أي تجمّعوا. (القاموس)

(٥) قسطلونه: تصغيراً لكلمة قسطل. والقسطل هو انبوب حجري أو اسمنتي لنقل مياه النهر. (القاموس)

(٦) كنده ريب: كنده: تل أو مرتفع جبلي. ريب : خوف فيصبح الاسم بالكامل جبل أو تل الخوف. (القاموس)

(٧) المخاشنيه: بلدة في طور عابدين وأهلها من العرب غير المُحلّمية. ومخاشن هو اسم لمنطقة تطل على جبل البِشر في الجزيرة الفراتية بين مدينتي الرقة ودير الزور السوريتين (معجم البلدان ـ الحموي).

(٨) مع سرتّه: مدينة غالبيتها من العرب وفيها بعض الأقليات.

(٩) استل: مدينة قرب مديات غالبيتها من العرب وأصبحت اليوم متصلة بمدينة مديات عمرانياً.

ـ حلدح	ـ الراشديه[2]
ـ كفر عنّاب	ـ المنازل
ـ عين كهف	ـ الصور
ـ جوزه	ـ الاحمدي[3-4]
ـ خربة الحجي	ـ كفر جوشن
ـ الزيارة (المزار)	ـ كفر عرب
ـ تفّه	ـ باطوشه
ـ زرنوقه[1]	ـ خربة الكنكريس[5]
ـ كفر شمع (خليط)	ـ كفر سلط[6]
ـ دير الذيب	ـ الخربه
ـ كفر عرق	ـ نونب
ـ كفر جوزه	ـ دير زبينة

وهناك أسماء لقرى كثيرة غير التي ذكرناها.

ـ ومن الأمثلة على أسماء القرى والبلدات التي تسكنها عشائر عربية من غير المُحلّمية؛ أي: أنهم ليسوا من بني مُحلّم:

---

(١) زرنوقه: ساقية أو نهر صغير. (القاموس)

(٢) الراشديه: بلدة كبيرة بالقرب من ماردين وأهلها عرب.

(٣-٤) الصور والاحمدي مدينتان في طور عابدين تسكنهما غالبية عربية مع بعض الأقليات.

(٥) الكنكريس: اسم يطلقه المُحلّميون على نوع من الأشجار المثمرة وثمره لا طعم له فيضربون به المثل على مالا يعجبهم.

(٦) كفر سلط: السَلَط هو الرمح الطويل (القاموس).

المخاشنيه، الراشديه، وغيرها من القرى الكوسوية.

ــ ومن الأمثلة على أسماء البلدات والقرى السريانية في المنطقة:

هوريت تللو ــ بنَه بيل ــ زرتو ــ زيتو ــ خرابة مشكه ــ اشتركو ــ بيت اسحاق ــ أربو.

علماً أن هذه القرى والبلدات هي ليست بعيدة عن بيت مُحلّم أو ديار المُحلّمية، وتعرف منطقتها باسم بيت ريشا، أو منطقة حصن كيفا.

ــ ومن الأمثلة على أسماء القرى الكردية في تلك المناطق:

سيتا ــ بِرتي ــ حولي ــ هسار ــ حَفَري. وهي قرى وبلدات تقع إلى شرق وجنوب ديار المُحلّمية.

ويمكن أن نورد هنا عدة ملاحظات على أسماء هذه القرى والبلدات:

١ ــ هناك تباين واضح بين أسماء القرى المُحلّمية (العربية) وأسماء القرى السريانية أو الكردية.

٢ ــ إن قرى وبلدات المُحلّمية تقع ضمن حزام جغرافي واحد داخل المنطقة العربية بينما تنتشر القرى السريانية شمال هذا الحزام والقرى الكردية إلى الجنوب منه.

٣ ــ إن القرى السريانية تقع في منطقة بيت ريشا، وإن هذه المنطقة هي إلى الشمال والشرق من طور عابدين، بينما منطقة بيت مُحلّم هي إلى الجهة الجنوبية من طور عابدين.

٤ ــ إن قرى المُحلّمية وبلداتها يسكنها المُحلّمية العرب حصراً، حيث لا نرى في هذه القرى أو البلدات إلا أعداداً قليلة جداً من غيرهم.

٥ ــ إن أسماء هذه القرى توحي بأنها كانت مراكز (تسليح) للجيش بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ولا عجب في ذلك وخاصة إذا علمنا أن كثير من ثورات الخوارج قادها شيبانيون مثل الضحاك بن قيس المُحلّمي وغيره كانت تنطلق من تلك المنطقة.

فالعلاّب: يعني صانع السيوف، وكفر علاّب تعني مكان السيوف أو مكان صنع السيوف، وكفر جوشن، مكان للدروع أو لصنع الدروع وكفر سلط، تدل على مكان الرماح الطويلة أو صنعها و(أبشه) هي مركز لتجمع القوم، وكفر شمع: مكان لصنع الشموع وهكذا.

وأخيراً فإن الذي ذكرناه حول أسماء أمكنة وجود المُحلّمية، والسمات التي تمتاز بها هذه المنطقة، يشكل أحد الدلالات والمعطيات القوية على مرجعية (المُحلّمية) لأصولهم العربية، حيث ما زالت بلداتهم وقراهم عربية الاسم والمسكن والسكان على الرغم من أن الحكومة التركية قد غيرت أسماء أغلبها واستبدلتها بأسماء تركية، كما أنهم متمسكون بلغتهم وأصولهم العربية.

هذا ولقد وضعنا في نهاية هذا الكتاب مخططاً توضيحياً يبين توزع بلدات وقرى المُحلّمية، كما وضعنا بعض الخرائط والصور عن تلك المنطقة.

ــ خلاصة ــ

بعد العرض الذي بيّنا فيه أماكن وجـود المُحلّمِيـة وأسـماء الأمكنـة والبلدات، والقرى المُحلّمية، وما قمنا به في الفصل المتقدم من إثبات نسـب المُحلّمية، وما إلى ذلك من أمور وحقائق نستطيع أن نقول:

إن (المُحلّمية) اليوم ليسوا إلا جزءاً من بني مُحلّم الشيباني، ولقد بينـّـا ذلك بأدلة ومعطيات قوية تدل على أن عملية الربط التاريخي قوية وموثقـة ومدعمة، لأن إثبات النسب بحد ذاته هو أمر نظري لا قيمة لـه دون ذكـر المعطيات والأدلة المؤكدة على عملية ارتباط ما بين النسب والمكان، أي بين المعنوي والمادي، أو قل بين الإنسان والأرض، ولقد استطعنا أن نثبت ذلك، ونعاود إيجازه بالنقاط التالية:

١ ــ لقد أكدت الأدلة التاريخية على أن الشيبانيين (بنو مُحلّم، بنو مرّة) قد استقروا في المنطقة العربية من ديار بكر المعروفـة باسـم (باعربايـا) والممتدة من آزخ حتى حدود ماردين والواقعة إلى الجهة الجنوبية من منطقة طور عابدين، وهذه المنطقة التي عرفت تاريخياً بأنها ديار بنو شيبان وديار مُحلّم، وما زالت هذه المنطقة يسكنها المُحلّمية ليومنا هذا.

٢ ــ إن نسب (المُحلّمية) يرجع إلى (مُحلّم) بن ذهل الشيباني، وليـس لغيره، ولا يمكن أن ينسبوا إلى غيره بأي شكل من الأشكال، كما لا يمكن أن ينسب العربي إلى غير يعرب بن يشجب، أو العدناني إلـى غير عدنـان وهكذا..

٣ ــ إن محافظة العنصر (المُحلّمي) في هذه المنطقـة علـى نقاوتـه العربية والقبائلية، واحتفاظه باسمه (المُحلّمي العربي) كان له الأثر البالغ في

عدم اختلاط هذا العنصر وانصهاره في غيره من المجموعات، سواء العربية منها أو غير العربية، على الرغم من كل الظروف والنكبات والحروب التي تعرضت لها المنطقة، والتي ذكرناها بشكل فيه نوع من الإسهاب والتوضيح.

٤ ــ المحافظة على اللغة العربية ضمن محيـــط غريـــب ومتنـــوع، وخاصة المحافظة على لهجتهم العربية المحكية، وهي لهجة المنطقة الممتدة حتى حدود الموصل، وإن محافظتهم على هذه اللغة والاسم العربي فيه شيء من الإعجاز حقيقة، إذ انهم قد قـــاوموا كـــل أشكـــال التغريـــب والجـــنب والانصهار الاجتماعي تاريخياً وخاصة في منطقة عـــاشت تحـــت رحمـــة الصراعات العرقية والقبلية والعشائرية.

٥ ــ إصرار وعناد العنصر المُحلّمي العربي على انتمائه العربي، هذا العناد والإصرار الذي وصل إلى حد التعصب والتمسك الإيماني، حيث إنهم حافظوا على أنفسهم بفرض هذا (الطوق) الاجتماعي مـــن حولـــهم، وذلـــك ليكون خطاً دفاعياً يحميهم من أي اختراق اجتماعي أو عرقي يمكن أن ينفذ ويكسر طوق الدفاع الاجتماعي هذا الذي فرضوه على محيطهم.

وخلاصة القول: إن الأدلة التاريخية التي أبرزناها وقدمناهـــا لإثبـــات نسب المُحلّمية وصلتهم بأصولهم هي أدلة واضحة وقاطعة، وكنّا حريصيـــن دائماً على إثبات هذا النسب بطريقة موضوعية تاريخية، وإننا لم نكن نختار إلا الأدلة المعتمدة على عدة مصادر مؤكدة، من عدة مؤرخين، ولقد حرصنا على تبيان أسماء تلك المصادر ونقل الأدلة بصدق وأمانـــة ودون لبـــس أو غموض.

ويجب أن نلاحظ باهتمام أن إثبات النسب هذا ربما لم يكن يحتاج إلـــى كل هذه الأدلة والبراهين والبحوث وغيرها، وخاصة في منطقـــة الجزيـــرة السورية، والتي لا تعتمد الأسلوب العلمي التاريخي الموضوعي في إثبـــات

النسب والمرجعية القبلية والعشائرية، إذ إن أغلبية أبناء المجتمع الجزري تكتفي بالإفصاح عن مرجعيتها القبلية أو العشائرية دون تقديم أي أدلة تاريخية على ذلك.

ولهذه الأسباب إننا نرى هناك تداخلاً عجيباً وغريباً في مسألة النسب والانتماءات القبلية والعشائرية في هذه المنطقة وصل إلى حد الفوضى والتسيب؟!

الفصل الرابع

قوة التكوين العربي المُحلَّي

ـ أولاً ـ

انتماء المُحلَمية للعروبة

يعدّ انتماء المُحلَمية للعرب أمراً تاريخياً وواقعياً، وهو قضية محسومة بالنسبة لأبناء هذه العشيرة، سواء أكانوا في مناطق وجودهم في ديار المُحلَمية في (تركيا)، أو في الجزيرة السورية، أو في أي مكان آخر يقطنون فيه. لكن ما الذي يجعلنا إذن نسعى لإبراز الأدلة المؤكدة على هذا الانتماء وهي مسألة لا تحتاج إلى مثل هذا التأكيد أو الإثبات؟!

إننا نقول بصراحة وبكل جرأة وفي الوقت نفسه بكثير من الأسف والألم: إن (المُحلَمية) في ديارهم (بتركيا) اليوم والذين يعيشون في منطقتهم العربية منذ عشرات القرون، معترف بعروبتهم من قبل السلطات التركية والشعبية وجميع المجموعات العرقية الأخرى هناك. وهم معروفون بأنهم عرب عند القاصي والداني، ولا يشك في عروبتهم أحد، ولم تثر أي مشكلة، أو معضلة تتعلق بانتماءهم العربي هذا.

لكن ظاهرة الطعن في هذا الانتماء، ومحاولة النيل منه، أو التشكيك فيه قد ظهرت في الجزيرة السورية، حيث يعيش المُحلَميون في أرض عربية وبين سكان جلّهم من العرب.

وهم كانوا قد أعلنوا، منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزيرة بأنهم (عرب مُحلَميون) وهم لظروف أسهبنا في شرحها فقدوا انتماءهم القبلي وهم لم يكونوا يعرفون أن (المُحلَمية) ترجع إلى مُحلّم بن ذهل الشيباني، ولم يكونوا

يعلموا بأنهم من بني شيبان، ولقد وجدوا أن التصريح بأنهم مُحلَّمية وعـــرب لا يكفي في منطقة الجزيرة السورية إن لم يقترن بانتماء لعشـــيرة أو قبيلـــة عربية، وهنا لا يُعرف العنصر العربي إلا من خلال هذه العشيرة أو القبيلة.

بينما كان الأمر مختلف تماماً في مناطق وجودهم (في تركيا)، فالتمايز هناك تمايز (عرقي، اثني) فعُرفوا بأنهم عرب واعتُرف لهم بذلك، أما هنـــا فالتمايز (عشائري، قبلي) لأنهم منذ البداية لم يعرفوا انتماءهم لقبيلة كبـــيرة ما، أو فقدوا هذا الانتماء القبلي نتيجة لظروف معقدة، جعلهم محـــل تســاؤل وصل إلى حد الشك بانتمائهم للعروبة.

ولم تستطع العشيرة كمجموع أو أفراد أن تعمل على تجسيد هذا الانتماء القبلي، أو قل تقنينه في أدلة ومدونات تاريخية، وفي الحقيقة فإن هذا العمـــل ليس من مهمة الأفراد، وهم غير قادرين عليه بل هو من مهمـــة العشـــيرة ككل، ومن المعروف أن عشيرة المُحلَّمية كانت وما زالت تفتقر إلى (الهيكلية العشائرية التاريخية).

ولقد كان حَرِياً بالقائمين على أمر هذه العشيرة من وجهاء ورجـــالات معروفين، اتخاذ ما يلزم لتدعيم الطابع العربي المميز للعشيرة وتثبيته وتنقيته بغية إبراز هويتها العربية بشكل واضح، وخاصة أن المناخ السياسي العـــام في منطقتنا كان يسمح ولا يزال للعمل على إبـــراز هـــذه الهويـــة واتخـــاذ الخطوات اللازمة لذلك، ومن هذه الخطوات مثلاً عقد النـــدوات واللقـــاءات وشرح الأوضاع والظروف التاريخية المريرة للعشيرة، والبحث عن مرجعية قبلية معترف بها ومدعمة بالأدلة الكتابية والتاريخية، وذلك بهدف ســـد كـــل المنافذ والرد على كل الشبهات، والمحاولات التي من شأنها طمـــس الهويـــة

العربية للعشيرة، أو صهرها أو دمجها، والتي وصلت في مرحلة من المراحل إلى حد محاولة ابتلاع هذه العشيرة وهضمها.

ولقد ساهمت عوامل القطيعة التي حصلت بسبب الشتات الحاصل والذي فرضته ظروف خارجية أدت إلى (إنشطار) العشيرة بعضها عن بعض، لكل شعبة منها ظروفها الخاصة بها في فقدان الانتماء القبلي.

كما إن هناك سبب آخر قد ساهم بشكل أو بآخر في عدم حصول هذه العشيرة العربية الأصيلة على (حقها الطبيعي) في أن تكون كغيرها من العشائر العربية ذات الريادة، وهذا السبب يتعلق بالوضع الاجتماعي والاقتصادي لأبناء هذه العشيرة، هذا الوضع الذي فرض على غالبية أبناء هذه العشيرة تسخير جلّ وقتهم في البحث عن لقمة العيش نظراً لفقر الحال والأحوال.

وهو الأمر الذي منعهم مادياً ومعنوياً من السعي نحو ذلك، وخاصة في ظل غياب مرجعية إدارية للعشيرة توفر لهم متطلبات القوة والوجود.

أما عن الطبقة المثقفة أو الواعية في هذه العشيرة فلقد ظلت خارج السرب كله، واكتفت ببعض المحاولات الفردية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

وذلك بإثارة بعض الحوارات والنقاشات هنا أو هناك مع بعض أفراد من المجموعات الأخرى، وهذا لا يكفي في الحقيقة لتدعيم المسألة المطلوب الدفاع عنها دائماً وأبداً وهي قضية الانتماء العربي.

وإننا إذ نفرد باباً خاصاً لهذه المسألة فإن القضية المطروحة للبحث هنا تستحق ذلك، وإنها ليست بالأمر السهل نظراً لما لاقته وتلاقيه قضية الانتماء

العربي لهذه العشيرة من تساؤلات ومن عقبات وشبهات من هنا وشبهات من هناك، وخاصة من قبل تلك المجموعات التي كان من مصلحتها دائما أن تثير هذه المسائل وتزرع بذور الشك والريبة في الطريق، وذلك لغايات ظـــاهرة وباطنة، فالغايات الظاهرة هي محاولة جذب هذه العشيرة الكبيرة والعريضة لها والموصوفة بأخلاقها النبيلة وعاداتها الأصيلة، والغايات الباطنـــة هـــي محاولة (نزع الثوب العربي) الذي ترتديه هذه العشيرة بغية طمس هويتـــها العربية الأصيلة.

ـ ثانياً ـ

في الحجج والأدلة المؤكدة على الانتماء العربي

لقد أوردنا جملة من الحقائق والأدلة الثابتة تاريخياً تثبت أن (المُحلّمية) هم إحدى العشائر العربية المنتمية إلى قبيلة بني شيبان بن بكر العربية، وذلك بشكل مفصل في المواد المتقدمة من هذا الكتاب، وإننا نعود في هذا الفصل لندعم تلك الأدلة التاريخية بأدلة وبراهين واقعية، وإن كان الأمر لا يستحق حججٍ وأدلة مؤكّدة أخرى أكثر مما بيّناه وفصلناه، إلا أن الموضوع المطروح هنا شكّل قضية حوارية وجدلية وتاريخية معقّدة في هذه المنطقة وعلى مدى عشرات السنين، لذلك ارتأينا أنه لابد من إزالة أي التباس يتعلق بهذه القضية، وسد كل الأبواب، وعدم ترك أي مجال لأحد لينفذ مجدداً ويثير ما يثير من الأقاويل والشبهات، ولو كان هذا الحيّز الذي يمكن أن يستطيع النفاذ منه بمقدار (خرم إبرة).

الحجج والأدلة الواقعية

بالإضافة إلى ما تقدم نستطيع أن نجمل الحجج والأدلة الواقعية والتـــي تؤكد على الانتماء العربي للمُحلَمية في أيامنا هذه في خمس نقاط وهي:

أولاً: عامل اللغة.

ثانياً: عامل الأرض.

ثالثاً: العادات والتقاليد والتاريخ المشترك.

رابعاً: مقاومة أشكال طمس الهوية العربية.

خامساً: الاعتزاز والفخر بالنسب وبالانتماء العربي.

أولاً: عامل اللغة

تُعدّ اللغة كما هو معلوم أحد العوامل الأساسية التي تقوم عليها الأمة وتحديد الهوية القومية لأي فرد أو جماعة بشرية، كما تعدّ الأساس الذي تلتف حوله وتلتقي عنده هذه الأمة، أو تلك الجماعة.

وإن هذه المقولة تنطبق تماماً على واقع عشيرة المُحلّمية، لأن عنصر اللغة هو الذي حدد ومنذ البداية هويتها وانتماءها العربي، وجعلها تتميز بذلك عن غيرها من العشائر والمجموعات غير العربية.

ولقد حافظ (المُحلّميون) على لغتهم العربية الأصيلة طيلة قرون عدّة، وما زالوا يتكلمون بها على الرغم من جميع عوامل الفرقة وسياسات التتريك والدمج التي كانت الغاية منها دمج العنصر العربي ومنه (المُحلّمي) بالثقافة التركية.

ثانياً: عامل الأرض

لقد ذكرنا في فصول متقدمة أن ديار المُحلّمية التي تعيش فيها إلى اليوم هي منطقة وجودهم منذ عصور عدة وعلى الأقل من العصر الراشدي، وما سُمّيت تلك الديار باسمهم إلا لكونهم أول من سكنها واستقر بها من العشائر العربية، حتى إن تلك الديار عرفت تاريخياً باسم بني شيبان وبني مُحلّم وكلها واقعة في ديار بكر، وبكر هي القبيلة التي ينطوي تحت جناحها الشيبانيون ومنهم بنو مُحلّم.

ولذلك ذُكر في التاريخ أن طور عابدين هو لبني شيبان وذُكر أيضاً أن الجهة الجنوبية لطور عابدين هي ديار المُحلّمية أو بيت مُحلّم.

لذلك إن الوجود (المُحلّمي) في تلك المنطقة وجود أساسي، حيث قام المُحلّميون ببناء وإعمار تلك المناطق مع غيرهم من سكان المنطقة من العرب الأصليين في عصور التسلط الفارسية والرومانية والبيزنطية، لذلك فإن وجود (المُحلّميون) في تلك المناطق وكونها موطناً أصلياً لهم لم يكن وجوداً حادثاً، أو عرضياً، أو عابراً، بل كان وجوداً مستمراً، وقديماً ودائماً.

وعلى الرغم من أن بعض هذه الأرض قد خرجت من دائرة النفوذ السياسي والإداري للدولة العربية اليوم، وأصبحت ضمن حدود الدولة التركية فإن إرادة التمسك بها وبكونها عربية ما زالت حاضرة في ذهنية الفرد العربي المُحلّمي حتى يومنا هذا، وإن هذا الشيء قد عزز من متانة وقوة وصلابة الانتماء العربي للمُحلّمية.

ثالثاً: العادات والتقاليد والتاريخ المشترك

يعيش المُحلّميون ضمن دائرة اجتماعية فيها اثنيات وقوميات متعددة، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا المحيط الاجتماعي المتنوع لم يستطع أن يمحو عن المُحلّمية (صبغتهم العربية) التي صُبغوا بها، فما زالوا محتفظين بعادات وتقاليد عربية على الرغم من عوامل الحداثة والتطور والتأثر والتأثير الاجتماعي المتبادل، وهم قد أثّروا في محيطهم الاجتماعي، كما إن هذا المحيط الاجتماعي قد أثّر فيهم، إلا أن كل هذه المؤثرات لم تمسح (الصبغة العربية) عنهم والتي ظلت خالصة ونقية.

وإن هذا التعصب لقوميتهم كان له ما يسوّغه حيث إنهم جعلوه بمثابة السد المنيع الذي حماهم من الانصهار الاجتماعي في مجتمعات وقوميات أخرى، مما جعلهم يعيشون في دائرة اجتماعية مغلقة، حتى إنهم رفضوا إقامة أي علاقات مصاهرة أو زواج مع غيرهم من أبناء المجموعات الأخرى، وذلك تخوفاً منهم من ضياع نسبهم واختلاط العروق والدماء وغير ذلك.

رابعاً: مقاومة أشكال طمس الهوية العربية

ومن أشكال هذه المقاومة:

١ ـ التحدث باللغة العربية في أماكن وجودهم ورفض التحدث بأي لغة أخرى، كما أنهم رفضوا اللغة التركية لغة أساسية في منطقتهم، مع عدم التحدث بتلك اللغة إلا لضرورات معينة بعدّها اللغة الرسمية في ذلك البلد.

كما إن الحكومة التركية قد انصاعت لمطالبهم بإلقاء خطب أيام الجمع في مساجدهم باللغة العربية.

٢ ـ إجبار الحكومة التركية على الاعتراف بهم كمجموعة ذات جذور عربية، والتعامل معهم على هذا الأساس، الأمر الذي جعل لأبناء هذه العشيرة هناك وضعاً مميزاً، يختلف عن أوضاع غيرهم من المجموعات الأخرى كالكردية مثلاً، وكان لهذا الوضع المميز أهمية في حسابات هذه الحكومة وسياساتها تجاه الأقليات الأخرى.

٣ ـ المحافظة على الطابع السكاني العربي للقرى والبلدات المُحلَّمية، وحمايتها من التغلغل العرقي إليها، لذلك فإن هذه القرى والبلدات ما زالت تسكنها أغلبية ساحقة من أبناء المُحلَّمية.

٤ ـ التصريح بالانتماء العربي والتعبير عنه دائماً، حيث إن (المُحلَّمي) ما زال يعلن وبصراحة وبجرأة أنه (مُحلَّمي عربي)، وهو ما يزال يحتفظ بهذه الهوية العربية ولا يعدّ الجنسية التركية التي فُرضت عليه ـ لأوضاع وظروف جغرافية وسياسية معينة، قد حلت محل هويته العربية الأصلية، حيث يعدّ أن الجنسية التركية وقبوله بها جاء من قبيل الإقرار بالأمر الواقع ولا يمكن لها أن تكون بديلاً عن الهوية العربية.

خامساً: الاعتزاز والفخر بالانتماء العربي

لقد تعرضت عشيرة المُحلَّمية في الوطن والمهجر لكثير من التأثيرات والمؤثرات والضغوط الأيدلوجية والعرقية لتنسلخ عن عروبتها، وعلى الرغم من تلك الظروف الصعبة التي فرضت عليها، فإن هذه العشيرة وفي كل أماكن وجودها، ما زالت تصر دائماً وأبداً على عراقة انتمائها العربي، وتعتز بذلك، وإنها تفتخر بانتسابها إلى أمة عربية عظيمة، وتعيش آمال تلك الأمة وآلامها لحظة بلحظة.

والفرد العربي المُحلَّمي يتحين كل فرصة أو مناسبة للتعبير عن هذا الانتماء العربي، وإن حبه لانتمائه وعروبته يصل في بعض الأحيان إلى درجة (التعصب) لقوميته، وكل ذلك كان بسبب ما مرّت عليه العشيرة من

ظروف مريرة قاسية، وذلك من خلال وجودها في محيط فيه الكثير من القوميات والأعراق.

وإذا سألت المُحلَّمي عن أصله ونسبه ولغته، فسيقول لك معتزاً بنفسه إنه (عربي مُحلَّمي)، ولا يتحدث إلا بلغته العربية في أي مكان كان ويأبى أن يلصق نفسه بأي مجموعة عرقية أخرى، كما إنه يغضب ويثور عليك إذا ما حاولت إلصاق نسبه وانتمائه بغير عروبته ويأبى ذلك، وفي هذا دليل على ترسخ الدم العربي في عروقه، واللغة العربية على لسانه.

الفصل الخامس

المغالطة التاريخية حول أصول المُحلَمية

أ ـ المغالطة التاريخية

لقد تحدثنا في مدخل هذا الكتاب عن أن عشيرة المُحلّمية قد انشطرت إلى قسمين، أحدهما وهو الأكثرية ظل يعيش في منطقته الأساسية والمعروفة باسم (بيت مُحلّم)، والقسم الثاني استقر خارج تلك المنطقة، وسكن سورية ولبنان والعراق، حيث تسبب ذلك في إيجاد حالة قطيعة وانقطاع ما بين القسمين، وإن هذه العشيرة ككل تعرضت لعملية (غسل دماغ) تاريخية من جراء ما تعرضت له المنطقة التي عاشت فيها من الحروب الكثيرة والويلات والغزوات، والتي استمرت لقرون عدة، استطاعت أن تمحو من الذاكرة المُحلّمية ما تحفظه عن انتمائها القبلي، لأن النظام العشائري والقبلي والذي هو من مخلفات النظام السياسي العربي آنذاك قد انتهى منذ زمن بعيد، ولقد أجهز الأتراك على ما تبقى منه من آثار وأشكال، فإذا سألت أي فرد من أفراد تلك العشيرة هناك إلى أي قبيلة ينتمون، أو إلى أي عرب ينتسبون فإنهم سيكتفون بالقول بأنهم (مُحلّمية)، وأنهم (عرب)، وهم لا ينسبون أنفسهم إلى أي قبيلة أو عشيرة كما سلف وذكرنا ذلك.

وعليه فإنهم لا يعرفون شيئاً عن انتمائهم لبني هلال أو غيرهم، ولا ينسبون أنفسهم إليهم ولا إلى غيرهم، وهم لا يعرفون ولا يؤمنون بأن (المُحلّمية) تعود إلى كونهم (الميت.. بيت)، أو (محل.. مية بيت) الباقية من بني هلال، بل إنهم لا يلفظون كلمة المُحلّمية، إلا بضم الميم وتشديد اللام أي (مُحلّمية) وليس بفتح الميم مع عدم تشديد اللام (مَحلمية)، وإنهم يقولون: إن

عددهم لم يكن مئة بيت بل كانوا خمسمئة قرية وليس بيتاً، وذلك منذ زمن سكناهم في تلك المنطقة التي عرفت باسمهم عشية استقرارهم بها.

وإن لفظهم لكلمة (المُحلّمية) هو لفظ صحيح ومطابق تماماً لنسبتهم إلى (مُحلّم) ليؤكد أن الجزيرة السورية كانت مصدر هذا الغلط أو الخطأ الذي وقع فيه بعض أبناء العشيرة في منطقتنا، حينما نسبوا المُحلّمية إلى (بني هلال)، ولذلك سببه وتسويغه، في اعتقادها وهو يكمن فيما يلي:

من المعلوم أن أبناء عشيرة المُحلّمية الموجودين في الجزيرة السورية قد قَدِموا أصلاً من منطقتهم (بيت مُحلّم) وذلك منذ حوالي قرن ونيّف.

وحينما استقروا في الجزيرة السورية وجدوا أن الأمر هنا قد اختلف عليهم من الناحية القبلية والعشائرية، حيث وجدوا أن القبائل والعشائر هنا تعرف بأسمائها وانتماءاتها.

وفرض هذا الوضع العشائري في الجزيرة عليهم ـ ولضرورات عدة ـ أن يحددوا هويتهم القبلية والعشائرية، وما عاد يكفي القول نحن (مُحلّمية عرب) مثلما كانوا يعرفون بأنهم كذلك.

ووجدوا أنه لا مفر لهم من أن يرجعوا عشيرة المُحلّمية وينسبوها إلى قبيلة ما، فالتركيبة القبلية والعشائرية هنا قد حكمت عليهم بهذا الأمر، ودفعهم هذا الوضع الجديد كما قلنا للبحث عن هذه المرجعية القبلية العربية ولأن ظروفهم وأوضاعهم وما تعرضوا له من حالات انقسام وقطيعة كانت صعبة، وإذا أضفنا إليها غياب (المرجع العشائري والإداري والثقافي) عندهم، كل ذلك جعلهم في موضع شك أو ريب يتعلق بمرجعيتهم القبلية وهذا الشك وصل في بعض الأحيان إلى حد الطعن في انتمائهم العربي فكان لابد لهم

من إيجاد مرجعية ما، وإبداع أي مرجعية قبلية كانت، فوجـدوا فـي كلمـة المُحلَمية ذاتها ما يساعدهم على إيجاد حل ما.

وحينما حلَّلوا هذه الكلمة لغوياً تراءى لبعضهم أنها كلمة مركَّبة مؤلفـة من مقطعين، هما (مَحلّ) و(مية) فقرؤوها (مَحلْمية) فكانت هي المخرج لهم حيث، استدلوا بقراءاتهم لهذه الكلمة بأنها تعني (مكان) لـ (ميـة) بيـت أو شخص أو ما شابه ذلك، فقالوا: هذه المئة بيت هي البقية الباقية من القبيلـة التي عبرت من هنا، وظل منها (ميـة بيـت) فسموا (بمحـل الميـة) أو (المَحلْمية).

والحقيقة إن هذه (الفبركة) اللغوية هي أيضاً ليسـت فـي محلـها، لأن الكلمة لا تقرأ (مَحلْمية) وإنما (مُحلّمية) بضم الميم وهي كلمة مفردة صفـة تنتسب إلى شخص أو جماعة.

ولقد أعانهم هذا التحليل على إلصاق عشيرة المُحلّمية بقبيلة بني هـلال فكانوا (المية.. الباقية) من هذه القبيلة التي سارت في الأرض، ولابد لها أن تكون قد وصلت إلى أطراف مناطقهم.

ولكن ربما سأل سائل: ولماذا تم إلصاق نسبهم ببني هلال دون غـيرهم من القبائل العربية؟

في الحقيقة إن إلصاق نسب المُحلّمية ببني هلال له قصة وحكاية وفيها تكمن الإجابة عن هذا التساؤل.

ذلك أنهم حينما وفدوا إلى منطقة الجزيرة وهي منطقة عربيـة الأرض والسكان واللسان بدؤوا بالبحث عن انتمائهم القبلي هنا وشرعوا بالبحث عنه في كتب التاريخ التي كانت متوفرة آنذاك في هذه المنطقة حيث إنهم لم يكن

بمقدورهم الاطلاع على هذا التاريخ هناك في مناطقهم الأصلية، لأن سياسة التتريك قد محت لهم كل أثر يدل على وجود القوميات الأخرى أو تاريخها في المنطقة ومنها المجموعة العربية، لذلك منعت تدريس التاريخ العربي، وفرضت اللغة التركية بدلاً من العربية، ولم تترك للعرب أو لغيرهم أي كتاب باللغة العربية سوى (القرآن الكريم)، حتى إن هذا الكتاب الكريم قامت بترجمته إلى اللغة التركية.

لذلك فإن المُحلّمية وجدوا هنا أن لهم فرصة تاريخية للبحث عن جذورهم، ولأنهم لم يكونوا بعد قد حصلوا على قسط وافر من العلم والتعلم والمعرفة، فلقد وجدوا في القصص الشعبي حكايات عن القبائل العربية وفروسية العرب وبطولاتهم، فقرؤوا حكايات الزير، وقصة أبا زيد الهلالي، وعنترة وغيرها، ولقد وجدوا أن السيرة الهلالية تتحدث عن قصة قبيلة كبيرة هي قبيلة بني هلال التي هاجرت من الجزيرة العربية، واتجهت نحو المغرب في شمال أفريقيا مروراً بمدن وقرى لا تعد ولا تحصى ومنها ـ كما زعموا ـ مدن هذه المنطقة وخاصة ماردين، وطبعاً إن ما تذكره الرواية الشعبية عن خط سيرهم لا أساس تاريخي له، وهذا ما سنقوم بتوضيحه في فصل لاحق.

فتوهموا أن بني هلال الذين لم يتركوا مدينة أو بلداً إلا ومروا فيها فإنهم إذ مروا بماردين، فلابد إذن من أنهم قد مروا بمناطقهم وهنا كان بيت القصيد حيث ظنوا بأنهم البقية الباقية من هؤلاء الهلاليين.

وهم يعرفون أنفسهم بأنهم عرباً ولا يشكون في ذلك، فلابد إذن من أن يكونوا (المية بيت أو محل) الباقية من بني هلال وهم قد تخلفوا عنهم ولم يتابعوا المسير لأسباب مجهولة.

ولقد استطعنا التوصل إلى هذا التحليل من خلال استطلاع آراء العديد من الشيوخ الكبار والوجهاء من أبناء المُحلَّمية، حيث وجدنا أنهم ما زالوا يخلطون كثيراً بين أبطال وقصص الروايات الشعبية، حيث ما زال الكثير يعتقد مثلاً بأن الزير وأبا زيد الهلالي هم من قبيلة واحدة إلى غير ذلك من المغالطات التاريخية.

وبهذه الطريقة تم اختراع هذه المرجعية مع أنها لم تستند إلى أي دليل تاريخي، أو لنقل أنهم اعتقدوا بصحة الرواية الشعبية وعدّوها دليلاً تاريخياً، الأمر الذي ساهم في إعطاء هذه المغالطة نوعاً من الشرعية التاريخية.

وعلى الرغم من أن هذه الحكاية حكاية البحث عن الجذور، هي من حيث شكلها لا تبدو أكثر من (محاولة بدائية) إلا أننا نستدل بها دلالة عظيمة على قوة الانتماء العربي عند هؤلاء المُحلَّميون، والذين أصبحت مسألة البحث عن انتمائهم القبلي بمثابة الهاجس، أو قل (العقدة) التي لم يكن يعرفوا السبيل لحلّها وفكها، وهم الذين يعرفون أنفسهم بأنهم من العرب، ولم يشكوا في ذلك يوماً من الأيام، وإن محاولتهم التاريخية (المتواضعة) لإثبات جذورهم القبلية، والتي تحدثنا عنها أعلاه، ليست إلا دليلاً قوياً على مدى تعلقهم بعروبتهم وانتماءهم، وفي الحقيقة والواقع إن هناك جملة من العوامل الموضوعية التي ساهمت بشكل أو بآخر في طرح مثل هذه المغالطات التاريخية ومن هذه العوامل:

أولاً: لقد خضعت ديار المُحلَّمية وغيرها من المناطق هناك لحكم عشائر (التركمان)، وذلك منذ حوالي قرون عدة، ثم تسلّط عليهم بعد تيمور الحكام التركمان من سلالة أوذون حسن بيك الطويل وأحفاده من بعده الذين تمكنوا من حكم المنطقة، وتنصيب أمراء وحكام محليين من قبلهم، ومنحوا هؤلاء

الحكام لقب (البيك)، ولقد استتب الأمر لهؤلاء (البيكوات) أو كما يسمونهم في المنطقة (البكوية) أو (البيكية)، وذلك لمدد طويلة حتى مع وجود الحكم العثماني الذي حافظ على تسميتهم بعد أن أخضعهم لنفوذ السلطة العثمانية وسلطتها المركزية.

وإن هؤلاء الأمراء من أمثال حمزة بيك، وميرزا بيك وغيرهم قد تقاسموا السيطرة على المنطقة، وحصل بينهم نزاعات وصراعات دموية، جرّوا إليها أبناء تلك المنطقة كلها.

ولقد قام هؤلاء (البكوية) أول ما قاموا به هو حل (السلطة العشائرية) بما فيها سلطة الشيوخ، وحلوا محلها، فأزالوا كل مظاهر الحياة العشائرية التي تعبر عن الوجود العربي هناك، ولقد ظلوا كذلك إلى عقود قريبة الزمن، حيث ظل (البكوية) يعرفون في ديار المُحلّمية باسم (بيت الأمير)، وإن كلمة الأمير نفسها قد استعاروها من الرعايا العرب الذين تحت حكمهم، فلقبوا أنفسهم بأمراء المُحلّمية؛ لأن المحكومين العرب يسمون حكامهم بهذا الاسم.

وإن هذه التسمية كما سلطتهم أصبحت شكلية واسمية وتاريخية ولا وجود فعلي لها في الوقت الحاضر.

ويقول حسن شميساني حول ذلك: «ولقد استتب الملك لحمزة بيك وساس البلاد الجزيرية طولاً وعرضاً بعد أن أناب فيها العمال والأعوان»[1]

وبالاستناد إلى ما ذكرناه أعلاه لقد أصبحت مرجعية الناس في هذه المنطقة (للبيكوات) أو (البيكية) بدلاً من شيوخ العشائر ولقد دخلت كل عشيرة من عشائر المنطقة تحت نفوذ واحد أو أكثر من هؤلاء (البيكية) لأن

---

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» لحسن شميساني ـ بيروت ـ مطبعة دار الكتب ١٩٨٧ ـ صفحة ٣٠١.

ديار المُحلّمية وقراهم قد وقعت تحت نفوذ اثنين مـــن هــؤلاء (البكويـــة)، فأصبحت القرى المُحلّمية الواقعة تحت نفوذ (عيسى بيك) تُسمى (قُرى عيسى بيك)، وقرى مُحلّمية أخرى تحت نفوذ (خليل بيك) فسميت (خليل بيك)، وإن الانتماء (لعيسى بيك) أو (خليل بيك) كان انتماء (إدارياً وسلطوياً) ولم يكـــن انتماءً (عرقياً أو قبلياً أو عشائرياً)..

ومع مرور الزمن ساهم هذا الوضع في زوال سلطة الشيوخ، وبالتـــالي القضاء على (الهيكلية العشائرية) بأسمائها ومســـمياتها، كمـــا أزال التمـــايز العشائري بين تلك المجموعات العشائرية، ولم يعد الفـــرد يُعـــرف إلـــى أي عشيرة ينتمي، ولا تعرف العشيرة إلى أي قبيلة تنتمي أو كانت تنتمي.

وأصبح الجميع يعرفون شيئاً واحداً فقط أنهم (مُحلّمية) وأنهم (عـــرب) ليس أكثر من ذلك.

وهذا الحال ينطبق على المجموعات العشائرية العربية الأخرى المستقرة والمتحضرة كالراشدية، لكن لا ينطبق على مجموعات البدو وغيرها.

ثانياً: بعد قيام الدولة التركية الحديثة على يد (أتاتورك) في الثلاثينـــات من القرن العشرين والتي رافقتها سياسة منظّمة تدعى سياسة التتريك التـــي طالت كل العناصر القومية غير التركية ومنها المجموعات العربيـــة، وقـــد عمدت هذه السياسة إلى طمس الهوية القومية غير التركية، ومنع التدريـــس باللغة العربية ومنع تدريس التاريخ العربي، وفرض اللغة التركية، وتغيـــير أسماء القرى والبلدات العربية إلى أسماء ومسمّيات تركية، ومنـــع ارتـــداء الزي العربي وتغيير الألقاب العربية، وفرض الزي التركي بدلاً عنـــه إلـــى غير ذلك من أمور.

وكان من نتائج هذه السياسة أن حافظت الحكومة التركية على الأوضاع السائدة في تلك المناطق، من حيث الإبقاء على (الشكل البيكوي) لحكم المنطقة ولو شكلياً، وكرسته هناك، لأنها وجدت في هذه الحالة خير وسيلة لنزع (اللباس العشائري) عن المجموعات العربية، والذي يحافظ على هويتها وتنوعها، لتتركها مجرد مجموعات عربية متجانسة تعيش في مناطقها دون أي رابط يربط بينها، وإن كانت هذه السياسات بمجملها لم تستطع أن تنزع أصالة الهوية العربية من هذه المجموعات التي ظلت محافظة عليها مع لغتها الأصلية.

ثالثاً: إن فقدان (الهيكلية العشائرية) للمُحلّمية نتيجة تلك الظروف المعقّدة وفقدان النمط العشائري والقبلي في تلك المنطقة برمته، أدى إلى عدم قدرة أبناء المُحلّمية في الجزيرة على بلورة (هيكلية عشائرية) لها مرجعيتها التاريخية، بالإضافة إلى تواكل القائمين على رأس العشيرة في المنطقة الذين اكتفوا بما قيل عن انتماء عشيرتهم إلى قبيلة بني هلال، ووجدوا في ذلك حجة كافية، الأمر الذي جعلهم يقفون عند هذا الحد عقود كاملة وأوقفوا معهم كل الجهود التي كان من شأنها أن تعمل للحصول على الحقيقة المطلوبة.

أما السواد الأعظم من أبناء هذه العشيرة فأصبح قسماً منهم لا حول له ولا قوة، والقسم الآخر وكأن الأمر لا يعنيه ولا ناقة له فيه ولا جمل حتى يجعل الله لهذا الأمر مخرجاً؟!

وعليه فإن هذه الأسباب التي ذكرناها مجتمعة قد وقفت حائلاً ما بين المُحلّمية وما بين إثبات مرجعيتهم القبلية، كما إنها ساهمت في تكريس هذه المغالطة التاريخية والتي أصبحت مع مرور الزمن عرفاً خاطئاً يتداوله الناس على أساس أنه الحقيقة والصواب.

ب ـ أسباب عدم إلحاق المُحلَمية ببني هلال

ذكرنا في الفصل المتقدم أن إلحاق المُحلَمية بقبيلة بني هلال سببه غلط لفظي وقع فيه الكثيرون منا حينما سموا (المُحلَمية) بـ (المَحلَمية) بفتح الميم، وما أدى إليه هذا اللفظ المغلوط إلى تفسيرات ونتائج أوصلت نسب العشيرة إلى بني هلال، ولقد بينا أن (المُحلَّمية) إنما هي نسبة إلى (مُحلَّم بن ذهل الشيباني) وأثبتنا ذلك بالوقائع والأدلة التاريخية.

إلا أننا ارتأينا أن نبيّن بشكل مفصل أسباب عدم نسب المُحلَّمية لبني هلال، وذلك لأننا إنما نخاطب السواد الأعظم من الناس ولسنا نخاطب المثقفين منهم فقط، ولأن غايتنا هي توضيح الأمر وإيصال الحقيقة بشكل مقنع لكل فرد يهمه هذا الموضوع.

وربما قد يصادف أن أحداً ما قد تفاجئه الحقيقة، ويبقى مصراً على ما تعمق في ذهنيته من معلومة خاطئة، ولو كانت هذه المعلومة الخاطئة لا أساس لها من الصحة.

وإن الذين كانوا قد أطلقوا وروجوا مسألة نسب المُحلَّمية لبني هلال كانوا مخطئين في ذلك خطأً فادحاً، ولا يهم هنا أن يكون هذا الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، بعلم منهم أم بجهل، ومع ذلك فإننا سنثبت بأن هذا (النسب) هو غير صحيح وليس له أي دليل يثبته على الرغم من أننا قد أثبتنا النسب الصحيح، وقضي في هذه المسألة، لكن علينا أن نرد على هذه الشكوك والتساؤلات حتى نبرئ ذمتنا تماماً تجاهها ونضعها على (الرف) ونتركها في ذمة التاريخ.

وإن أهم الدلائل التي تؤكد نفي نسب المُحلّمية لبني هلال هي:

ـ **أولاً**: لم نعثر في أي مصدر تاريخي قديم أو حديث ما يؤكد أن عشيرة المُحلّمية تنتهي إلى قبيلة بني هلال العربية، على الرغم من أن هذه القبيلة العربية قد مرّت بأماكن مختلفة، وهناك عشرات العشائر العربية التي تنتسب إليها في عدد من الدول العربية مثل: بنو شداد، وبنو جميلة في (صعيد مصر)، وبنو عزيز، وبنو فارع، وبنو عتبة في تونس، وبنو سعيد في الجزائر، وهؤلاء مذكورون جميعاً في كتب المؤرخين.

ولم نعثر في أي مستند تاريخي ما يشير إلى وجود عشيرة هلالية في بلاد الجزيرة الفراتية قاطبة، وإننا نؤيد هذا القول بما جاء في كتاب «عشائر الشام» للباحث أحمد وصفي زكريا حيث يقول: «ويرجع حي قيس بن عيلان إلى هوازن وبني سليم، وكانوا يقيمون في غربي ديار نجد في شرقي مكة والمدينة، وفي أوائل القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) اشتد الأمر على بني سليم ومجاوريهم بني هلال الذين يرجعون إلى هوازن، وضاقت البلاد بعددهم، فهاجروا إلى ديار مضر فهبطوا أولاً دلتا النيل ثم اضطروا إلى مغادرتها قسراً، فذهبوا إلى الصعيد، وفي سنة ٤٤٤ هجرية رضوا بالذهاب إلى إفريقية الشمالية فأغلب بدو إفريقية الشمالية يعودون في أصولهم إلى بني سليم وبني هلال، وشهرة بني هلال معروفة في هذا العهد في شعر العامة في قلب بلاد العرب. وعلى وقائعهم نظمت القصة المعروفة باسمهم المنتشرة في أيدي العامة كثيراً..»[1]

---

(١) انظر كتاب «عشائر الشام» لأحمد وصفي زكريا ـ ط دار الفكر ـ دمشق ١٩٩٧ ـ صفحة /٧٠/.

تتلخص من هذه المقولة الحقائق والأمور التالية المبنية على المصـــادر المبكرة في التاريخ وعلم الأنساب:

١ ــ إن مسيرة بني هلال لم تشمل مناطق الجزيرة الفراتية المعروفـــة باسم ديار بكر وديار ربيعة، بينما اتجهت من نجد إلى الشمال، ومن هنـــاك نحو مصر وتونس والجزائر، ولهذا السبب نجد أن هناك عشائر عدة باسـمهم منتشرة في مصر والصعيد وتونس والجزائر وغيرها، بينمـــا خلــت هـــذه المناطق كلها من ذكر أي عشيرة لهم.

٢ ــ إن التغريبة التي تتحدث عنهم هي (قد نظمت) تنظيماً أي ترتيبـــاً، ولا تحتوي إلا على جزء يسير من الحقائق والوقائع التاريخية، وإنها لا تعدّ مرجعاً تاريخياً بالمفهوم العلمي والتاريخي لهذه الكلمة مطلقاً، بل هي أقــرب ما تكون إلى الملاحم العامة، أو الحكايات أحياناً، حيث إنها قد ذكرت أسـماء وشخصيات ومدن ليس لها وجود مطلقاً في العصر الذي ذكرت فيه، ومـــن ذلك مثلاً (الملك بدروس ملك حلب) ومن المعلوم انه في القـــرن الخـامس للهجرة كانت حلب تخضع للدولة المرداسية العربية الكلابية، وكذلك ذكر اسم تيمورلنك في هذا التاريخ ومن المعروف أن تيمورلنك قد جـــاء بعــد ذلــك التاريخ بعدة قرون.

كما ذكرت التغريبة محاربة بني هلال للروم والفرس في مناطق بـــلاد الشام والعراق وتركيا في حقبة تاريخية كانت فيها الإمبراطوريتين الفارسـية والرومانية قد اندثرتا.

كما إن (السيرة الهلالية أو التغريبة) لا يمكن عدّها مرجعاً تاريخياً لذلك لم يتم ذكرها في أي مصدر تاريخي قديم أو حديث كما لم يعتمدها أي كــاتب أو مؤرخ مرجعاً تاريخياً له.

٣ ــ إن الكتب والمصادر التاريخية كلها لم تؤكد وجود عشيرة من بني هلال في الجزيرة الفراتية لكنها أكدت وجود عشائر لبني هلال في مناطق مصر والصعيد وتونس والجزائر.

ــ ثانياً: إن كلمة (المُحلّمية) لفظت بشكل خاطئ في منطقة الجزيرة السورية يختلف عنه في مناطقهم الأصلية حيث يلفظها أبناء العشيرة هناك بضم الميم وتشديد اللام (المُحلّمية) كما إن هذه الكلمة ليست مركبة كما ظن البعض أي تتألف من مقطعين بل هي كلمة واحدة وهي (صفة).

ــ ثالثاً: لقد استطلعنا آراء عدد كبير من كبار السن والشيوخ والوجهاء من أبناء المُحلّمية وخاصة الذين عاش منهم في ديار المُحلّمية بتركيا حالياً وأكدوا لنا جميعاً أن أبناء المُحلّمية في ديارهم الأصلية لم يسمعوا أو يعرفوا بأنهم ينتمون إلى بني هلال وأنهم هلالية إلا في الجزيرة السورية، وإن عشيرة المُحلّمية في تركيا كلها لا تُعرف هناك إلا (بعرب المُحلّمية).

ومهما يكن من أمر فإن القضية قد حسمت نهائياً وذلك بمعرفة النسب الصحيح (للمُحلّمية) وهي نسبتهم إلى مُحلّم بن ذهل الشيباني، وهو نسب متوافق مع التسمية والوقائع والحقائق التاريخية، وبذلك نكون قد أسهبنا في شرح أسباب هذا الغلط التاريخي، ولم يبقَ حجة لأحد علينا.

ج ـ المساوئ الناجمة عن هذا الغلط:

لقد مضى أكثر من ستة عقود منذ أن ألحق (مُحلّمية) الجزيرة أنفسهم بالنسب الهلالي وعلى الرغم من أن هذا النسب مطعون فيه، ولقد تمت (فبركته)، إلا أنه قد حقق لهم غايات نبيلة وضرورية حيث إنهم وفي غمرة البحث عن مرجعية قبلية لهم، فلم يكن بالإمكان أفضل مما كان.

وإذا كان المهم والأهم من كل هذا وذاك بأن (المُحلّمية) أولاً وأخيراً ينتمون إلى العروبة، وهذا أمر لا شك فيه ولا غموض على الإطلاق، ذلك بغض النظر عن الانتماءات القبلية والعشائرية وإن تمسكهم بهويتهم العربية ـ والتي ما زالوا متمسكين بها ـ وخاصة في مناطق ديارهم الأصلية (في تركيا) اليوم هي التي حمتهم وصانتهم من كل أشكال التتريك أو التكريد أو غيرها.

وعلى الرغم من ذلك فإننا لا ننكر أن هذا اللفظ قد (عرف وشاع) في منطقة الجزيرة السورية ولقد ترتب عليه جملة من الآثار السلبية ومنها:

١ ـ اعتراف القبائل والعشائر العربية بهذا الأمر بالاستناد إلى ما أعلنته عشيرة (المُحلّمية) ذاتها بإلحاق نسبها ببني هلال، الأمر الذي سيترك وقعاً كبيراً عند هذه القبائل والعشائر العربية حينما تعرف النسب الصحيح لهذه العشيرة وهو نسبهم إلى (مُحلّم) بن ذهل بن شيبان.. من بكر وإلى بني شيبان وليس بني هلال.

وخاصة أن البعض منهم قد قام بمحاولات لإثبات نسبهم، معتقدين أنه نسبهم الصحيح إلى بني هلال وقاموا بتعميم هذا النسب إلى بعض العشائر العربية (بمبادرة شخصية ذاتية) منهم.

وإن كانت الغاية من وراء هذا العمل هي محاولة تقديم شيء ما، يُعتقد أنه للصالح العام لهذه العشيرة.

٢ ـ قيام بعض أبناء هذه العشيرة بتغيير نسبهم وكنيتهم إلى نسبة (الهلالي) استناداً إلى هذا الأمر المغلوط واعتماداً عليه.

٣ ـ إسهام البعض من القائمين على رأس هذه العشيرة بتكريس هذا الغلط والترويج له، وتقاعسهم بالوقت نفسه عن تقديم الأدلة المؤكدة عليه، واعتمادهم على (مقولة) غير ثابتة وغير مؤكدة.

٤ ـ إن عدم وجود المستند والدليل التاريخي على نسب (المُحلَمية) لبني هلال ترك آثاره السلبية على الوضع العام للعشيرة، حيث لم يقنع الآخر بما ادعته (المُحلَّمية)، الأمر الذي ترك المجال مفتوحاً لكثير من الأقاويل وتلفيق التهم، والتي كانت تشك كلها في مرجعية هذه العشيرة وأصالتها.

٥ ـ أثناء إعدادنا لهذه الدراسة قمنا بإجراء الحوارات العديدة مع بعض وجهاء العشيرة، وخاصة كبار السن منهم، ولقد شعرنا بأن قسماً منهم لم يكن مرتاحاً لنفي نسبهم عن بني هلال، وذلك لأسباب معنوية ليس أكثر، وإن هذا الأمر بالنسبة لهم يعد كارثة لا يحمد عقباها، ولقد علمنا بأن الأمر بالنسبة إليهم لا يعني (التاريخي والواقعي والموضوعي) بقدر ما يكون (المعنوي) و(العرفي)، لأنهم طوال نصف قرن من الزمن عُرفوا بأنهم هلاليين، وعرفهم الناس بأنهم من بني هلال، وإن هذا (النسب الهلالي) ليس كمثله نسباً أكبر منه وأعز جاهاً، كيف لا وإنه نسب إلى (أبي زيد الهلالي) وطبعاً من لا يعرف أبا زيد الهلالي وهو بطل لا يشق له غبار، وإن التنازل عن النسب الهلالي هو الجنون بعينه، ومهما كانت الأسباب والمقتضيات والأدلة.

وهم لا يعرفون بأن النسب كالولادة كلاهما ليس من صنع أنفسنا، وكما أننا لا نستطيع أن نُخلق كما نشاء، كذلك لا يمكن أن ننسب أنفسنا لمن نريد ونختار ونهوى.

وإذا كان من العيب في حقنا ـ وليس الآن وقته ـ بأن نجري مقارنة بين بني هلال أو بني شيبان اليوم، وذلك لأن كلتا القبيلتين عربيتين أصيلتين، لكننا لابد أن نضع النقاط على الحروف، وأن نصحح التاريخ القابع في مخيلتنا، والذي ظل راسخاً وما زال عند البعض منذ عشرات السنين، ولابد قبل ذلك كله من أن نعيد قراءة التاريخ بأسس علمية وموضوعية، وأن نبرز المساوئ والإيجابيات فيه، ومهما كانت وسواء أردنا ذلك أم لم نرد.

وأذكر هنا قصة حدثت معي بالذات تتعلق بهذه المسألة، إذ إنه وبعد عرض مسلسل (الزير سالم) في التلفزيون العربي السوري أثار ضجة إعلامية وشعبية كبيرة حينما عرض المسلسل مشهداً (للزير سالم) وهو مربوط بحبل إلى حصان يجرّه.. كل الذين شاهدوا هذا المسلسل نددوا بذلك المشهد والجميع كذبوه وأدانوه لا بل إنهم قد شككوا في نوايا الكاتب والمخرج.

كل ذلك بسبب أن هذا المشهد قد أسقط البطل القابع في مخيلتنا وذاكرتنا، والذي لا يستطيع أحدٌ أن يسقطه من على ظهر جواده فكيف به يُجرّ ويُهان.

ومن خلال عملي الصحفي التقيت بكاتب العمل ممدوح عدوان الذي كان يكتب معي بذات الجريدة وتحاورنا حول هذه النقطة بالذات فكان جوابه: «إن التاريخ لا يرحم أحداً، فكيف بالزير أو غير الزير، هذه الحقيقة، حقيقة نهاية

الزير التي أخذناها من عدة مصادر تاريخية موثقة ومؤكدة. وحينها سألته عن سبب عدم اعتماده على القصة الشعبية «الزير سالم» أجاب: «إن تلك القصة تقوم على خيالات عدة تصل إلى حد الأسطورة.. وكان علينا أن نعطي للناس الوجه الحقيقي للتاريخ ولو كان صعباً أو أمراً مراً».

لذلك أستعير مما قاله عدوان بأن علينا أن نعطي لأنفسنا نسبنا الصحيح ووجهنا العشائري الحقيقي.

ولنعود ولنقرأ تاريخ بني هلال المذكور في (السيرة الهلالية أو التغريبة) والتي لم يتم إسنادها إلى أي مرجع تاريخي إطلاقاً، ولم يعدّها واحدٌ من المؤرخين أو غيرهم مرجعاً تاريخياً، لنعود ونقرأها من جديد قراءة موضوعية علمية لنجد كم تحتوي من مغالطات وخيالات ووقائع قد تكون شبه خرافية.. فهل يعقل أن نترك المصادر التاريخية الموثقة ونستند إلى هذه التغريبة لنعدّها دون سواها هي مرجعنا التاريخي الوحيد.

والتاريخ الحقيقي والصحيح يتحدث عن بني هلال أولاد عامر بن صعصعة، وهم عرب من ذوي الأصول العريقة، وإن هجرتهم نحو بلاد المغرب لم تكن سوى رحلة البحث عن العيش استغلها الوزير اليازوري، وزير الخلافة الفاطمية، لإلحاق الدمار بالمعز بن باديس لأسباب مذهبية، وأحدث الهلاليون في المغرب العربي تغييرات واسعة وعميقة، على الرغم من موقف ابن خلدون منها.

وليس من شأننا الآن التأريخ للهلاليين والسليميين، بل الذي نود تأكيده أن ما من عشيرة من هلال دخلت الجزيرة واستقرت بها، لا قبل القرن الخامس للهجرة ولا بعده.

وتغريبة بني هلال عمل قصصي روائي خيالي جميل، جاء من منتجات العصر المملوكي ففي هذا العصر كتبت معظم الملاحم الشعوبية مثل: الزير سالم، وعنترة، وحمزة البهلوان، والملك الظاهر، بالإضافة إلى تطور قصة ذات الهمة، وورود اسم تيمور في هذه الحكايات دليل على التأريخ لها في العصر المملوكي الثاني.

ونذكر هنا مما تقدم عن وجود قبائل شيبان في ريف العراق، ودخولها المبكر في الإسلام، ومبادرتها بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني إلى القيام بحركة الفتوحات منذ أيام الخليفة الصديق رضي الله عنه، وبناء عليه: إن شخصية العراق العربية الإسلامية قد أوجدها المثنى، وإنه نتيجة للفتوحات ولعوامل أخرى استقرت شيبان منذ صدر الإسلام في الجزيرة الفراتية وإن كان لها وجود قبله في تلك المنطقة قبل الإسلام مع وجود قبيلتها الأم بكر في ديار بكر، وهو الاسم الذي منحته لتلك الديار.

ومهما يكن من أمر فإن القضية قد حسمت اليوم، وإن هذه المغالطة التاريخية التي استمرت عدة عقود قد تبين (زيفها) وليس المهم هنا البحث عن مصدر هذه (المغالطة) أو ذاك (الخطأ) بقدر ما يكون مهماً هو عدم الاستمرار في الاعتقاد بها والترويج لها.

ولاشك في أن معرفة الحقيقة يكون في أكثر الأحيان (مفاجأة) قد لا يقبلها أحد، أو قد يلاقي صعوبة في تقبلها، لأنها تهدم ما ترسخ في ذهنيتنا من أمور خاطئة تشكلت على مدى زمن طويل، وباتت (عرفاً) ما لبث أن انقلب إلى واقعاً (تاريخياً) قد يكون من الصعب لفظه في لحظة واحدة، ومن الصعوبة تقبل غيره.

ولكن لابد من مواجهة الحقائق، والمسألة هنا لا تتعلق بقضيـــة ذاتيـــة وإنما تتعلق بمجموعات كبيرة من الناس شكلت على مـــدى قـــرون طويلـــة عشيرة كبيرة مترامية الأطراف لها جذورها العربية الأصيلة، وعليـــه فـــإن قضية نسب (المُحلّمية) إلى بني هلال أصبحت (مسألة منتهيـــة) فـــي نظـــر الواقع الموثق والتاريخ، وهي غلط تاريخي تم كشفه ولو بعد حين، ويجـــب بالتالي إلغاء كل ما ترتب عليه من آثار إيجابية كانت أم سلبية.

وإننا نود أن نغتنم هذه الفرصة لنؤكد من أن هنـــاك ضـــرورات عـــدة تدفعنا اليوم إلى إعادة قراءة التاريخ وكتابته من جديد بهدف غربلته لتقديمـــه للأجيال القادمة منقحاً، حتى تتمكن تلك الأجيال أن تقرأه قـــراءة صحيحـــة، لأننا نحن أبناء هذا الجيل من (المُحلّمية) عانينا كثيراً، وكانت بدايـــة هـــذه المعاناة فقدان (الموطن الأصلي) ومن ثم فقدان الانتماء، وبعدها المغالطـــات التاريخية والهجمات المغرضة، التي كادت أن تذهب بهذه العشيرة.

فعلينا أن نتحمل هذه الحقيقة، ولعلنا نكون قد قرأنا تاريخ هذه العشـــيرة قراءة موضوعية علمية صحيحة، وكتبناه بصـــورة موضوعيـــة صحيحـــة، لنسلمه لمن يخلفنا وثيقة تاريخية صحيحة، علّهم لا يعانون مثلما عانينا وعلّنا نكون قد اختصرنا لهم الطريق الطويل والشاق الذي سرنا عليه طوال عـــدة عقود مؤلمة.

الفصل السادس

في الرد

على مسألة انتماء المُحلَمية للسريان

ـ أولاً ـ

المحاولات السريانية

لقد ذكرنا فيما تقدم أن عشيرة المُحلّمية قد تعرضت لمحاولات جذب من قبل مجموعات عرقية غير عربية أو دينية بهدف ضم هذه العشيرة إلى تلك المجموعات ومصادرتها تاريخياً. وبالتالي فإن هذه المحاولات هي أشبه ما تكون (بعملية قرصنة تاريخية) بحقها والغاية الحقيقية منها الانقضاض على تاريخ العشيرة وضمها، ومن هذه المجموعات الجاذبة والتي حاولت جذب (المُحلّمية) لها هم سريان الجزيرة الذين كانوا يعيشون بالجوار من أمكنة وجود قرى وبلدات المُحلّمية في ديار بكر وديار ربيعة.

ولقد كانت أعتى هذه المحاولات هي تلك التي قام بها الأب مار أغناطيوس أفرام الأول حينما ذكر أن المُحلّمية كانوا سرياناً وأسلموا منذ حوالي ثلاثمئة سنة، وجاء ذلك في كتاب «طور عابدين» والذي ألّفه باللغة السريانية عام ١٩٢٤ وترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٦٣.

وخصص فيه فصلاً كاملاً عن عشيرة المُحلّمية، وذكر أسماء قراها ومراكز تجمعها، ومع إقرارنا بحضارة السريان وأصالتهم في سورية حضارياً ولغوياً، لكن لابد من التمسك بالحقائق الموثقة، ومن هذا المنطلق يأتي ردنا على ما جاء في ادّعاءات المؤلف المذكور في محله، لأنه أمر لا مفر منه طالما نحن نتحدث في هذا المؤلف عن عشيرة المُحلّمية وما يتعلق بها. ولكون هذا الادّعاء قد ساهم بشكل أو بآخر وبطريقة مباشرة أو غير

مباشرة، ومقصودة أو غير مقصودة، ساهم في خلق تيار عريض يؤيد هذه النظرية ويدعمها، ويروّج لها، وساهم في خلق الكثير من المغالطات والإشكالات التاريخية حول انتماء (المُحلّمية).

وسنقوم بالرد منطقياً على هذا المؤلف وأقواله حول هذه المسألة، ولكن لابد قبل ذلك من إعطاء فكرة ملخصة عما جاء في هذا الكتاب بخصوص (المُحلّمية) ليتسنى للقارئ الاطلاع عليه.

يتحدث المؤلف في كتابه «تاريخ طور عابدين» معرّفاً بالمكان وهو جبل طور عابدين أنه: «منطقة جبلية تقع ما بين النهرين إلى الشمال الشرقي لمدينة ماردين».[١]

وقد قال: «إن الجانب المطل على المنطقة المعروفة قديماً بـ(باعربايا) ــ أو المنطقة العربية ــ يعرف باسم جبل إزلا»[٢].

وفي الفصل الثالث من كتابه تحدث عن تنصر سكان طور عابدين وأكد أن منطقة بازبدي (آزخ) قد نالت البشارة الانجيلية مع مطلع القرن الثاني أي حوالي ١٢٠م.[٣]

والمعروف أن آزخ (بازبدي) هي معروفة تاريخياً بأنها أول ما تبدأ به المنطقة العربية، أو كما سمّاها (باعربايا).

وأضاف: «إن المسيحية انتشرت انتشاراً كاملاً في كل هذه المنطقة اعتباراً من القرن الرابع الميلادي».[٤]

---

(١) و(٢) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» ــ لمؤلفه مار اغناطيوس الأول ــ صفحة ١٩٧.

(٣) المرجع نفسه صفحة ٢٠١.

(٤) المرجع نفسه صفحة ٢٠١.

وأكد على ذلك بقوله: «إنه في منتصف القرن الرابع الميلادي هبط الجبل القديس أوجين القبطي.. وعاش فيه.. وبعد بضع سنوات.. نشروا.. بشارة الخلاص بين الآراميين والمجوس والوثنيين القاطنين في هذا الجبل طور عابدين وباعربايا (ديار العرب) حتى جزيرة ابن عمر.. وهدوا خلقاً كثيراً وشيدوا الكنائس».[1]

ثم ذكر عشائر المُحلَّمية بقوله: «في سنة ١٦٤٢م استولى الأمير التركي الأعور بن خليل الطويل على قلعة هيثم، وطرد منها الأمير أحمد بن نطفه، وجمع إليه (الأعور) عصابات كثيرة من الأكراد اليازيدية والجارودية، والمُحلَّمية».[2]

وتحدث عن قلعة (المُحلَّمية) بقوله: «هناك قلعة أخرى في باسبرينا ذكرها القس أدي في سنة ١٤٥٢م وتدعى قلعة المُحلَّمية وكانت قلعة صغيرة».[3]

ثم تابع قوله: «في عام ١٤٦٠ استولى الأتراك آل حسن بك الطويل، على القلعة الجديدة وطردوا منها (المُحلَّمية)».[4]

وتحدث عن مدن طور عابدين وقراه ودساكره، وذكر أسماء المدن والقرى المُحلَّمية أيضاً، وأشار إلى هذه القرى باسمها مثلاً: «ومنها كفر جوشن.. كفر عرب.. (وكلاهما للمُحلَّمية)..».[5]

---

(١) انظر كتاب (تاريخ طور عابدين لمار اغناطيوس أفرام الأول ـ صفحة ٢٠٢.

(٢) انظر المرجع نفسه ـ صفحة ٢٠٨.

(٣) انظر المرجع نفسه ـ صفحة ٢١٠.

(٤) انظر المرجع نفسه ـ صفحة ٢١٠.

(٥) انظر المرجع نفسه ـ صفحة ٢١٢.

ثم ذكر أسماء سلسلة أساقفة طور عابدين بصورة متتالية منذ العام ١٤٥٠ حتى العام ١٩١٥ ومنهم: المذياتي، النحلي، الجسنابي، الـزازي، الكربواني، النصيبيني وهذا نموذج من الأسماء وليست كلها.

ثم ذكر أسماء القرى التي ينتسب إليها القساوسة والأساقفة وهي مثلاً: قرتمين (قرية ثمانين)، عرناس، كفر رزي، انحل، آل ريشا، زركل، بيت ايل، حصن كيفا، سعرت، مذيات.

وخصص الكاتب الفصل الثالث والعشرين من الكتاب للمُحلّمية وقـال: «إن المُحلّمية منطقة واسعة إلى الجهة الجنوبية من طور عابدين، وكان فيها أكثر من خمسمئة قرية، والقرى المعروفة فيها إلى يومنا هذا هي (استل) كفر حوار ــ ابشه، كفر شمع، شور اصبح..».[1]

ثم أضاف: «إن معظم سكانها كانوا سرياناً».

ثم زاد: «إنه بحوالي عام ١٥٨٣ كـثرت المظـالم والضيقـات علـى المسيحيين من قبل الحكام الأتراك الظالمين لحين اضطرت قبائل المُحلّميـة ومنها استل.. فاعتنقت الإسلام تخلصاً من الظلم».

ثم تحدث عن هذاالحدث الهام (كما يسميه) الذي اضطر فيه (المُحلّمية) لاعتناق الإسلام فقال: «حدث هذا الحدث الهام في عهد سهدو بطريرك طور عابدين، وفي رواية أخرى إن ذلك جرى في عهد عبدو الهوزي الذي نجهل حتى رئاسته، أما التقليد الشعبي الذي يتناقله الناس في طور عابدين، والـذي مؤداه أن هذا الحدث كان في عهد البطريرك سمعان بطريرك ماردين، فـلا صحة له مطلقاً وليس إلا رواية خيالية».[2]

---

(١) انظر كتاب (تاريخ طور عابدين) لمؤلفه مار اغناطيوس الأول ــ الفصـل الثـالث والعشرين.

(٢) انظر المرجع نفسه صفحة ٣٥٣.

لكن ما هي هذه الرواية الخيالية؟!

يتحدث مؤلف الكتاب عنها متابعاً: «وسببه أن اسم إسماعيل أصبح غير ذا قيمة في طور عابدين للشقاق الذي أثاره في الكنيسة لسوء إدارته، فنسب إليه اعداؤه هذا الحدث أيضاً، وادعوا أن ذلك إنما حدث عندما منع البطريرك أبناء هذا الشعب (أي المُحلَّمية) من تناول الطعام المحرم في الصوم، فحرمهم البطريرك أو رفض قبولهم.. فأسلموا».[1]

وهذا يدل على أن ما كان يشاع عند السريان من أن سبب إسلام (المُحلَّمية) هو الصوم يدحضها مؤلف الكتاب ويعدّها رواية خيالية لا أساس لها من الصحة.

ثم تحدث في الصفحة ٣٥٤: «أنه أخبرنا شيوخ ثقات بأن إسلام المُحلَّمية لا يرتقي إلى أكثر من ٣٠٠ سنة».[2]

وتحدث أخيراً في الفصل الرابع والعشرين من الكتاب المذكور عن الفتوحات الإسلامية لتلك المناطق: «إنه في سنة ٦٤٠م استولى عياض بن غنم على طور عابدين صلحاً، ومنذ ذلك حكم المنطقة حكام أمد المسلمون».[3]

تلكم كانت أهم الأحداث التي ذكرها المؤلف في كتابه والمتعلقة بالمُحلَّمية، وارتأينا أن ننقلها بشكل كامل وحسب توارد ذكرها في الكتاب ليتسنى لنا الرد على كل ما ذكره مفصلاً.

---

(١) انظر كتاب طور عابدين لمؤلفه مار اغناطيوس الأول ــ صفحة ٣٥٣.

(٢) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٣٥٤.

(٣) انظر المرجع نفسه ــ الفصل الرابع والعشرين.

ـ ثانياً ـ

الرد على ما جاء في كتاب طور عابدين

إن الرد على ما جاء في كتاب (طور عابدين) يمكن إجماله في أربعة مواضيع ومحاور رئيسية وهي:

المحور الأول: الخلط بين مفهوم القومية والدين.

المحور الثاني: إغفال عامل اللغة.

المحور الثالث: المغالطات التاريخية والاعتماد على المصادر الكنسية واللاهوتية دون سواها.

المحور الرابع: إعطاء مثال واقعي (الأزخية).

المحور الأول:

الخلط بين مفهوم القومية والدين

السريان هم المعروفون تاريخياً (بالجرامقة)، وقد تباينت آراء المؤرخين القدماء في توضيح أصولهم، فمال بعضهم إلى القول بأنهم من الفرس أو العجم.[1]

لكن المؤرخين المعاصرين نجحوا في أن يثبتوا بأن الجرامقة هم الآراميون الغربيون، وأنهم عُرفوا بالسريان نسبة إلى سورية، ومن بين هؤلاء البحاثة القس سليمان الصائغ إذ قال: «أما بشأن تسميتهم بالسريان قد ألمح إليها المسعودي بقوله: الجرامقة هم طائفة من الكلدانية أي السريان..».[2]

وهذا ما أكده القس سليمان الصايغ في حديثه عن اللغة الآرامية عندما أفاد: «وكانت اللغة الآرامية منتشرة قبل ظهور الإسلام شرقاً إلى إمارة حدياب (وان) إلى سورية غرباً وشمالاً إلى أرمينية.. حيث كان يقطن الآراميون، وهؤلاء تركوا بعد تنصرهم اسمهم القديم وتسموا بالسريان المشارقة والمغاربة ليتميزوا عن الآراميين الوثنيين».[3]

---

(١) انظر كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير ـ الجزء ٥ ـ صفحة ٧٥.

(٢) انظر كتاب «تاريخ الموصل» لسليمان الصايغ ـ بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٨ ـ صفحة ١٤٥.

انظر أيضاً ـ كتاب «التنبيه والإشراف» ـ طبع القاهرة دار الصاوي (بدون تاريخ) ج١ صفحة ١٤٥.

(٣) انظر المرجع نفسه صفحة ١٣.

ومما يوضح هذه المعاني والحقائق المذكورة أعلاه ما جاء في كتاب «تاريخ كلدو وأثور» لمؤلفه أدي شير ـ ونظراً لأهميته فإننا نورد المقاطع التالية:

قال (أدي شير) مؤلف كتاب «كلدو وأثور»: «إن اسم الكلدان أو الأثوريين يطلق على شعب واحد دون تمييز، لأن لسانهم واحد وديانتهم، وتمدنهم وعوائدهم واحدة لا تختلف، غير أنه لما انتشرت الديانة المسيحية بينهم أهمل (المتنصرون) الاسم الكلداني الأثوري لنفورهم من كل ما يدل على الوثنية، لأن اسم الكلدان في تلك الأحقاب صار مرادفاً للتنجيم والفلك، وسموا أنفسهم مشارقة، وكنيستهم الكنيسة الشرقية، ولكنه اسم غريب خارجي، أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل (سورية)، ومن اليونان استعاره الآراميون الغربيون، ومنهم سرى إلى المتنصرين من الكلدان الأثوريين الوثنيين، فلم يكن الاسم السرياني يومئذ يشير إلى أمة، بل إلى الديانة المسيحية لا غير، ومما يثبت قولنا ما أتى في كتاب تاريخ إيليا مطران نصيبين (٩٧٥ ـ ١٠٤٦م) فإنه فسر لفظة سرياني بلفظة نصراني.

وإلى يومنا هذا نرى الكلدانيين الأثوريين لا يتخذون لفظة سرياني للدلالة على الجنسية، بل على الديانة، فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحي من أي أمة وجنس كان[1]».

وأضاف: «إن لغتهم كلدانية، ويقال أيضاً: آرامية، وغلطاً سميت سريانية كما إنه غلطاً سمّي أجدادنا النصارى سرياناً..».[2]

---

(١) انظر كتاب «تاريخ كلدو وأثور» لأدي شير ـ بيروت ـ الطبعة الكاثوليكية ـ ١٩١٢ ـ صفحة ٩٩٦ ـ وانظر أيضاً كتاب «اللمحة الشهية في نحو اللغة السريانية».. ليوسف داوود ـ طباعة الموصل ١٨٩٦ ج١١.

(٢) المرجع نفسه ـ صفحة ٩٩٦ ـ لأدي شير.

وإن هذه الحقائق المذكورة أعلاه أكدها مؤلف (كتاب طـــور عـــابدين) بطريقة غير مباشرة ودون أن يقصد عندما تحدث في كتابه عن نشر بشارة الخلاص في جبل طور عابدين قائلاً: «بين الآراميين والمجوس والوثنيين القاطنين في الجبل».[1]

ولا ندري من المقصود (بالآراميين) كما إنه لم يذكـــر عبـــارة (بيـــن السريانيين) وهذا يؤكد من أن الآراميين هم الذين تنصروا وسموا بعد ذلـــك (سرياناً).

وهذا يعني بأن السريان لم يكونوا في وقت من الأوقات أمة، وإن كلمة سرياني مرادفة لكلمة نصراني، وهذا ما جاء تماماً في كتاب تـــاريخ إيليـــا مطران نصيبين عندما فسر لفظة سرياني بلفظة نصراني ولـــهذا الســـبب لا يطلق الكلدان الاثوريين لفظة سرياني للدلالة على الجنسية بل على الديانة.

من كل ذلك نستخلص من هذه الأقوال والمراجع التاريخية بأن السريان هم: طائفة دينية ذات أصول كلدانية أو أثورية، ولا تدل كلمـــة (ســـرياني)، على انتماء لأمة سريانية بالمعنى الأيدلوجي لهذه الكلمة، إنما هـــي مرادفـــة للنصرانية، وهم قد تنصروا منذ أوائل القرن الثاني الميلادي على ما ذكـــره أكثر المؤرخين، وأصبح مثلهم مثل أي طائفة أو قبيلة تنصرت، مثل قبـــائل تغلب وبكر وطي العربية والجورجان الكردية.

والجماعات الأثورية الكلدانية التي ينتمي إليها (السريان) موجودة قبـــل النصرانية وقبل الإسلام، وكذلك هي حال الأمة العربية، ذلك أن الشعوب في تاريخ حياتها قد تنتقل من دين إلى دين دون أن يغير ذلـــك أو يؤثـــر فـــي المقومات الأساسية للأمة.

---

(١) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» لمؤلفه مار اغناطيوس ــ صفحة ٢٠٢.

فهناك قبائل عربية كما أسلفنا من قبل قد تنصرت كطي وتغلب، فـــهل نستطيع أن نقول بأن تلك القبائل التي تنصرت قد أصبحت غير عربية؟! ثم إن الصلات بينها وبين الآرامية (السريانية) وشيجة وأصيلة.

وكذلك الحال فإن هناك قبائل كرديـــة قـــد تنصـــرت مثـــل اليعقوبيـــة والجورجان، وهي تعيش في منطقة مجاورة لطور عـــابدين أيضـــاً، فـــهل نستطيع أن نقول إن هذه القبائل قد (صارت) سريانية أو آرامية؟! ذلـــك أن نصرانيتها لم تلغ أو تبدل من قوميتها شيئاً حيث ظلت تلك القبائل كردية.

وتحدث ابن خلدون في «تاريخه» عن بني تغلب قائلاً: «وكانت ديارهم في الجزيرة لجهات سنجار ونصيبين، وتعرف بديار ربيعـــة، وكـــانت لـــهم شهرة واسعة، والنصرانية هي الغالبة عليهم لمجاورتهم الروم».[1]

كما تحدث الأخطل عن بني قومه التغلبيين العرب وقال:

ويحاً بنـــي تغلـــب ضربـــاً نافعـــاً

انعو إياســـاً واندبـــوا مجاشعـــاً[2]

وقال إسحاق ارملة: «واسم ربيعة لهذه البلاد قديم كانت العرب تحله في بواديه قبل الإسلام، ويتصل نسب ربيعة بن نزار باسماعيل بن إبراهيم عليه السلام».[3]

---

(١) ــ انظر ــ ابن خلدون، تاريخه، جزء ٢، ٣ صفحة ٦٢١، ٦٢٢.

(٢) انظر ــ الأخطل ــ الديوان ــ صفحة ٧٤٤.

(٣) انظر كتاب «القصارى في نكبات النصارى» لاسحاق أرملة ــ طبعة بالأوفســـت ــ ١٩٧١ ــ ج١ صفحة ٦.

ونلاحظ في هذه المقاطع التاريخية أن المؤرخ ابن خلدون، والأخطل، وإسحاق أرملة عدّوا ــ وهذا صحيح ــ أن بني تغلب هم عرب نصارى، وإن ربيعة التي ينتسبون إليها هي عربية، والأخطل نفسه عربي تغلبي نصراني.

لكن مؤلف كتاب «طور عابدين» الأب مار أغناطيوس هو الوحيد الذي رأى أن بني تغلب هؤلاء كانوا «سرياناً» حيث ذكر في كتابه «اللؤلؤ المنثور»: «كانت منازل التغالبة أو بني تغلب إحدى قبائل العرب الكبرى كانت مسيحية سريانية أرثونكسية ظلت على نصرانيتها حتى المئة العاشرة، ومن أشهر رجالها غياث بن غوث المعروف بالأخطل»[1].

قال: إن تغلب من قبائل العرب الكبرى، أي إن انتماءها عربي، ثم قال بأنها كانت (مسيحية، سريانية ارثونكسية) أي إن ديانة تغلب كانت (مسيحية)، وهذا يفيد بأن تغلب عربية القومية، و(مسيحية) الديانة، أو بعبارة أدق (نصرانية) وهذا دليل قوي منه واعتراف خطير على أن النصرانية (المسيحية) هي الديانة، وأن القومية غير الدين، إذ إنه قال: إن انتماء تغلب القومي هو عربي، وبأنها (مسيحية سريانية)، أي: نصرانية. فالسريانية هي النصرانية، وهي ديانة وليس قومية وهو المطلوب.

وهذا ينطبق تماماً على قبيلتي بكر وطي، وكذلك على بطون بكر ومنهم بنو شيبان، ومنهم بنو مُحلّم، ومع ذلك يمكن القول بأن بني مُحلّم عرب شيبانيون كانوا (نصارى) ثم أسلموا، كما قال بأن (بنو تغلب) عرب كانوا نصارى ثم أسلموا، ولا يمكن القبول برواية أن المُحلّمية كانوا نصارى ثم

---

(١) انظر كتاب «اللؤلؤ المنثور» ــ لمار أغناطيوس الأول ــ صفحة ٥٠٦.

أسلموا قبل حوالي ثلاثمئة عام، لأن قبائل بني شيبان هي التي تولت أعباء مرحلة الأيام في فتوح العراق، ولم يرد في المصادر وجود نصارى بين شيبان بعد ذلك التاريخ، هذا ولا يمكن القبول بالتعميم الذي ذكره إسحاق أرمله في كتاب «القصارى في نكبات النصارى» حيث قال: «وشدد الحكام بعده على النصارى، وأنزلوا بهم النكبات والعقوبات، فاضطر نصارى الصور والأحمدي واستل ورشمل وعشائر المُحلَمية والراشدية والمخاشنية أن يهجروا النصرانية ويدينوا بالإسلام»[1] فهنا اسم المُحلَمية مقحم لسبب ما.؟!

وإن جملة (كانوا سرياناً ثم أسلموا) هي عبارة ملفقة تاريخياً إذ أنه عدّ أن كل نصراني في المنطقة هو «سرياني الأصل»، وهذا خطأ فادح قد دلّ عليه أدي شير حينما قال: «لم يكن الاسم السرياني يومئذ سيشير إلى أمة بل إلى ديانة».[2]

والملاحظ هنا أن هناك ازدواجية في استعمال المصطلحات، وإطلاق الأحكام، وذلك دون الاستناد إلى معيار تاريخي علمي ثابت وواحد التوثيق. فالكاتب يتحدث عن الفصل بين (السريانية) كدين وبين القومية حينما قال بأن تغلب عرب، وأن ديانتهم نصرانية (سريانية)، بينما لم يأخذ بهذه النتيجة عندما تحدث عن المُحلَمية وهم من بكر، فقال إنهم كانوا (سرياناً) ثم أسلموا،

---

(١) انظر كتاب «القصارى في نكبات النصارى» لاسحق أرملة ـ طبعه بالاوفست ـ ١٩٧١.

(٢) انظر كتاب «كلدو وأثور» لأدي شير ـ بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ـ ١٩٢٢ ـ صفحة ٩٩٦.

ولم يشر هنا إلى عروبتهم من أنهم كانوا من بني بكـــر، وتجـــاهل تـــاريخ الثورات الشيبانية الخارجية في الجزيرة طوال العصـــر الأمـــوي وأوائـــل العصر العباسي، والمؤلف نفسه عاد واعترف بهذه الاســتقلالية (للمحلميـــة) كمجموعة عربية غير دينية في الصفحة /٢٠٨/ من كتابه حيث قال: «فـــي عام ١٤٦٢ استولى الأمير وجمع إليه عصابات كثيرة من الأكراد، واليازنية والجارودية والمحلمية» فهو صنف المحلمية كعشيرة مســتقلة مثلـــها مثـــل العشائر الأخرى كالأكراد، والجارودية، أي إنه لم يقل (المحلمية ــ السريان) في ذلك التاريخ علما أنه في ذلك العام أي قبل حوالي ستمئة سنة لم يكن قـــد أسلموا لأن إسلامهم كان ــ حسب زعمه ــ قبل حوالي ثلاثمئة عام والحادثة المذكورة أعلاه يرجع تاريخها إلى حوالي ستمئة عام.

وهذا تناقض واضح في أقواله ويدل على أن (المحلمية) هم مجموعـــة عربية مسلمة، ولم تكن (مجموعة دينية سريانية) كما أراد أن يوهمنا.

وهنا يبدو الأمر واضحا وجليا أكثر عندما أشـــار المؤلـــف إلـــى قـــرى المحلمية إشارة واضحة، وفصلها عن باقي القرى (السريانية) بإضافة جملة أو عبارة (وكلاهما للمحلمية)، وبذلك أعطى لهذه القرى التي ســـكنها المحلميـــة طابعا مستقلا بذاته تمييزا لها عن باقي القرى السريانية، وهذا التمايز يدل دلالة واضحة على تمايز الانتماءات النسبية بين (السريان) و(المحلمية العرب).

كما إنه قد ذكر قلعة المحلمية، وحدد منطقة وجود المحلمية في الجهـــة الجنوبية من طور عابدين، وهي ذاتها المعروفة تاريخيا، باســـم (المنطقـــة العربية)، أو باعربايا (دار العرب)، ولقد أطلق السريان أنفسهم هذه التسمية.

ومن المعروف إلى يومنا هذا بأن المقصود بالعرب التي سكنوها هم (عرب بكر)، والمُحلّمية هم من بني شيبان بن بكر، فالمُحلّمية إذن هم المجموعة العربية التي سكنت تلك المنطقة (طور عابدين) ومنذ زمن طويل مثلما تم إثبات ذلك في الفصول الماضية من هذا الكتاب، ولهذا السبب سماها المؤرخون بديار بني شيبان.

وعلى الرغم من ذلك فإن لدينا أدلة تاريخية قوية تؤكد أن بني شيبان ومنهم (المُحلّمية) ـ كانوا قد أسلموا مبكراً، نذكر من هذه الأدلة ما يلي:

ـ ما ذكره ابن الفقيه الهمذاني بقوله: «قال الزهراوي.. لم يبقَ موضع قدم بالجزيرة إلا وفُتح على عهد عمر بن الخطاب على يد عياض بن غَنْمْ، ففتح حران والرقة.. ونصيبين وكفر توثا.. وطور عابدين، وحصن ماردين، ودارا وبازبدي..»[1]

ـ ولقد أكد حسن شميساني ذلك بقوله: «وأيد جهود عياض بن غَنْمْ في تلك الفتوحات، كل من ابن الأثير، وابن العبري، وابن شداد، وابن كثير وابن خلدون وأمثالهم، ويُستخلص مما ذكره هؤلاء المؤرخون أنه لما تولى عمر بن الخطاب أمر الخلافة عام ٦٣٤ ـ ٦٤٤م والمصادف ١٣ ـ ٢٤ هجرية أوفد إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يعقد لعياض بن غنم ويجهز معه الجيوش إلى ديار ربيعة وديار بكر، فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل، وسار عياض يريد الجزيرة، ففتح السن والرقة ورأس العين وماردين، ثم أرسل الوليد بن عقبة فجمع بني تغلب النصارى في تلك الديار، فطالبهم بالإسلام، فأسلموا، ثم حمل المسلمون على قرقيسيا، وملكوها، وكذلك استولى على

---

(١) انظر كتاب «مختصر كتاب البلدان» ـ لابن الفقيه الهمداني صفحة ١٣٢.

ماكسين، والشماسين، وعربان، والمجدل، وتبعهم في المذهب معظم نصارى بلاد ربيعة، وديار بكر، وديار مضر».[١]

ولقد قال سعيد الديوه جي: «إن بني شيبان بطن من بكر بن وائل، القبيلة التي انتشرت إلى ديار بكر التي عرفت بها، وسكن بنو شيبان الجزيرة والموصل، وكانت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات الموصل في صدر الإسلام، وأكثر أئمة الخوارج منهم..».[٢]

وقال في مكان آخر: «ومن القبائل التي تقطن بلاد الجزيرة والموصل، هم بنو شيبان، واستمرت ثوراتهم حتى القرن الثالث للهجرة، ومن بني شيبان شبيب بن يزيد الخارجي».[٣]

وقال: «في سنة ٢٧٩ هجرية.. زحفت بنو شيبان على نينوى والموصل، فتصدى لهم هارون الشاري، وحمدان بن حمدون التغلبي، والتقوا مع بني شيبان في بعشيقة، ومع بني شيبان هارون بن سليمان مولى أحمد ابن عيسى بن الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر».[٤]

وأخيراً، ذكر حسن شميساني تزعم بني شيبان لحركة الخوارج بقوله: «كما إنه كان لانتشار بني شيبان في وجهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى وثوراتهم وغاراتهم المتواصلة على مناطق واسعة من أرض

---

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» لحسن شميساني ــ طباعة عالم الكتب بيروت ١٩٨٧ ص٤٧.

(٢) انظر كتاب «تاريخ الموصل لسعيد الديوه جي ــ صفحة ١٩.

(٣) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٤٦.

(٤) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٧٤.

الجزيرة أثره السيء على تلك الجهات.. والواقع إن سياسة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للعباسيين حيناً والانتفاضة عليهم أحياناً..».[1]

من كل هذه الأدلة التاريخية التي أبرزناها تبين لنا أن الشيبانيين ومنهم (المُحلّمية) هم قد أسلموا مع قبيلتهم قبيل العام ٢٣ هجرية مع غيرهم من قبائل بكر وتغلب، وهم أيضاً قد تزعموا بعض حركات الخوارج، وكما هو معروف هي حركة دينية إسلامية، وليس كما يدعي المؤلف أن إسلامهم كان قبل حوالي ٣٠٠ عام، دون أن يستند إلى أي مصدر تاريخي موثق، ولهذا السبب ترى أن المؤلف نفسه قد وقع في تناقضات تاريخية تتعلق بمسألة إسلام المُحلّمية ومنها:

١ ـ عدم صحة الروايات التي استند إليها وذكرها عن تاريخ (إسلام المُحلّمية)، أو العصر الذي جرى فيه هذا الحدث.

فلقد عدّ الرواية التي تتحدث عن (إسلام) المُحلّمية في عهد عبدو الهوزي لا أساس لها من الصحة، وذلك أن المؤلف نفسه ينفي حتى وجود (الهوزي) برمته، لأنه يجهل حتى تاريخ رئاسته.

٢ ـ وكذلك دحض الكاتب (التقليد الشعبي) الذي تناقله الناس في طور عابدين، والذي مؤداه بأن هذا الحدث (أي إسلام المُحلّمية) كان في عهد البطريرك (إسماعيل)، فلقد عدّ الكاتب هذه الرواية خيالية.[2]

---

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» لحسن شميساني ـ طباعة عالم الكتب ـ بيروت ـ عام ١٩٨٧ ص٨١.

(٢) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» ـ لمار أغناطيوس الأول ـ صفحة ٣٥٣.

والجدير بالذكر أن هذه الرواية الخيالية التي تحدث عنها ما زالت عند البعض في منطقة الجزيرة صحيحة، حيث يؤكدون أن (إسلام المُحلّمية) كان سببه عدم قدرتهم على تحمل الصوم وذلك على الرغم من أن الكاتب نفسه ــ كما ذكرنا ــ قد عدّ هذه القصة خيالية أي خيال في خيال.

٣ ــ ثم يعود المؤلف ليروي وفق ما يعتقده أنه الصحيح من هذه الروايات الكثيرة والغريبة، ويدعي أن المُحلّمية قد أسلموا بسبب ما لقوه من اضطهاد على يد (العثمانيين)، وهذا أيضاً يفتقر إلى الدليل التاريخي، لأن اضطهاد الأتراك ــ على فرض وقوعه ــ لم يقع على المُحلّمية وحدهم، وإنه لابد وأن شمل جميع المسيحيين في المنطقة، ولا ندري لماذا لم يجبر هذا الاضطهادُ الجماعاتِ النصرانيةَ والسريانيةَ الأخرى على الدخول في الإسلام كما أجبر (المُحلّمية) على الدخول فيه؟! ولماذا لم تُجبر المجموعةُ الأزخية المسيحية على دخول الإسلام على الرغم من أن هذه المجموعة مجاورة للعشائر المُحلّمية، وظل أهل آزخ على نصرانيتهم؟!

وحينما كذّب الكاتب الروايات الأخرى التي تتحدث عن إسلام المُحلّمية، فإننا لا ندري إلى ماذا استند في هذه الرواية الأخيرة، ودون أن يذكر المستند التاريخي الذي يدعم رأيه وقوله؟ وهذا يعني بالمفهوم العلمي التاريخي أن روايته هذه هي أيضاً رواية خيالية مثلها مثل جميع الروايات الخيالية الأخرى التي ذكرها وأكدها بنفسه إنها خيالية.

والزائر اليوم لديار المحلمية قد يثير انتباهه مقابر المسلمين هناك، فسيجد أن بعض القبور والتي يرجع تاريخها إلى زمن بعيد هي قبور لموتى مسلمين، وما يدل على ذلك وضعية (الشاهدة) على القبر، وكتابة اسم

المتوفى، وبعض الآيات القرآنية، وهذا دليل واقعي آخر على أن المُحلّمية قد أسلموا قبل غيرهم من القبائل البكرية والتغلبية في تلك المناطق.

٤ ـ لقد ذكر المؤلف أسماء أساقفة طور عابدين وفق تسلسل عـــهودهم التاريخية حتى تاريخ ١٩٢٥، وذكر مـــن هـــؤلاء: (الســبريني، الكــرزي، العينوردي، القرتميني، المدياتي، النصيبيني). ثم ذكر القرى التي أنجبت هؤلاء القساوسة، ونذكر من هذه البلدات (قرتمين «قرية ثمانين»، كفــر رزة، عيــن ورد، زاز، باربي، كلبين، الأمدي، عرناس، آل ريشا، حصن كيفا، سعرت).

ومن هنا يلاحظ أن هؤلاء القساوسة الكرام جميعاً كانوا ينتمــون إلــى قرى سريانية معروفة، وما يزال بعضها قائماً إلى اليوم، وأن منبتهم كان من هذه القرى السريانية.

أوليس من الغريب أن لا ينتمي أي واحد من هؤلاء القساوسة إلى بلــدة أو قرية (مُحلّمية) في منطقة ادُعيَ بأن سكانها كانوا سريانا؟!

وهذا دليل قاطع وقوي على أن القرى والبلدات المُحلّمية هي قرى (عربية مسلمة)، وأنها لم تنجب أحداً من هؤلاء القساوسة منذ أكثر من ألفي سنة.

٥ ـ ولقد قال الكاتب بأن شيوخاً ثقات أخبروه بأن (إسلام) المُحلّمية (لا يرتقي إلى أكثر من ٣٠٠ عام) وهذا يعني أن روايته هي عبارة عن حديــث وكلام ولا ترتقي إلى مستوى السند التاريخي الموثّق والمعتمد.

ولقد يُخيل من حديثه للوهلة الأولى أن كلمة (شيوخ) قد يقصد بها شيوخ القبائل والعشائر العربية تلك، لكن في الحقيقة فإن تعبير كلمة (شيــوخ) قــد قصد به الكاتب (القساوسة والبطاركة)، وهذا أمر طبيعي لأنهم مــن كبــار السن الأتقياء، ونرى ذلك واضحاً في الصفحة /٢٣٠/ من كتابه لدى حديثــه عن أحد المطارنة واسمه (اثناسيوس ـ النحلي) واصفاً إياه بأنه (شيخ فاضل تقي).

المحور الثاني

(اللغة)

من المسلم به أن اللغة هي السمة الرئيسة والأساسية التي تعبر عن هوية شعب، أو جماعة، والمُحلّميون ـ كما سبق وأثبتنا أنهم من بني مُحلّم الشيباني أي أنهم من بكر ـ قد حافظوا على لغتهم باعتبارها خط دفاعي حصين، صانهم وحماهم من كل محاولات الهيمنة، والتي أريد منها طمس هويتهم العربية، واللغة التي يتكلم بها المُحلّميون هي اللغة العربية، لغة آباءهم وأجدادهم العرب، ولقد حافظوا عليها إلى يومنا هذا في جميع مناطق وجودهم في تركيا، حتى إنهم استطاعوا أن يفرضوها على بعض العشائر الكردية، والسريانية المجاورة كلغة ثانية بحكم الجوار، في حين لم تستطع تلك الطوائف الأخرى فرض لغاتها عليهم.

وعليه (فالمُحلّمية) لم يكونوا سرياناً في يوم من الأيام، كما لم يكن السريان مُحلّميين أبداً.

ولو افترضنا جدلاً أنهم كانوا سرياناً ـ كما زعم مؤلف كتاب طور عابدين ـ فأين ذهبت لغتهم السريانية والتي ما زال السريان هناك يتكلمون بها؟ ومن أين أتت للمُحلّمية لغتهم العربية، وإذا كانوا قد أخذوها باعتبارها لغة القرآن الكريم بعد (إسلامهم) فلماذا لم يأخذ الأتراك والأكراد الذين أسلموا بلغة القرآن الكريم العربية؟

وإذا افترضنا جدلاً أن المُحلّمية تخلوا عن /لغتــهم الســريانية/ حينمــا أسلموا فلماذا لم (يأخذ الأزخية) اللغة السريانية على الرغم من أنــهم ظلــوا متنصرين؟ ولماذا حافظ هؤلاء الأزخية على لغتهم العربية أيضاً وهــم مــا يزالون نصارى.

إن هذه الأسئلة وغيرها تثير الجدل حول مسألة رئيسية لا يمكن طمسها أو تجاوزها، أو نغمض أعيننا عنها، وهي أن اللغة والأمة شيء واحد.

وإن الإسلام قد نشر دين، ولم ينشر لغة، ولم يفــرض الإســلام لغتــه العربية، على كل الذين اعتقدوا به واعتنقوه، ولهذا السبب ظلت كل الشعوب غير العربية محافظة على هويتها ولغاتها الأساسية على الرغم من أنها قــد دخلت الإسلام، ولهذا (فالمُحلّمية) لم يأخذوا لغتهم العربية كونها لغة الديــن الجديد الذي اعتنقوه وفق ما زعم بل لكون اللغة العربية هي لغتهم الأساسية والأصلية لأنهم عرب ليس إلاّ.

المحور الثالث

الاعتماد على المصادر الكنسية اللاهوتية

مما لاشك فيه أن مؤلف كتاب «تاريخ طور عابدين» هو رجل دين جليل، ونحن نحترمه ونقدّره، وحينما تحدث عن أهم إنجازات الكنيسة في عهودها المختلفة، فليس لأحدٍ الحق في أن يذمّه أو ينتقده، وله الحق في ذلك.

لكنه عندما تحدث عن أمور تاريخية في كتابه، جاء حديثه مسترسلاً وشكلياً دون الاستناد إلى وثائق وكتب تاريخية موثقة، فلهذا نراه قد وقع في مغالطات تاريخية وتناقضات. كما إنه قد اعتمد في بحثه على المصادر السريانية اللاهوتية الكنسية وعهودها، لكنها لم تفده حينما أراد التحدث عن وقائع تاريخية، وأحداث تتعلق بحياة الشعوب والأمم.

وقد أقر بذلك شخصياً حينما ذكر في الصفحة ٢٠٧ من كتابه:

«وخلاصة القول ليس لدينا مصادر تاريخية هامة في هذه المنطقة غير الذي سُجلت بالسريانية وبيد أبنائها».

وهنا لابد أن نؤكد ونقول بأن المصادر التاريخية التي تتحدث عن المنطقة كثيرة وكثيرة جداً، ومن خلال إلقاء نظرة واحدة على كتاب «مدينة ماردين» لمؤلفه حسن شميساني نجد أنه قد ذكر في قائمة المراجع أسماء مئات الكتب باللغة العربية والأجنبية والتي تتحدث عن تاريخ المنطقة مع أنها وإن لم تكن تختص بالحديث عن تاريخها فهي تحتوي على مواضيع ونصوص طويلة عن هذا التاريخ.

ولقد اعتمدنا نحن أيضاً على العشرات من هذه المراجع والتي سيجد القارئ في نهاية هذا الكتاب ثبتاً بأهمها وبعناوينها وأسماء مؤلفيها.

والحقيقة أن المسوّغ الذي ذكره المؤلف من حيث عدم وجود مصادر غير التي كتبها السريان، هو مسوّغ في غير محله، ولا يمكن القبول به من الناحية العلمية والموضوعية.

وعلى أي حال فإن الكتاب يعدّ (مرجعاً دينياً) جيداً للسريان ولمن أراد البحث في تاريخ الكنيسة، إلا أنه لا يرتقي إلى مستوى المرجع التاريخي حينما بحث في بعض الأحداث والوقائع التاريخية استطراداً.

المحور الرابع

آزخ.. الأزخية أو (الآزخينية)

الموقع

(١)

تقع مدينة آزخ بالقرب من جزيرة ابن عمر وفي منطقة (بـــازبدي) أو (بيت زبداي) المعروفة تاريخياً، حتى إن بعض المؤرخين أكــدوا علـــى أن آزخ الحالية ليست إلا بازبدي نفسها، وهذه المنطقة هي ضمن حدود المنطقة العربية المسماة (باعربايا) والتي ذكرها المؤرخون مراراً وتكـــراراً وتمتـد حدودها من (آزخ) وحتى (نصيبين)، وكما سلف وذكرنا من قبل فإن عشيرة المُحلّمية وقراها وبلداتها تتمركز على طول الخط المذكور.

والآزخية قوم يدينون بالنصرانية ويتكلمون اللغة العربيـــة ويتحدثـون بلهجة قريبة جداً من اللهجة المُحلّمية ولهجة أهل الموصل (بعشيقة) خاصة، وهذا ما أثارعقولنا وجعلنا نرى فيهم خير مثال للرد على ما جاء في كتـــاب «طور عابدين» في الخلط بين النسب والدين.

والغالبية من الآزخية تدرك أنها عـــرب، وإن كـــانوا نصـــارى ـ ولا غرابة في ذلك ـ ويدركون أيضاً أنهم من بقايا القبائل العربيـــة وإن كـــان البعض يجزمون بأنهم من قبيلة بني تغلب العربية، وبني تغلـــب كمـــا هـــو معروف قبيلة عربية كانت نصرانية حتى دخول الإسلام إلى المنطقة فأســـلم من أسلم، وبقي منهم من بقي على نصرانيته.

وقد ذكر ابن حوقل أن قبائل بني حُبيب التغلبية دخلت إلى بلاد الـــروم أيام سيف الدولة الحمداني لأسباب ضرائبية، وتنتمي قبيلة تغلب إلى وائل بن ربيعة مثلما تنتمي المُحلّمية إلى بني شيبان بن بكر بن وائل ابن ربيعة.

آراء في أصول الأزخية

(٢)

لقد وجدنا من المناسب هنا أن نخوض في هذا الموضوع، ونبحث في أصول الأزخية نظراً لما تشكله هذه المسألة من أهمية بالغة في حياة هذه العشيرة، لأن معاناة أبنائها تكاد أن تكون صورة طبق الأصل عن معاناة أبناء عشيرة المُحلّمية، وخاصة أن العشيرتين قد عاشتا في منطقة واحدة وتعرضتا لظروف متشابهة واحدة، وإن أوجه التشابه بينهما لتتبلور في النقاط التالية:

١ ــ إن العشيرتين تسكنان متجاورتين في المنطقة ذاتها المعروفة باسم المنطقة العربية (باعربايا).

٢ ــ إنهما تتحدثان بلهجة واحدة عربية الأصل، وعاداتهما وتقاليدهما تكاد تكون واحدة.

٣ ــ إن أصولهم العربية واحدة، وكلاهما يرجع إلى قبيلة ربيعة، فالمُحلّمية ترجع إلى بكر بن وائل ــ وهذا ما تم إثباته ــ والأزخية ترجع إلى تغلب بن وائل، وهذا أمر معروف ولكن علينا محاولة إثباته أيضاً.

٤ ــ ضياع الانتماء القبلي لكلاهما، بسبب الوضع المأساوي والظروف الصعبة ذاتها، ولقد ذكرنا أن السبب الرئيسي في فقدان الانتماء القبلي كان استمرار (الحكم البيكوي) للمنطقة قروناً طويلة.

٥ ــ إن الإشكال التاريخي المتعلق بأصول الأزخية مازال قائماً بسبب بروز العامل الديني في هذه القضية، بينما الإشكال المتعلق بأصول المُحلّمية قد حُلّ، كما شاهدنا في فصول هذا الكتاب.

كتاب آزخ

لقد صدر بخصوص المسألة الأزخية كتاب (آزخ) للسيدين يوسف جبرائيل القس، والياس هداية، وقدّم للكتاب المطران حنا إبراهيم من حلب، ولقد طرح المطران حنا في مقدمته لهذا الكتاب سؤالاً تاريخياً صعباً حول هذا الموضوع، حينما تساءل عن مرجعية العائلات الأزخية، وهل ترتبط بأصول أثورية أم آرامية، أم عربية، أم غيرها من الأصول؟ ثم أعلن صراحة عن وجود إشكال تاريخي متعلق بالأزخية وذلك بقوله: «إننا نعلن وبصراحة وصدق أن الخوض في اثنية الشعب السرياني في آزخ يجرنا إلى متاهات نحن بغنى عنها، وذلك لأن مصادرنا قليلة جداً».[1]

ثم أضاف: «إن بلاد ما بين النهرين خاصة ومنطقة طور عابدين هي على أرجح الآراء آرامية اللغة، مما يشير إلى آرامية الجنس، مع وجود الاختلاط والتداخل الكبير بين الأقوام والشعوب الأخرى، والتي عرفت تاريخياً في هذه الأرض الغنية بالتعدد الاثني».[2]

ثم عاود القول: «أما عن الوجود العربي في هذه المنطقة، فيبدو أنه قد بدأ قبل قرنين من الفتح الإسلامي، وفي رأينا يمكن للباحث أن يتتبع مراحل هجرة القبائل العربية ـ خاصة العدنانية منها ـ من شبه الجزيرة العربية مروراً بحضرموت فالبحرين فالمدائن فالموصل، ثم بلاد ما بين النهرين،

---

(١) انظر كتاب «آزخ» ـ يوسف جبرائيل القس ـ صفحة ١٢.

(٢) انظر المرجع نفسه ـ صفحة ١٣.

وخاصة جزيرة ابن عمر وأطرافها، والدليل على الوجود العربي هو بعض الأسماء مثل (باعربايا) الاقليم والقرية، وهذه اللفظة أطلقها السريان على المنطقة الممتدة من بازبدي (آزخ) وإلى بلد ونصيبين ومعناها ديار العرب» وأيضاً قرية عربان.. إضافة إلى ورود قبائل عربية رُحّل في هذه المنطقة ـ كما جاء ـ في كثير من المصادر السريانية قبل الإسلام.. ففي سيرة الشهيد مار أجودامة وكان أحد كبار رجالات الكنيسة السريانية في القرن السادس نقرأ بأن هذا المجاهد اهتم في ٥٧٥م بدعوة القبائل العربية للانضمام إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، ومن هنا نشأت كنيسة عربية مسيحية على مذهب السريان الأرثوذكس في بلاد ما بين النهرين.. فالكرازة التي تمت في هذا الإقليم نصَّرت جماهير من ربيعة وغيرها من القبائل العربية».

ثم استطرد يقول: «ولا نعتقد بأن القبائل العربية التي انتقلت من بلاد النهرين بسبب ظروفها الخاصة قد دخلت كلها في الإسلام، ولابد أن يكون من بين الشعوب التي استمرت في مسيحيتها من كانوا عرباً جنساً.. ولكننا لا نقول بأن سكان آزخ وأطرافها من بقايا القبائل العربية حتى ولو امتازوا بلغتهم العربية عن بقية البلدان والقرى التي استخدمت اللغة السريانية الآرامية كلغة محكية في حياتها، ولا نؤيد النظرية القائلة بأن للآزخيين علاقة بالقبائل العربية المنحدرة من تكريت بسبب لهجتها القريبة من لهجة أبناء القرى المجاورة غرب الموصل مثل (بعشيقة وبحزاني) ودليلنا الأول هو وجود السريان المسيحيين في بازبدي والمنطقة قبل ورود أي ذكر للعرب في بلاد ما بين النهرين بثلاثة قرون، ودليلنا الآخر على هذا الكلام هو أن عدداً من العشائر الآزخية تنحدر أصلاً من بعض القرى في طور عابدين، ولغتهم الأم كانت السريانية الآرامية وإن تغلبت عليهم اللغة العربية بسبب الأصل اللغوي السامي المشترك، ولمرور زمن طويل على وجودهم في آزخ».

ثم تابع يقول: «ومهما يكن من أمر فما قلناه أعلاه يؤكد على أن الصبغة الأساسية التي سيطرت على أهل آزخ هي السريانية، وربما كان الدور الحاسم في هذا الموضوع للانتماء الديني وتحديداً للانتساب إلى الكنيسة السريانية ـ ويبقى كما قلنا وكررنا ـ كلمة الفصل في المسائل المتعلقة بآزخ والجزيرة جغرافياً وتاريخياً واثنياً بصورة خاصة على عاتق التحقيق العلمي، وإننا ندعو الباحثين إلى خوض مجاله وغماره بنزاهة وجرأة عالية وبتجرد ودون تعصب إلى هذا الطرف أو ذاك».[1]

ونستطيع أن نستخلص مما جاء في هذا القول ما يلي:

١ ـ إن هناك إشكال وأسئلة تتعلق بأصول الآزخية.

٢ ـ إن الخوض في هذا الموضوع سيجر إلى متاهات كثيرة، وهو بغنى عنها علماً أنه لم يحدد نوع هذه المتاهات.

٣ ـ الشكوى من قلة المصادر التاريخية، والاعتماد على المصادر الكنسية وخاصة كتاب «طور عابدين» وكتب المستشرقين فقط.

٤ ـ أكد على الوجود العربي في منطقة آزخ وحدودها أيضاً.

٥ ـ أقر بوجود قبائل عربية من بني ربيعة دُعيت للمسيحية ولم يسمها.

٦ ـ أقر أيضاً بوجود قبائل عربية قد ظلت على نصرانيتها بعد مجيء الإسلام لتلك المناطق، ولم يسمِّ تلك القبائل أيضاً.

٧ ـ ازدواجية في التعامل مع عامل اللغة، مع إقراره بأن أهل آزخ لغتهم عربية.

٨ ـ يقر بأن العامل الحاسم في هذه المسألة هو للانتماء الديني.

٩ ـ طالب بتحقيق علمي يقوم على الحياد والنزاهة والجرأة، والخوض في هذا الإشكال الذي عدّه قائماً وخطيراً.

---

(١) انظر كتاب «آزخ» ليوسف القس ـ صفحة ١٣ ـ ١٤.

الرد على ما جاء في كتاب آزخ

نلخص ردنا على النقاط التي أثارها كتاب آزخ بما يلي:

أولاً: لقد ذكر الكاتب بأن هناك إشكال يتعلق بالآزخية، ولقد نوّهنا نحن بدورنا في بداية الحديث بأن هناك إشكال يتعلق بها، وإننا نؤيد الكاتب في تصوره واعتقاده بوجود هذه المشكلة.

ثانياً: لم يذكر الكاتب ولم يحدد نوع المتاهات التي يمكن أن تنتج من جراء الخوض في هذا الموضوع، وإن هذه المتاهات في رأينا تعود إلى اختلاف وجهات النظر حول هذه المسألة، حيث رأى البعض أنها متعلقة بقضية عرقية قومية، بينما يراها البعض الآخر مسألة تتعلق بالانتماء الديني، وقد تم حلّها على هذا الأساس.

ثالثاً: لقد شكا الكاتب من قلة المصادر التاريخية وهذا غير وارد ايضاً، وإننا نرد عليه كما جاء في ردنا على مؤلف كتاب طور عابدين من أن المكتبة غنية بالمصادر والكتب التاريخية المتعلقة بتاريخ المنطقة.

كما إنه قد اعتمد على المصادر والمراجع الكنسية وكتب ومراجع المستشرقين ولم يذكر اسم أي مرجع لمؤرخ عربي قديم أو حديث، حتى أسماء المؤرخين النصارى الحديثين منهم من أمثال: الصايغ، وأدي شير، واسحاق أرملة، وغيرهم.

رابعاً: أكد على أن الوجود العربي في المنطقة هو وجود فعلي قد أكدناه في الفصل المتعلق بالوجود المُحلّمي في المنطقة، وأسباب تسمية المنطقة بديار بكر، وربيعة، ومضر، وقلنا إن أسماء هذه المناطق قد أُخذت من

أسماء القبائل التي سكنتها منذ زمن بعيد.

خامساً: لقد أقر بوجود قبائل عربية من بني ربيعة دعيت للمسيحية ولم يسمِّها ولا ندري لماذا؟ وخاصة أنه بات من المعروف تاريخياً أن من سكن تلك المناطق هم قبائل بكر وتغلب وغيرها، ونعتقد أن عدم ذكر هذه القبائل كان بشكل مقصود، وذلك تماشياً مع اعترافه الضمني باعتقاد بعض أبناء الآزخية الذين يقرون بانتمائهم لقبيلة بني تغلب العربية.

وإن لدينا كثيراً من الأدلة التاريخية التي تثبت وجود بني تغلب في تلك المنطقة ومنها:

١ ـ أشار السامر في كتابه «الدولة الحمدانية» إلى ذلك بقوله: «إن منازل تغلب كانت فيها من الخابور والفرات ودجلة وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين قرقيسيا وسنجار والموصل وماردين وحتى جزيرة ابن عمر شمالاً وعانة وتكريت جنوباً».[١]

ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: «وكانت بلادهم (أي تغلب) في الجزيرة بجهات سنجار ونصيبين.. وتعرف بديار ربيعة، وكانت لهم شهرة كثيرة والنصرانية هي الغالبة عليهم لمجاورتهم الروم»[٢].

ولقد ذكر ابن حوقل أيضاً: «وبين بلد ونصيبين برقعيد وأذرمة، فأمّا برقعيد فمدينة كثيرة الزرع من الحنطة والشعير، ويسكنها بنو حُبيب.. قوم من تغلب».[٣]

---

(١) انظر كتاب «الدولة الحمدانية» ــ فيصل السامر ــ الجزء ١ ــ صفحة ٤٨.

(٢) انظر ابن خلدون ــ تاريخه جزء ٢ ــ ٣ صفحة ٦٢١ ــ ٦٢٣.

(٣) انظر كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل النصيبي. طبع دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ صفحة ١٩٩.

أسماء القبائل التي سكنتها منذ زمن بعيد.

خامساً: لقد أقر بوجود قبائل عربية من بني ربيعة دعيت للمسيحية ولم يسمّها ولا ندري لماذا؟ وخاصة أنه بات من المعروف تاريخياً أن من سكن تلك المناطق هم قبائل بكر وتغلب وغيرها، ونعتقد أن عدم ذكر هذه القبائل كان بشكل مقصود، وذلك تماشياً مع اعترافه الضمني باعتقاد بعض أبناء الأزخية الذين يقرون بانتمائهم لقبيلة بني تغلب العربية.

وإن لدينا كثيراً من الأدلة التاريخية التي تثبت وجود بني تغلب في تلك المنطقة ومنها:

١ ــ أشار السامر في كتابه «الدولة الحمدانية» إلى ذلك بقوله: «إن منازل تغلب كانت فيها من الخابور والفرات ودجلة وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين قرقيسيا وسنجار والموصل وماردين وحتى جزيرة ابن عمر شمالاً وعانة وتكريت جنوباً».[١]

ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: «وكانت بلادهم (أي تغلب) في الجزيرة بجهات سنجار ونصيبين.. وتعرف بديار ربيعة، وكانت لهم شهرة كثيرة والنصرانية هي الغالبة عليهم لمجاورتهم الروم»[٢].

ولقد ذكر ابن حوقل أيضاً: «وبين بلد ونصيبين برقعيد وأذرمة، فأما برقعيد فمدينة كثيرة الزرع من الحنطة والشعير، ويسكنها بنو حُبيب.. قوم من تغلب».[٣]

---

(١) انظر كتاب «الدولة الحمدانية» ــ فيصل السامر ــ الجزء ١ ــ صفحة ٤٨.

(٢) انظر ابن خلدون ــ تاريخه جزء ٢ ــ ٣ صفحة ٦٢١ ــ ٦٢٣.

(٣) انظر كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل النصيبي. طبع دار مكتبة الحياة ــ بيروت ــ صفحة ١٩٩.

زيد الله: قبيلة بني تغلب، وزيد الله هو زيد اللات بن عمرو بن غنم بن تغلب.

ــ ووصف التغلبيين بقوله:

إن بنـــي زيــد مليحـــو الشكـــل[1]

كـــم منـــهم مـــن فعلـــة وفعـــل

ــ ثم نراه وقد تحدث عن علاقة حميمة بينهم وبين بني شيبان وخاصة بنو مُحلّم فهم:

لجيم بن صعب لم تنلها عداوتـــي

وما نبحت آل الخصيـــب كلابـــي

أولئـك قـوم يرتعـون محلـــهم

إلى نجـدات أشرقـن وروابـــي[2]

وفي الشرح: الخصيب هو عامر أحد بني مُحلّـــم الشيبـاني، وسُـمي بالخصيب لكرمه.

ــ ومدح بني شيبان بقوله:

ألا أبلـغ بنـــي شيبـــان عنـــي فمـــا بينـــي وبينكـــم ذهـــول[3]

وأيضاً:

فما لبني شيبان عنـــدي ظلامـــة ولا بدمٍ تسعى عليـــه الحنـــاتم[4]

---

(١) انظر الأخطل ــ الديوان ــ صفحة ٧٠٥.

(٢) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٧٦٠.

(٣) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٣٧٢.

(٤) انظر المرجع نفسه ــ صفحة ٥٢٦.

ومن هذه الأبيات نستطيع أن نستنتج عدة أمور منها:

١ ــ إن الأخطل عاش في منطقة قريبة جداً بل في المنطقة ذاتها، التي عاش فيها أهله بني تغلب، وكان يتجول في تلك المناطق، ومنها (الجودي، ميافارقين، سعرت، نصيبين، ماردين وغيرها).

وهذا دليل على الوجود التغلبي هناك.

٢ ــ إن تلك المناطق ديار مشتركة لبني تغلب وبني شيبان خاصة فلقد ذكر شخصيات من بني مُحلّم كانت تعيش في تلك المنطقة، ومن المعروف تاريخياً أن منطقة طور عابدين هي لبني شيبان.

كما أننا نورد بعض المقاطع التاريخية المأخوذة من كتّاب حديثين ومنهم إسحاق أرملة حيث ذكر: «ثم أرسل الوليد بن عقبة.. فجمع بني تغلب النصارى في تلك الديار وطالبهم بالإسلام»[١]

ــ ولقد ذكر الأب اغناطيوس الأول في كتابه «اللؤلؤ المنثور» منازل التغلبيين بقوله: «أما ديار ربيعة.. بين الخابور ودجلة وكانت منازل التغالبة أو بني تغلب إحدى قبائل العرب الكبرى.. وإن الشاعر الأخطل الذائع الصيت منهم».[٢]

وهناك نصٌ عثرنا عليه لخليفة بن خياط مذكور في «تاريخه» تحدث فيه عن ثورة الخارجي الوليد بن طريف الشاري بأرض الجزيرة، وإن هذا النص ليعطينا صورة واضحة عن سكان تلك المناطق، وخاصة طور عابدين وبعربايا، وإننا نثبت هذا النص كما جاء حرفيا حيث قال: «وكان خروج الوليد بن طريف أحد بني حيي بن عمرو ويقال لهم أضراس الكلاب من بني تغلب،

---

(١) انظر كتاب «القصارى في نكبات النصارى» لاسحاق أرملة ــ ج١ ــ طبعة أولى ١٩١٩ صفحة ٧ــ٨.

(٢) انظر كتاب «اللؤلؤ المنثور» لمار أغناطيوس الأول صفحة ٥٠٦.

فخرج في شاطئ الفرات في ثلاثين، وأقبل إلى رأس العين، فلقي رجلاً من أهل البصرة يقال له عمرو بن منصور بن النجار ومعه رجل نصراني، ثم أتى رأس العين، ولم يدخل الحائط ثم أتى باعربايا، ثم نصيبين، فلقي بزاراً رجلاً من بني تغلب عند تل أبي الجوزاء[1]، فانهزم بزار وقتل رجالاً من أصحابه، وأتى بزار نصيبين ثم أتى الوليد دارا فباعها بعشرين ألف، ثم أتى ميافارقين، ففدوها بعشرين ألفاً، ثم عبر شريط مغيره إلى ارزن، فأقام بها ففدوها بعشرين ألف، وقتل رجلاً من وجوه أهلها من بني شيبان، يقال له: مرة، ثم أتى جولايا، ثم أتى نصيبين وبها إبراهيم بن حازم وبزار في بني تغلب، وأباح الوليد نصيبين خمسة أيام، وخرج الفضيل ابن أبي سعيد من راذان، وكان يتولى بني شيبان، ثم أتى بانعمان دون نصيبين بخمسة فراسخ فقتل بها اثني عشر رجلاً من تغلب».[2]

نستطيع أن نستخلص من النص المذكور بعض الحقائق التاريخية ومنها:

١ ــ كان هناك وجود تغلبي في منطقة باعربايا، ونصيبين، وجوزه، وبانعمان.

٢ ــ هناك وجود شيباني في تلك المناطق أيضاً.

من خلال المعطيات والنصوص التاريخية والأدبية المتوفرة لدينا فإننا نستطيع أن نؤكد أنه كان هناك وجود تغلبي في مناطق بعربايا، والجودي وآزخ، ونصيبين، وجوزه، وغيرها من المناطق، مثلما كان للمُحلّمية وجود هناك، وإنه وفقاً لهذه المعطيات نستطيع أن نقول بأن سكان (آزخ) وغيرها من القرى المجاورة هم من بقايا القبائل التغلبية التي سكنت تلك المنطقة، وهناك أدلة أخرى ومن أهمها اللغة.

---

(١) تل أبي الجوزاء ــ اليوم اسمه قرية جوزه في منطقة (باعربايا).

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط ــ القسم الثاني ــ صفحة ٧٢٠.

اللهجة الآزخية

لقد أقر الكاتب بأن سكان آزخ يتحدثون باللغة العربية، وإنها لهجة قريبة من لهجة بعض سكان الموصل وقراها، مثل قرية (بعشيقه)، وهي قريبة جداً من اللهجة المُحلّمية، ولا عجب في أن تكون هذه اللـــهجات متشابهـــة مـــع بعضها، وتكاد تكون متطابقة، وإن السبب في ذلك يعود لكون مصدر هـــذه اللهجات واحد، وهي (لهجة مشتركة) لمنطقة سكانية مترامية الأطراف ذات أصول عربية واحدة.

قال أزهر العبيدي في كتابه (الموصل) متحدثاً عن اللهجة الموصليـــة: «إن اللهجة الموصلية تعتبر أقرب اللهجات العامية إلى الفصحى، لما بينـــهما من التوافق في كثير من الأمور، مما لا نجد له نظيراً في اللهجات الأخرى، ويعود الفضل في ذلك إلى وجود القبائل العربية التي نقلت لهجاتها وتقاليدها ثم حافظت عليها».

وأضاف: «إن هذه اللهجة تأثرت باللغة التركية أثناء الحكـــم العثمـــاني نتيجة مجاورتها للبلاد التركية».[١]

إن هذه اللهجة المشتركة إذن هي لهجة أهل المنطقة الممتدة من المنطقة العربية (باعربايا) وطور عابدين، وإلـــى بعشيقـــه والموصـــل، وبـــالتحديد

---

(١) انظر كتاب ـ (الموصل) ـ أزهر العبيدي ـ طبع دار الكتب ـ الموصل ١٩٩٠ ـ صفحة ٤٣.

الجغرافي القديم تعود لأهل ديار بكر وديار ربيعة، وهي المنطقة التي كانت تسكنها العشائر العربية من بكر وتغلب، ومن هؤلاء الأزخيـــة، والمُحلّميـــة والمخاشنية، والراشدية، وأهل بعشيقه وغيرهم.

وهي لهجة أصيلة وأساسية، وليست لهجة دخيلة أو مستعارة، لأنها لغة القوم الذين استقروا في تلك المناطق.

إن هذه النتيجة المنطقية والتاريخية لا يريد الكاتب الوصول إليها، لأنه ولأهواء معينة لا يريد أن يقر بأن اللغة العربية هي اللغة الأصلية والأساسية (للأزخية)، وإن كان لم يستطع إثبات عكس ذلك.

وإن قولَ الكاتب بأن لغة آهل آزخ الأساســية هـــي اللغـــة الســريانية (الآرامية) قولٌ لا أساس له من الصحة، وخاصة أنه لم يثبت، فكيف فقد أهل آزخ (المسيحيين) لغتهم الأساسية (السريانية)؟ ولماذا وكيف اتخذوا من اللغة العربية لغة أساسية لهم؟ وما هي الأسباب التي دعتهم لفعل ذلك؟!

كما إن الأساس الواحد للغتين العربية والآرامية لم يمنع بأن تكون لكــل لغة سماتها، وقواعدها، وآدابها، وبعبارة أخرى لكل لغة صبغة معينة خاصة بها.

ـ كما إن الكاتب استعمل عامل اللغة بازدواجية ظـــاهرة لمّـــا أراد أن يثبت أن هذه اللغة هي دليل على الانتماء القومي، ثمّ رفـــض قبـــول هـــذه النتيجة.

فهو حينما تحدث عن منطقة طور عابدين بأنها آرامية اللغة عـــدّ هـــذا دليلاً يؤكد على أنها «آرامية الجنس» على الرغم من أنه ليس هناك أي دليل أو إثبات على أن منطقة طور عابدين هي (آرامية اللغة)، علمـــاً أن غالبيـــة سكانها هم من العرب المُحلّمية، والراشدية، والمخاشنية، وهم يتحدثون باللغة العربية وهذه القبائل قد سكنتها منذ عشرات القرون وما زالت.

ثم قال في مكان آخر: «لكننا لا نقول إن سكان آزخ وأطرافها هم من بقايا القبائل العربية حتى وإن امتازوا بلغتهم العربية عن بقية البلدات التي استخدمت اللغة السريانية».

وهذا يعني أن الكاتب يريد أن يقول شيئاً واحداً فقط وهو أن: الآزخية هم آراميون وسريان حتى ولو لم يتكلموا السريانية أو الآرامية، وهم ليسوا من تغلب وإن تكلموا اللغة العربية، وهذا أمر مخالف لكل الوقائع والحقائق التاريخية التي تؤكد على دور اللغة كأحد مقومات الأمة أو الشعب.

وقد وجد الكاتب نفسه في وضع حرج من جراء ذلك، وخاصة أنه لم يستطع إثبات آرامية (الآزخية) لأن لغتهم عربية، لذلك نراه قد استبعد عامل اللغة وكل العوامل الأخرى بشكل نهائي، وقفز فوقها ليصل إلى النتيجة التي استهواها ودون أي إثبات تاريخي، وحلَّ محل كل هذه العوامل العامل الديني وهو عامل ثانوي ومتغير، ولقد قرر النتيجة التالية: «إنه مهما كان من أمر فإن الصبغة الأساسية التي سيطرت على أهل آزخ هي السريانية وإن هذا الأمر هو الحاسم في هذا الموضوع».

وهكذا نجد مرة أخرى ما وجدناه عند مؤلف كتاب «جبل طور عابدين» من مسألة الخلط بين مفهومي النسب والقومية، وليعود ويكرر مسألة (سوريانية الأصول)، كما سبق وتحدثنا في الفصل المتعلق بالرد على مؤلف كتاب «طور عابدين».

وإذا كنا مدعوين كما طلب مؤلف الكتاب للحوار والمناقشة وطرح القضية بجرأة وصدق ومهما كانت النتيجة فنقول وبكل جرأة وصراحة:

إن السريان لم يكونوا يوماً من الأيام أمة كما قال أدي شير في كتابه «تاريخ كلدو وأثور» وإن السريانية تعني (المسيحية أو النصرانية) أي هي دين ولا يمكن للدين أن يطمس الهوية القومية ويكون العامل الحاسم في مرجعية أي شعب أو أمة.

ويبقى العامل الأساسي في تكوين الأمة هو عامل اللغة والانتماء للأرض وللعادات والتقاليد، والتاريخ المشترك.

ونؤكد بعد ذلك كله وعلى ضوء هذه العوامل الأساسية أن (الأزخية) هم عرب تغلبيون نصارى، سكنوا في مناطق كانت لبني تغلب، وحافظوا على لغتهم وعاداتهم الأصيلة طيلة عدة قرون، وما زالوا محافظين عليها، كما إنهم يجاورون المُحلّمية ومناطقهم وهي واقعة ضمن نطاق (باعربايا) أي المنطقة العربية، وهي مناطق بعيدة عن مناطق وقرى السريان، ولغتهم غير سريانية، لأنهم يتحدثون بلهجة محلية عربية هم والمُحلّمية وأهل بعشيقة والموصل، وهي لهجة منطقة مترامية الأطراف سكنها أول من سكنها قبائل بكر وتغلب العربية.

ـ خلاصة ـ

من كل هذه المعطيات التاريخية، والمراجع العديدة وما ذكرناه في هذا الموضوع نستطيع أن نستخلص النتائج التالية:

١ ـ إن منطقة آزخ تقع ضمن المنطقة العربية (باعربايا)، وكذلك (بيت مُحلَّم) وإن كل من سكن في هذه المنطقة هم من العرب وما زالوا.

٢ ـ إن بني تغلب قد سكنوا في تلك الديار، ولقد أكدنا على ذلك بمصادر تاريخية عدّة، وآخرها ما جاء في قول مار أغناطيوس: «إن البشارة التي تمت في هذا الإقليم (آزخ) نصَّرت جماهيرمن بني ربيعة وغيرها من القبائل العربية».

٣ إن منطقة الوجود (المحلمي) و(الآزخي) هي بعيدة جغرافيا عن منطقة وجود السريان في بيت ريشا، وحصن كيفا، وغيرها من المناطق.

٤ ـ هناك صفات مشتركة ما بين المحلمية والآزخية وهي:

أ ـ وحدة اللغة: فاللهجة المحلمية والآزخية متطابقتين.

ب ـ وحدة الانتماء العربي: فالمحلمية تنتمي إلى بني شيبان من بكر، والآزخية إلى تغلب، ويرجح أنهم من التغالبة الذين لم يسلموا لا بل يرجح أكثر أنهم من قبائل بني حبيب.

ج ـ وحدة الأرض والجوار: إن منطقة وجود الآزخية والمحلمية متجاورة وفي المنطقة ذاتها.

د ـ العلاقات الطيبة والتاريخ المشترك: ظلت العلاقات الآزخية والمحلمية علاقات قوية وجيدة، على الرغم من الاختلاف في الدين، وفي كلا الظروف والأوقات التي مرت بها المنطقة.

وبينما نحن ننهي هذا الفصل فإنه لابد من الإشارة إلى أن الرد على مقولة انتماء المُحلّمية للسريان، وما تفرع عنه من الحديث عن الأزخية، ربما يكون هذا الموضوع قد أعطيناه حيزاً كبيراً في هذا المؤلف، وشغل صفحات كثيرة، لأنه في اعتقادنا واعتقاد الكثيرين يستحق ذلك لكونه يشكل (معضلة تاريخية معقّدة).

ربما نكون قد استطعنا فك رموزها، وتحليل أسبابها ومكوناتها بدقة وموضوعية وأمانة علمية، وإن ما توصلنا إليه من نتائج بهذا الخصوص ربما يساعد الآخرين على إعادة التفكير بهذه القضية بشكل جدّي وموضوعي.

ولم تكن غايتنا من الرد على الذين قالوا (بسرينة المُحلّمية) إلا لتوضيح الحقائق والدفاع عن انتمائنا الصحيح الذي وجدناه، وبالتالي في سبيل إغلاق كل المنافذ التي كانت تثير الشك من حوله، وتبقى الغاية الأساسية والوحيدة من كل هذا وذاك هي الوصول إلى الانتماء والنسب الصحيح والحقيقي للمُحلّمية الذين عانوا الكثير الكثير من جراء فقدانهم لهذا الانتماء.

الفصل السابع

أُسس العلاقة بين المُحلّمية والأكراد

ــ أولاً ــ

جذور العلاقة بين المَحلَمية والأكراد

لقد سكن الأكراد مع العرب والتركمان والسريان والأتراك وغيرهم في منطقة ماردين وما حولها، أو ما كان يعرف بمناطق ديار بكر، وإن هذا الوجود المتعدد الأنواع والأثنيات كان له أسبابه (الديمغرافية)، حيث إن الجغرافية البشرية في تلك المنطقة كانت متنوعة نتيجة الموقع الهام لتلك المناطق، حيث كانت مجاورة لأمم وحضارات عدة، ساهمت كلها في إيجاد هذا الخليط السكاني المتنوع.

وكما إن هناك قبائل وعشائر عربية سكنت تلك المنطقة كبكر وتغلب وطي والشرابيين وغيرهم، فلقد كان هناك العديد من العشائر الكردية، ذكرهم ابن شداد في كتابه «الأعلاق الخطيرة» ومن تلك العشائر: (الزرزارية المسلمة، والجورجان واليعقوبية النصرانية.. وكذلك هناك الحميدية والمروانية والهذبانية وكلها مسلمة..).[1]

وفي هذا الصدد يقول حسن شميساني: «إنه مهما تعددت الآراء واختلفت فإن العنصر المتكلم باللغة الكردية قد حل بأرض ماردين، كما حل بغيرها من أراضي الجزيرة.. واختلط بالسكان الأصليين من نصارى ومسلمين، وامتزج معهم، ومع مرور الزمن استطاع أن يفرض ما هو عليه

---

(١) انظر كتاب «الأعلاق الخطيرة» لابن شداد ــ جزء ٣: ٢ صفحة ٨٤٩.

من معتقدات وتقاليد، وينجح بالتالي في إضفاء الصبغة الكردية على بعض المجموعات السكانية، في حين استطاعت المجموعات الباقية ومنها المجموعة العربية.. أن تحافظ وسط هذا الاختلاط على عنصريتها، ولم تختلط بهم أو بغيرهم»[1]. وللحقيقة والواقع نقول أن ما ذكره شميساني يصورّ ويعبّر بدقة وموضوعية عن واقع حال العلاقات بين المجموعة العربية (كالمُحلَمية) والكردية في تلك المنطقة، ذلك أن المجموعة العربية ــ كما سبق وذكرنا في فصول متقدمة ــ استطاعت أن تحافظ على هويتها وعروبتها على الرغم من كل المحاولات، وذلك من خلال المحافظة على لغتها العربية وبفرض طوق من العزلة الاجتماعية حولها، حيث رفضت هناك إقامة أي علاقات اجتماعية أو علاقات زواج ومصاهرة مع أي مجموعة غير عربية.

والدليل على ذلك أن المناطق التي تسكنها (المحلمية) في منطقة (باعربايا) والتي سماها المؤرخين بديار شيبان وبيت محلم ما تزال قراها موجودة وعامرة إلى يومنا هذا، وتتميز هذه القرى عن سواها من القرى الكردية وغيرها، بأن مسمياتها عربية وسكانها عرب ولا يعرفون إلا التحدث باللغة العربية، وإن العنصر العربي قد حافظ على هويته وعروبته كما جاء على لسان حسن شميساني.

بينما مناطق وجود الأكراد إنما هو حول دائرة الانتشار العربي هناك، ولقد كان الوجود العربي عامة، والوجود المحلمي الشيباني وجودا فاعلا

---

(١) انظر كتاب مدينة ماردين لحسن شميساني ــ مطبعة دار الكتب بيروت ــ ١٩٨٧ ــ صفحة ٣٤٧.

وقوياً استطاع أن يحافظ على استمراريته وهويته، كما سبق وأشرنا لذلك في فصول عدة من هذا الكتاب.

والزائر اليوم لتلك المنطقة يستطيع أن يحدد وبسهولة مراكز تجمع القرى المُحلّمية، ويميزها من القرى الكردية، وسيجد أن لكل مجموعة طابعها الخاص والمستقل في لغتها وانتماءاتها، وليس هناك أي مجال للخلط أو المزج بين المجموعتين العربية المُحلّمية والكردية، حتى إن الحكومة التركية التي تعمل هناك على تتريك المنطقة كلها ومنذ عدة عقود، تعترف للمُحلّمية بكونهم مجموعة عربية لها خصوصية عرقية معينة مستقلة عمّن سواها من المجموعات الأخرى، ولقد جسدت الحكومة التركية هناك هذه المقولة من خلال أحداث ومشاغبات كانت تحدث بينها وبين العديد من المجموعات الأخرى ما عدا المجموعة العربية.

كما إن المُحلّمية في تلك المنطقة وقفوا على الحياد في كل النزاعات والصراعات التي كانت تحصل في المنطقة ما بين المجموعات الأخرى، واستطاعوا بسياسة الحياد هذه أن يحموا أنفسهم ويحافظوا على مدنهم وقراهم وعاداتهم في منطقة كانت من أكثر المناطق سخونة في تلك النواحي.

وخلاصة القول: إن جذور العلاقة بين (المُحلّمية) والأكراد في تلك المنطقة تقوم على أساس التباين، والاستقلالية، والتمايز بين المجموعتين، كان موجوداً ولا يزال، وبموجبه عُرفت كل مجموعة بطابعها وصبغتها، وانتمائها الخاص بها، وهكذا ظلت المجموعة العربية المُحلّمية محافظة على كيانها ووحدتها ولغتها ككيان جغرافي تاريخي عرقي مستقل ومتميز عن غيره.

ـ ثانياً ـ

أسس العلاقة الحالية في الجزيرة السورية

من المعروف أن منطقة الجزيرة السورية تشكل محيطاً اجتماعياً متنوعاً، حيث يعيش هناك عشرات القبائل والعشائر العربية والكردية والسريانية وغيرها، وهذا التنوع مستمر منذ أكثر من قرن كامل. ولقد خلق نوعاً من الوحدة الاجتماعية والثقافية بين هذه المجموعات، ألقت بآثارها على المكان التي تتعايش فيه بمحبة وسلام فيما بينها، قوامه العيش المشترك والحياة الكريمة.

وفي هذه المنطقة اختلطت الأنساب وتنوعت اللهجات واللغات وتطورت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وأصبح بإمكان أي فرد من أفراد هذه المنطقة أن يتحدث بلغات ولهجات عدة بعدد لغات الأقوام التي تعيش فيها، ولم يكن هناك أي مانع أو حائل عدا مانع الدين يمنع وجود علاقة مصاهرة وزواج بين هذه المجموعات.

وعلى الرغم من ذلك فلقد استطاعت (عشيرة المُحلّمية) أن تحافظ على لغتها وصبغتها العربية، كما أنها انضمت إلى مجموعة القبائل والعشائر العربية وأصبحت جزءاً من الوجود العربي في هذه المنطقة.

إن هذا الانفتاح الاجتماعي والعشائري كان له ناحية سلبية واحدة ألقت بظلالها على العنصر المُحلّمي العربي في هذه المنطقة الذي دخل عملية الانفتاح هذه (بقلبه وروحه) دون عقله، وكان ذلك على حساب هويته

وصبغته الخاصة به، مما تسبب في (تلوّن الهوية المُحلّميّة) أحيانـــاً، الأمـــر الذي جعل بعض أفرادها ينسون أنفسهم أحياناً بأنهم ينتمون إلى عشيرة ذات وجه عربي خالص، وكان عليهم أن يحافظوا عليه قـــولاً وفعـــلاً، وخاصـــة بوجوب المحافظة على اللغة العربية كلغة أصلية لهم، مثلمـــا حـــافظ أبنـــاء عشيرتهم في تركية على هذه اللغة على الرغم من كل الظروف الصعبة التي مرت بهم، وعلى الرغم من ذلك فإن المُحلّمية (كعشيرة) قد حافظت على هذه الهوية العربية، وظلت متمسكة بالثوابت الأساسية لمقومات انتماءها العربـــي ومنها:

١ ــ المحافظة على لغتها وعروبتها وصبغتها الأصلية.

٢ ــ الانضمام إلى الصف العشائري العربي، والانخراط مع المجموعة العربية في هذه المنطقة.

٣ ــ الاعتزاز بالانتماء العربي والدفاع عنه بالقول والفعل.

إلا أن ذلك كله لم يكن كافياً في اعتقادنا وكـــان لابـــد مـــن أن يعمـــل القائمون على رأس هذه العشيرة، أو الوجهاء فيها على إعادة ترتيب أوضاع عشيرتهم بشكل يحقق لهم مناعة وصلابة أكـــثر تجـــاه بعـــض (جماعـــات الجذب)[١] وخاصة الكردية منها، والتي أخذت تروج زوراً على لسان بعض الشخصيات الكردية من أن المُحلّمية ليست إلا عشيرة كردية، وليس لهم دليل على ذلك سوى ادعاءها بأن هناك جماعات أو أفراد من هـــذه (المُحلّميـــة) تتحدث باللغة الكردية حتى في بيوتاتها.

---

(١) المقصود (بجماعات الجذب) هنا: الجماعات والأفراد الذين ينتمون إلى مجموعـــات عرقية وطائفية ــ كالسريان والأكراد ــ والذين حـــاولوا إلصـــاق المُحلّميـــة بـــهم زوراً وبهتاناً.

وإن هذا الادعاء (فارغ) ولا أساس له مطلقاً ولا يرقى حتى إلى مرتبة الادعاء التاريخي، وإنما اعتمد على حالة ظاهرية محدودة ليقــوم بتعميمــها وتحويلها إلى ظاهرة عامة أصلية وأساسية.

ولقد نسي أو تناسى أصحــاب هــذه التـهم أن الوضــع الاجتمــاعي والاقتصادي في الجزيرة قد فرض مثل هذا النمط الاجتماعي والثقافي، حيث نجد أن الكثير من الأكراد يتحدثون بالعربية أو بالسريانية أو الأرمنية، كمــا أن هناك الكثير من العرب والسريان والأرمن يتحدثون باللغة الكردية.

ولكن في الحقيقة، إن هناك لائمة على بعض أبناء (المُحلّميــــة) الذيــن اتخذوا من اللغة الكردية لغة أساسية لهم، وهؤلاء عليهم أن يدركوا تماماً أن مثل هذه التصرفات وإن عدّوها (شكلية) هي ليست كذلك، فاللغة هـــي مــن أساسيات الوجود القومي لأي شعب ويجب المحافظة عليها كلغة أساسية فــي المنزل والبيوتات. ونعود لنقول: إن ادعاء بعض الشخصيات الكرديــة فــي الجزيرة أن المُحلّمية هم من الأكراد ادعاء غير تـــاريخي وبــاطل، وإننــا نتساءل على ماذا استند هؤلاء في ادعاءاتهم هذه وتم تركيــب هــذا الأمــر وترويجه، علماً أن هذه المسألة لا وجود لها اطلاقاً في (منطقة المُحلّمية) في تركيا حيث ظلت هذه المنطقة عربية اللغة والأصل، وظلت كذلك إلى يومنــا هذا تتمتع بهذه الخصوصية وعُرفت بها في محيط متنوع من القوميات، وإن هذا التمايز العرقي بين المجموعتين حالة واقعية وتاريخية يعرفها القــاصي والداني، وليس ثمة من يدعي أن المُحلّمية هم من الأكراد أو من غيرهم.

لكن ــ وللأسف الشديد ــ نقول إن هذه الادعــاءات معروفــة بعــدم صحتها ومصداقيتها حتى من قبل الذين يروجون لها وإنها (مغلفة) بدوافــع

وأهداف اجتماعية أو حتى سياسية، الغاية منها تكريد الأرض والإنسان في هذه المنطقة.

وإن هذه الشخصيات الكردية وغيرها لو أنها قرأت التاريخ جيداً وبصدق وموضوعية ـ وخاصة تاريخ الوجود العربي في هذه المنطقة والذي وصلت حدوده إلى ما وراء جبال طوروس حيث فرض العرب وجوداً واقعياً وجغرافياً كمستوطنين أوليين لهذه الديار، والشاهد على ذلك أن الوجود العربي المُحلّمي الشيباني في تلك المنطقة كان وجوداً أساسياً، ومتميزاً، وفعالاً، وفاعلاً، ولقد قدمنا الأدلة التاريخية الموثقة والمؤكدة على ذلك في فصول متقدمة.

كما إن عشيرة المُحلّمية في منطقة وجودها حالياً (في تركيا) ما زالت متمتعة بطابعها العربي الخالص والمميز، وليس هناك أي إشكال من هذا النوع، إنما أُثيرت هذه المشاكل والادعاءات هنا من هذا الطرف أو ذاك لأسباب عدة فصلناها تفصيلاً في هذا الكتاب، ولم تكن الغاية منها (التاريخ) أو (قراءة التاريخ)، وإنما كانت محاولات مشبوهة ويائسة للانقضاض على عشيرة المُحلّمية وكان من الواجب على القائمين على رأس هذه العشيرة ـ كما سلف وذكرنا ـ كان عليهم (بلورة) انتمائهم وأصولهم وجذورهم بشكل ظاهر ومدعّم، ولو أنهم فعلوا ذلك منذ البدايات لما كان هناك وجود لمثل هذه الإشاعات والأقاويل وما كان لها أن تعيش وتنمو وتترعرع ولو لمدة وجيزة من الزمن.

ـ ثالثاً ـ

الرد على جماعات الجذب الكردية

نستطيع أن نوجز ردنا على جماعات الجذب الكردية بما يلي:

١ ـ لقد ثبت أن الوجود المُحلّمي في مناطقهم الأصلية، كان وجوداً عربياً فاعلاً أثبتناه بالأدلة التاريخية في فصول متقدمة من هذا الكتاب.

٢ ـ إن منطقة الوجود المُحلّمي في تلك الديار معروفة تاريخياً باسم (باعربايا) أي المنطقة العربية، وإن الشيبانيون (بنو مُحلّم) هم أول من سكن الجانب الجنوبي من جبل طور عابدين والذي يطل على تلك المنطقة والتي هي جزء ما كان يعرف باسم ديار بكر.

أما مناطق القرى الكردية أو التي يتحدث سكانها بالكردية فهي مناطق مغايرة ومعروفة هناك، ولا يوجد أي التباس أو خلط بينهما.

٣ ـ ليس هناك أي دليل تاريخي ومن أي مصدر تاريخي قديم أو حديث يشير إلى أن المُحلّمية هي من العشائر الكردية حتى في كتب ومؤلفات الأكراد أنفسهم ولقد عدّ شميساني في كتابه «مدينة ماردين» أكثر من عشيرة كردية ولم يذكر أن المُحلّمية هي من تلك العشائر، كما أننا نجد أن مؤلفات السريان ومؤرخيهم ميزت المُحلّمية وقراها ومنطقتها عن غيرها من المناطق، وهذا ما أكده المؤرخون والجغرافيون العرب ومنهم ابن خرداذبة حيث عدّ منطقة بيت مُحلّم هي منطقة خاصة بوجود العشائر المُحلّمية العربية هناك.

٤ ـ بالإضافة إلى ذلك فإن عشيرة المُحلّمية قد سارعت ومنذ بداية سكناها في منطقة الجزيرة السورية، إلى الإعلان عن انتماءها العربي والتصريح عنه والتمسك به، ولم يكن لها من وراء ذلك أية غاية تذكر سوى تأكيد هويتها، ولقد اعترفت القبائل والعشائر العربية لها بذلك وعدتها جزءاً لا يتجزأ من الوجود العربي في المنطقة.

ولقد دعم ذلك بأن عشيرة المُحلّمية قد مالت (سياسياً واجتماعياً) إلى أبناء عروبتها فكانت مواقفها السياسية تؤكد ذلك وحينما قامت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ عبرت عن ذلك بفرحتها الغامرة وقد التفت كل العشيرة حول الزعيم الراحل عبد الناصر واعتزت به، لأنه بطل عربي قومي، ولقد عرف أبناء هذه العشيرة بانتماءهم للأحزاب العربية القومية وخاصة الناصرية منها، كما إنهم قد نالوا مراكز جيدة في المجتمع والدولة، وإن الحكومة السورية ومنذ البداية عدت هذه العشيرة جزءاً من أبناء العروبة في المنطقة العربية التي ضمتها تركيا لها، والممتدة من اسكندرون في الغرب حتى نصيبين وشمال عين ديوار في الشرق.

لذلك ومنذ قدوم أبناء العشيرة إلى أرض الجزيرة السورية فإن هذه الحكومة قد منحتهم الجنسية العربية السورية وقامت بتوزيع الأراضي على من هم بحاجة. وقامت بتوظيفهم في مؤسسات الدولة وشركاتها وسمحت لهم بتملك الأراضي الزراعية في تلك المناطق الحدودية.

وإننا سنذكر هذه الأمور بشيء من التفصيل في الفصل المخصص لعشيرة المُحلّمية في الجزيرة، ليتسنى للقارئ أن يأخذ فكرة كافية عن وضع العشيرة في الجزيرة السورية وغيرها من البلدان العربية وسنبين ذلك في حينه.

بقي أن نقول: إن مثل هذه الادعاءات والافتراءات التي نسمعها من هنا أو هناك من قبل مجموعات الجذب لم يكن الغرض منها ــ كما قلنا مراراً وتكراراً ــ إلا تحقيق غايات ومنافع لهذه المجموعة أو تلك، ولم يكن هدفها (سامياً) الغاية منه توضيح الحقيقة وإظهارها، وإنما كانت جملة من الأقاويل والإشاعات التي لا أساس لها من الصحة، والتي كانت تتحطم دائماً على صخرة الواقع والحقيقة.

وبقي أن نذكّر قراءنا بمثلٍ يقال في الجزيرة السورية ويردده أهلها دائماً وفي أي مناسبة وهو (إن من ينكر أصله لا أصل له)، وهذا المثل يطلق دائماً على الفرد الذي ينسى أصله ويلصق نفسه بأصل آخر، لكن ماذا عن الذي يذكر أصله ويصرّ على الانتماء له ويعتز به دوماً وأبداً ويدافع عنه قولاً وفعلاً..

هذا هو المُحلَمي العربي الذي لا ينكر أصله دائماً، وإن هذا التمسك بالأصل والإصرار عليه والافتخار بالانتماء إليه الذي قد يصل في بعض الأحيان ــ إن لم نقل في أغلبها ــ إلى درجة التعصب فإن ذلك إنما يدل على وحدة الدم والتاريخ واللغة التي تربطه بأبناء أمته العربية.

الفصل الثامن

الفروق بين المُحلّمية وغيرها من العشائر

ـ أولاً ـ

الفروق بين المُحلّمية والماردينية

الماردينية أو كما يسمونها (الماردلية) هي نسبة إلى مدينة ماردين. والتي كانت من ديار بكر وربيعة، وما زالت مدينة ماردين مزدهرة عامرة بقلعتها العظيمة، ويسكنها ـ مثلها مثل أي مدينة (حديثة) ـ كثير من الأعراق والقوميات والأجناس من عرب وأكراد وأتراك وتركمان وسريان وغير ذلك.

والمارديني: هو شخص ينتسب إلى مدينة ماردين كما نقول (حلبي) نسبة إلى مدينة حلب مثلاً.

ويقول ابن حجر: المارديني ـ جماعة نُسبوا إلى ماردين، وهي حصن ببلاد الجزيرة مشهور.[١]

وأفاد السمعاني في الأنساب بأن المارديني.. هذه النسبة إلى ماردين وهي بلدة من بلاد الجزيرة.

وهكذا ينسب إلى ماردين جميع السكان المقيمين في هذه المدينة بغض النظر عن قومياتهم أو أديانهم أو غير ذلك.

أما (المُحلّمي): فهو نسبة إلى (مُحلّم) بن ذهل بن شيبان وينسب إلى (بني مُحلّم) المُحلّمية، وديارهم كما سبق وذكرنا في المنطقة العربية

---

(١) انظر كتاب (تبصير المنتبه) لابن حجر العسقلاني ـ صفحة ١٣٣٦.

(باعربايا) إلى الشرق من ماردين بحوالي ٦٠ــ٧٠كم تقريباً. إلـــى الجهــة الجنوبية من جبل طور عابدين.

ويختلف (المُحلّمية) عن سكان ماردين (الماردينية)، أو (الماردلية) بأنهم من أصول عربية خالصة وبلهجتهم المحكية العربية الخاصة بـــهم، وكذلــك بعاداتهم وتقاليدهم، والتي هي أقرب إلى عادات أهل الريف منها إلى عــادات أهل المدينة، وما زال الكثير من المُحلّمية في تلك المناطق يعملون بالزراعة، وخاصة زراعة الحبوب والأشجار المثمرة كالعنب، والذي تقوم عليه عـــدة صناعات غذائية.

ولقد يختلط الأمر عند البعض من أن اللهجة (المُحلّمية) هـــي مطابقـة للهجة (الماردينية)، وهذا فقط من الناحية الظاهرية، ذلك أن للهجة (المُحلّمية) ميزات خاصة بها، وفي المنطقة يمكن التمييز بين اللهجتين بعضـــهما عـن بعض بسهولة.

ـ ثانياً ـ
الفروق بين المُحلَمية وغيرهم من العشائر العربية

سبق وأن ذكرنا أن مناطق ديار بكر وربيعة ومضر، سكنتها قبائل وعشائر عربية عديدة منذ زمن بعيد، ومن تلك العشائر بكر، وتغلب، وبني كلاب، ونمير، وبني قيس، وغيرهم.

وقال حسن شميساني: «إن القبائل المشهورة التي كانت تسكن في تلك الجهات، والتي وافتنا بها كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى، وأكدتها كتب ومؤلفات الحديثين منهم، قبائل تغلب، بكر بن وائل، قيس، سليم، ذكوان، قشير، نمر، كلاب، عقيل، شيبان، طي وغيرها».[1]

ويشير إلى ذلك العزاوي في كتابه «عشائر العراق القديم» حين قال: «إن من القبائل الأخرى التي استوطنت تلك المناطق ومنها ماردين، قبائل زوبع، والتي تداخل أفرادها مع الزمن مع غيرهم، وركنوا إلى الزراعة، وكذلك قبيلة بني سبعة وهم فرع من طي».[2]

وهناك أيضاً قبائل حرب والشرابيين وغيرهم.

---

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» لحسن شميساني ـ طبع دار الكتب بيروت ١٩٨٧ ـ ص٣٤٢.

(٢) انظر كتاب «عشائر العراق القديم البدوية» ـ عباس عزاوي ـ صفحة ٢٠٣.

وما يزال بعض هذه القبائل يعيش حياة الرعي، والتنقل، ومـــا زالـت تحافظ على عروبتها ولغتها العربية الأصيلة، وتنتشر فـــي منـــاطق حـــول ماردين، ورأس العين، وديار بكر، أورفه، ونصيبين، وغيرها.

ولقد استقر بعض هذه العشائر منذ زمـــن قديـم وعملـوا بالزراعـة والحراثة، وأسسوا البلدات والقرى، وأقاموا بها ومنهم ـ كما سبق وذكرنا ـ (عشيرة المُحلَّمية).

وتمتاز (المُحلَّمية) عن هذه العشائر بميزة الاستقرار في منطقة جغرافية واحدة على طول خط واحد معروف منذ زمن بعيد وهي تسمى (باعربايا) أو المنطقة العربية، وهي جنوب جبل طور عابدين والتي سميت (بديار مُحلَّـم) أو ديار الشيبانيين.

أما بقية العشائر العربية فهي تستقر في أماكن متفرقة ومناطق عدة، ومهما يكن من أمر فإن لكل عشيرة عربية عادات خاصة بها، حيث تتدرج جميع هـذه العادات ضمن نطاق العادات العربية الأصيلة ولهجة عربية مميزة بها.

ومن هذه العشائر الراشدية، والمخاشنية، والجارودیـــة وغيرهـا مـن العشائر، وإننا لا نستطيع أن نتحدث بـــالتفصيل عـن تلـك العشـائر، لأن المعطيات التاريخية والمعلوماتية التي بين أيدينا ليست كافية لفتح ملفات هذه العشائر، وتبيان جذورها وأصولها ونسبها، لكن كل الذي نعرفه هو أن هـذه العشائر العربية تتجاور بالسكن مع عشائر المُحلَّمية، وتشكل معـــها وحـدة عشائرية عربية في تلك المنطقة، كما إن بعض المعطيات التاريخية الأوليـة التي بين أيدينا تشير إلى أن هذه العشائر هي بقايا من بعض القبائل العربية، وإن كنا نرجح بأنها من بقايا قبائل عبد القيس البكرية، وبشكل عــام فإننـا نستطيع القول أنها من القبائل البكرية والتغلبية التي سكنت تلك المناطق منذ زمن طويل.

الفصل التاسع

عشيرة المُحلَمية في الجزيرة السورية

ـ ويتضمن هذا الفصل المحاور التالية ـ

الأول: لمحة عن التنوع العشائري والقبلـــي فـــي الجزيـــرة (دراســـة اجتماعية).

الثاني: بدايات الوجود المُحلّمي المتجدد في الجزيرة.

الثالث: الانتشار المُحلّمي في الجزيرة (القرى، التجمعات، العائلات).

الرابع: البروز المُحلّمي في الجزيرة.

الخامس: علاقة المُحلّمية مع غيرها من العشائر.

السادس: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري للعشيرة.

السابع: الوضع التنظيمي للعشيرة.

الثامن: الدور المنشود للمُحلّمية في الوقت الراهن.

ـ أولاً ـ

لمحة عن التنوع القبلي والعشائري

(١)

الجزيرة السورية (الموقع العام)

الجزيرة السورية هي جزء من منطقة الجزيرة الفراتية، والتي كانت تطلق على الأراضي الواقعة شمال العراق ما بين نهري دجلة والفرات، والتي تمتد من تكريت على دجلة إلى الحديثة وعانة على الفرات جنوباً، ثم تتجه شمالاً إلى منابع النهرين التي يقترب بعضهما من بعض كثيراً.

ومع أن هذا الإقليم المتسع هو منطقة متشابهة من حيث أوصافه الطبيعية، إلا أن العرب قد قسموها ـ لاعتبارات عدة ـ إلى ديار عدة عُرفت باسم القبائل التي نزلتها قبل الإسلام، وهي ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر، ولكل منها مدنها وقراها التابعة لها.

ومن ذلك ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي حيث قال:

«وديار بكر من حيث موقعها في الإقليم هي وحدها ما غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه إلى حصن كيفا وآمد وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني، وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل».[١]

---

(١) انظر كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي جزء ٢ صفحة ٤٩٤.

وقال ابن شداد: «والصقع الأول: فهو ديار ربيعة وفيها من البلاد مما يلي بلاد الموصل: بلد، أذرمه ، نصيبين، دارا، الخابور، رأس العين ، سنجار، جزيرة ابن عمر.. والصقع الثاني هو ديار مضر وفيها.. حران.. الرقة.. الرها.. سروج».[1]

أما مفهوم الجزيرة السورية في الوقت الحاضر فيطلق عليه أحياناً اسم (الجزيرة العليا) فهي تلك المنطقة التي تشكل حالياً الحدود الإدارية لمحافظة الحسكة ضمن أراضي الجمهورية العربية السورية، والتي تمتد من ناحية الشدادة وإلى عين ديوار بالمالكية، ومن اليعربية إلى رأس العين، ومركز المحافظة كما هو معروف هو مدينة الحسكة، ومن أهم مناطقها القامشلي، رأس العين، المالكية، ومن أهم مدنها الدرباسية وعامودا، والقحطانية، واليعربية، وتل حميس وغيرها من عشرات البلدات والقرى الصغيرة.

والجزيرة ذات سهول شاسعة مستوية، وذات تربة ذكية صالحة للزراعة وفيها أعشاب ومراعٍ وأمطار غزيرة نسبياً، وفيها عدد من الأنهار والجداول الصغيرة.

وكانت الجزيرة في العصور القديمة والمتوسطة حتى أواخر العصر العباسي وخلال غارات الصليبيين والمغول عامرة بالسكان، زاخرة بالحقول والسدود، والترع والتي تدل عليها الأنهار المندثرة، والتلال الصناعية، والأطلال الأثرية المنتشرة بكثرة، وهي من بقايا الشعوب العربية القديمة، وبعد الإسلام مصّرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وعانت من الفتن

---

(١) انظر كتاب «الاعلاق الخطيرة» لابن شداد ــ جزء ٣: ١ صفحة ٤ وصفحة ٥ ــ ٦.

الداخلية والمخاطر البيزنطية، وقامت فيها أول دولة عربية مستقلة حتى تعرضت للاجتياح التركماني ثم الصليبي وغارات التتار والتركمان وفوضى العصر العثماني، وقد بدأ النزوح إلى منطقة الجزيرة منذ عصور قديمة رويداً رويداً، وهؤلاء النازحون جاؤوا من عدة أماكن، وهم من مختلف الطوائف والأديان واللغات كالعشائر العربية من العراق، وآسيا الصغرى، والأكراد، والأرمن، والسريان عدا ما كان فيها من عشائر وقبائل عربية سكنتها منذ أزمان بعيدة.

وخلاصة القول: إن منطقة الجزيرة السورية تعدّ من المناطق الناشطة حضارياً، حيث شهدت قيام دول كبرى وحضارات رائعة يشهد عليها آثارها، وهي حالياً من المناطق الزراعية الأولى في القطر العربي السوري، وفيها عدة زراعات استراتيجية مثل: الحبوب، والقطن، كما إنها منطقة غنية جداً بالثروات الطبيعية، وخاصة البترول، والغاز الطبيعي.

وتعد الجزيرة السورية صلة وصل ما بين تركية وأوربة من جهة، والعراق والخليج العربي وإيران من جهة أخرى، وبشكل عام فإن الجزيرة السورية تعدّ من أهم المناطق في سورية اليوم.

(٢)

التنوع القبائلي والعشائري

إننا إذ نورد هنا لمحة موجزة عن التنوع العشائري في الجزيرة نود أن نشير إلى أنه يعيش في الجزيرة السورية عدد من العشائر العربية وغير العربية كالكردية، كما أنها تضم مجموعات دينية كبيرة كالسريان والأرمن، وإنه يجب أخذ العلم بأنه لا مجال في هذا الكتاب لإعطاء فكرة ولو موجزة عن أوضاع هذه العشائر والاثنيات وغيرها.

ومن القبائل والعشائر العربية:

١ ـ قبيلة طي: وهي قبيلة كبيرة في الجزيرة السورية، لها مكانتها ونفوذها وهي ذات نسب عريق، وطي الحاضرة هي متحدرة أصلاً من قبيلة طي العربية الكبرى، ولقد خرج أسلافهم من جبلي أجا وسلمى والمعروفين باسم جبل طي وجاءت للجزيرة السورية منذ زمن بعيد وطي العربية هذه مؤلفة من عدة عشائر وأقسام وأهمها: العساف وفيهم (الريادة والرئاسة)، والراشد، والحريث، وبني سبعة، وحرب، والجوالة والغنامة وغيرهم.

ولهذه القبيلة عشائر كثيرة منتشرة في سورية والعراق وتركيا وغيرها، ومساكنهم حالياً في مدينة القامشلي وأطرافها وإلى الجنوب والشرق منها وعدد من المناطق الأخرى في الجزيرة.

٢ ـ الجبور: عشيرة عربية كبيرة تقطن في مناطق الخابور على ضفته، وتمتد ديارهم إلى ناحية الصور.

٣ ـ شمر: عشيرة عربية تقطن في مناطق اليعربية والمالكية، وهي عشيرة كبيرة لها امتدادها في العراق، وهي بالأصل من قبائل طيء.

٤ ـ الشرابيين: وهي عشيرة عربية تنتشر على ضفاف الخابور وحتى رأس العين، وفي بعض المناطق الأخرى وتنتشر في القامشلي واليعربية وغيرها.

٥ ـ البقارة أو (البكارة): ويدعون بكارة الجبل وهو جبل عبد العزيز، وهم من بكارة دير الزور، وهي عشيرة عربية تقطن في أطراف مدينة الحسكة وغيرها من المناطق، كما إن هناك العديد من العشائر العربية التي لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

(٣)

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

(آ)

الحياة الاقتصادية

تشكل الزراعة النمط الاقتصادي الأساسي لاقتصاديات منطقة الجزيرة السورية، حيث تشكل الأراضي الزراعية نسبة عالية من مساحتها، ومعظم هذه الأراضي هي أراضٍ سهلية صالحة للزراعة، وتمتاز بتربتها الغنية والمناسبة لزراعة الحبوب والقطن والأشجار المثمرة وغيرها.

وبذلك يكون العمل الزراعي هو المحور الأساسي الذي يعمل به حوالي سبعين بالمئة من سكان الجزيرة، وهناك قسماً لا بأس به من السكان، يعملون في مجالات الصناعة، والتجارة، والمهن الحرة، والعمل لدى جهات الدولة ومؤسساتها وشركاتها، أو في مجالات البناء، وخاصة أن هناك تجمعات عمالية سكنية كبيرة مثل مدينة (الرميلان).

ونتيجة للموقع الجغرافي الهام للجزيرة فإنها تحتوي على منفذين رئيسيين لسورية على الخارج، وهما منفذ القامشلي مع الحدود التركية، ومنفذ اليعربية مع الحدود العراقية، الأمر الذي يعطي للجزيرة مكانة تجارية اقتصادية مهمة.

كما إن الأهمية الاقتصادية للجزيرة تكمن في إنتاج ثمانون بالمئة من الحبوب في سورية، وهي غنية كما ذكرنا بالموارد الطبيعية كالبترول والغاز الطبيعي.

وعليه فإن الجزيرة تشكل منطقة اقتصادية جيدة ومتكاملة من حيث الإمكانات المادية والبشرية، الأمر الذي يعطي لهذه المحافظة أهمية زيادة على غيرها من المحافظات السورية.

وعلى الرغم من كل هذا الثراء، فإن الاعتماد الرئيسي على الزراعة وإنتاج الأرض وإن حقق انتعاشاً اقتصادياً للمنطقة وسكانها خلال عقود طويلة إلا أنه قد تقلص خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، ولذلك أسبابه ومنها الظروف المناخية وقلة المياه، وتقلص الملكية الزراعية وتفتتها بسبب الإرث وغير ذلك من العوامل، كما أن السكان لم يستفيدوا من سنوات الانتعاش تلك لخلق استثمارات جديدة في مجالات الصناعة، أو حتى مجالات الصناعة الزراعية، وبشكل عام فإن السكان في الجزيرة ما يزالون إلى اليوم في مستوى معيشي جيد ومقبول، إلا أن ذلك أمر نسبي، وخاصة أن كثيراً من أبناء المحافظة ليس لهم أراضٍ زراعية يملكونها أو ينتفعون منها، وإن القسم الكبير منهم يرزق من كد يديه في مجالات عمل أخرى، كالأعمال المهنية واليدوية والعمل في قطاعات الدولة.

ومهما يكن من أمر فإن نمط الاقتصاد الزراعي في هذه المنطقة كان له تأثير كبير على نمط العلاقات الاجتماعية فيها والتي ستكون موضوع حديثنا في المحور التالي.

(ب)

الحياة الاجتماعية

ذكرنا أن النمط الاقتصادي يؤثر بشكل مباشر على الحياة الاجتماعية وهذه مقولة اقتصادية ـ اجتماعية تنطبق على الوضع الاجتماعي العام في الجزيرة، ذلك أن نمط الانتاج الزراعي كان له أثره في تكوين الحياة الاجتماعية وتمتاز الحياة الاجتماعية في الجزيرة بالمميزات التالية:

١ ـ إن مجتمع الجزيرة ما يزال مجتمعاً ريفياً.

٢ ـ العلاقات الاجتماعية فيه بسيطة غير معقدة.

٣ ـ التنوع والتناغم في الحياة الاجتماعية.

٤ ـ الأصالة والبساطة.

٥ ـ الانتماء للعشيرة.

١ ـ فالمجتمع الجزري ما يزال مجتمعاً ريفياً أي إنه يعيش النمط الريفي في العمل والسكن والعلاقات الاجتماعية، ذلك أن من متطلبات الإنتاج الزراعي هي الإقامة بالأرض والعمل فيها، وهذا الأمر أدى إلى وجود آلاف القرى المنتشرة في سائر أرجاء المحافظة وما زالت هذه القرى صغيرة وبسيطة، وربما تشكلت القرية من بضعة بيوت، وما يزال السكن في هذه القرى مبني من الطين والخشب المسقوف، وإن كنا نشاهد مدناً كبيرة نسبياً وبلدات قد ازدهرت وأخذت الطابع الحديث في البناء والعمران والتنظيم. لكن الطابع العام الغالب للجزيرة ما يزال ريفياً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

٢ ـــ علاقات اجتماعية بسيطة غير معقدة: ومثل أي مجتمع ريفي بسيط فإن العلاقات الاجتماعية في الجزيرة ما زالت علاقات بسيطة، لا يشوبها التعقيد، وهي تتصف بالعفوية والتسامح والمحبة بين أفراد المجتمع، لأن عمليات الانتاج الزراعي ذاتها غير معقدة، فعلاقة الإنسان الجزري مع الأرض والمناخ الجيد يضفي عليه نوعاً من الصفاء، لذا نرى أن الغالبية العظمى من السكان يتميزون بالطيبة والتواضع.

٣ ـــ التنوع والتناغم: لقد ذكرنا أن منطقة الجزيرة تعد من المناطق العريقة حضارياً، وهذا الوضع ترك آثاره على التركيبة السكانية في المنطقة فترى أن هناك تنوعاً عجيباً من الاثنيات والقوميات والأديان والمذاهب والأعراق، وعلى الرغم من هذا التنوع إلا أننا نجد تناغماً عجيباً بين هذه الفئات كلها. فترى العلاقات الاجتماعية فيها تسير في محاور عدة ومختلفة ولا تتبع سياسة المحور الواحد المتعصب، وبذلك فإن الميزة الرئيسية في الجزيرة هي هذا التعايش الطيب بين سكانها والقائم على المحبة والاحترام والعيش المشترك.

٤ ـــ الأصالة: ما تزال القيم ومكارم الأخلاق كالصدق والأمانة وغيرها موجودة في المجتمع الجزري على الرغم من أن هذه الفضائل قد فقدت بعضاً من صمودها في وجه الطغيان المادي الاستهلاكي الحديث. إلا أننا نشاهد وبوضوح صوراً من الإيثار والمعونة، ومساعدة الغير وإغاثة الملهوف، والصدق، والأمانة، في التعامل والمعاملة، وهي صفات أصيلة لا تخلو منها فئة من الفئات التي تعيش في هذا المجتمع الجزري الكبير.

٥ ـ الانتماء القبلي والعشائري: كأي مجتمع ريفي زراعي محافظ على أصالته فإن المجتمع الجزري ما يزال يعطي للعشائرية أهمية بالغة في حياته وما يزال ابن الجزيرة يعتز ويفتخر بنسبه وبعشيرته، ويكاد يكون الانتماء العشائري أحياناً أقوى من أي انتماء آخر، وما يزال هناك دورٌ ما لهذه العشائر ولمشيخاتها في هذه المنطقة، وهو دور فعّال في خلق جو من التفاهم والمحبة والتعاون بين السكان، وحل مشاكلهم، ولهذا السبب نجد أن هناك العشرات من العشائر العربية والتي ما زالت هيكليتها العشائرية قوية وذات نفوذ محلي.

ـ ثانياً ـ

بدايات الوجود المُحلَميّ المتجدد في الجزيرة

لقد ذكرنا أن الموطن الرئيسي لعشيرة المُحلَمية هو في (بيت مُحلَّم) أو ديار المُحلَمية الواقعة في الجهة الجنوبية من طور عابدين من المنطقة العربية ضمن ما كان يُعرف بديار بكر، وما زالت هذه القرى المُحلَمية منتشرة على طول الخط من آزخ شرقاً حتى حدود ماردين تقريباً، وهي عامرة بسكانها.

وذكرنا أيضاً في فصول سالفة أن عشيرة المُحلَمية الموجودة حالياً في الجزيرة السورية هي من تلك المنطقة، ولقد نزحت إلى سورية مع بدايات القرن العشرين، وإن هذا النزوح لم يتم دفعة واحدة بل بشكل دفعات متتالية حيث استقرت شيئاً فشيئاً في منطقة القامشلي أولاً، وهي منطقة التجمع الرئيسي للمُحلَمية، ثم انتشرت منها إلى سائر أرجاء المحافظة وغيرها من المدن السورية، كما إن هناك نزوحاً إلى حلب ولبنان والعراق، وقد خصصنا عدة فصول تتحدث عن أوضاع المُحلَمية في هذه الدول.

وفي الحقيقة إن هذا النزوح لم يكن في البداية سوى هجرة داخلية من مكان إلى مكان ضمن حدود الدولة الواحدة، ذلك أن مناطق جبل طور عابدين كانت إلى زمن ليس ببعيد تدخل ضمن حدود بلاد الشام التي كانت تمتد حتى حدود جبال طوروس شمالا.

ولقد كانت هناك أسباب عدة لهذه الهجرة (المحلمية) ومن هذه الأسباب:

١ ـ عدم وجود حدود دولية بين منطقة ديـــار المُحلَميــة ومنطقــة الجزيرة السورية، ولذلك فإن هذه الهجرة داخلية من مناطق الريـــف إلـــى المدينة، وكان في هذا الوقت تحديداً قد بدأ تكوّن المدن في الجزيـــرة ومنـــها مدينة القامشلي.

٢ ـ الظروف الاقتصادية والمعيشية: إن المُحلَمية في مناطق وجودهم الأصلية كانوا وما يزالون يعملون بالزراعة لكونهم يعيشـــون فـــي منـــاطق ريفية، تعتمد اعتماداً كلياً على العمل الزراعي، علماً أن المساحات الزراعية قليلة وتكاد تكون الملكية الزراعية لا تتجاوز الهكتار الواحد، الأمر الذي لـــم يعد يحقق لهم المورد الكافي لمعيشتهم، نتيجة لزيادة عدد السكان، لذلك فإنهم اتجهوا جنوباً نحو الجزيرة السورية، حيث بدأت تشهد هذه المنطقة ازدهاراً، وكان هذا هو العامل الأساسي في نزوح أبناء المُحلَمية إلى منطقة الجزيـــرة وغيرها من المناطق والدول.

٣ ـ السبب الاجتماعي: إن ديار المُحلَمية في تركيا حالياً هي التجمـــع السكاني العربي الوحيد في تلك المناطق والتي تحيط بها اثنيـــات وأعـــراق وقوميات مختلفة، كالتركمان، والأكراد، والأتراك، وغـــيرهم، وكـــان هـــذا المحيط الاجتماعي يضيق بخناقه على القرى العربية، ولقد زاد هذا الخنـــاق بعد ثورة أتاتورك، وما تبعها من سياسات تتريك منظمة طالت العناصر غير التركية ومنها العناصر العربية المُحلَمية، ولقد أدت هذه السياسة إلى فـــرض اللغة التركية ومنع التدريس باللغة العربية وتغيير أسماء القـــرى والبلـــدات العربية وفرض اللباس التركي وتغيير الألقاب وغير ذلك.

وجعلت هذه الأوضاع المُحلّمية يشعرون بأنهم غرباء في ذلك المحيط، وخاصة أن أوضاعهم الاقتصادية كانت صعبة في ذلك الوقت.

ولقد أدت هذه الأمور كلها إلى أن يفكروا بالنزوح نحو منطقة الجزيرة حيث يوجد العنصر العربي بكثرة وغالبية، وحيث الأرض العربية، ولعلهم يعيشون بين بني قومهم برفاه وأمن واطمئنان.

٤ ـ العامل الأمني: لقد مرت على المُحلّمية خلال عقود طويلة ظروفاً معينة، حيث كانت المنازعات والحروب هي حالة شبه دائمة في تلك المنطقة، ولقد توجت تلك المعاناة بتسليط النظام البكوي على رقاب أبناء المُحلّمية العرب، حيث كان يحكم (البيك) عدة قرى من المُحلّمية، ويترك قسماً من هذه الغنيمة لغيره من البكية، ولقد أدت السياسة هذه إلى قيام نزاعات وقتال فيما بينهم نتيجة أطماع ومصالح، هذه النزاعات التي كان يدفع ثمنها وضريبتها دوماً السكان الذين ليس لهم ناقة أو جمل في تلك المنازعات. ولقد فرض هؤلاء (البكات) نفسهم بدلاً من شيوخ ورؤساء العشائر، الأمر الذي جعل (المُحلّمية) يثورون عليهم أحياناً، مما دفع بالعديد من السكان إلى الهجرة نحو مناطقهم العربية في سورية خوفاً من بطش هؤلاء الحكام وقساوتهم، واتجهوا نحو منطقة أكثر استقراراً وأمناً.

٥ ـ لقد كان لعمليات الانتقال السهلة التي كانت تجري بين مناطق المُحلّمية الأصلية في (تركيا) حالياً ومدينة القامشلي تحديداً الأثر في قيام علاقات تجارية بين المنطقتين، مما دفع بالعديد من أبناء المُحلّمية للعمل بالتجارة بين هاتين المنطقتين، ولقد شكل هؤلاء التجار النواة الأولى للسكان المُحلّميين في مدينة القامشلي.

٦ ــ كما كان لانشاء الخط الحديدي بين استانبول ــ بغداد والذي يمــر داخل الحدود السورية أثرٌ في عملية الهجرة، حيث صار عــدد كبـير مــن المُحلّمية يعملون في الشركات الألمانية والفرنسية أو الانكليزية التي قــامت بإنشائه، لأن هذا المشروع الضخم قد تطلب يداً عاملة كبـيرة جـداً، فكــان المُحلّميون من أوائل العمال والموظفين في هذه الشركات، وإن العمل في هذا المشروع كان يتطلب السكن والإقامة بجوار مناطق العمل على طــول هــذا الخط الذي يبدأ من نصيبين حتى بلدة اليعربية علــى الحــدود الســورية ــ العراقية، حيث انتشرت عدة محطات للسكك الحديدية على طول هذا الخــط، ولقد استقطبت هذه الشركات عدداً كبيراً من أصحاب اليد العاملة (المُحلّمية)، ولقد استقرت هذه اليد العاملة في منــاطق وجودهــا بعــد انتــهاء العمــل بالمشروع، وظلت مستقرة في سورية تعمل لدى جهات الدولة بعد الاستقلال.

أدت هذه العوامل كلها إلى هجرة عشرات المئات من العائلات المحلمية خلال عقدين من الزمن، وما لبثت أن أصبحت الركيزة الأساســية لــهجرة أعداد كبيرة من (المحلمية)، حيث ازداد عدد المهاجرين إلى ثلاثة أضعــاف خلال عدة عقود، ولقد ساهم هؤلاء المحلميون ــ كما سلف القــول ــ فــي إعمار المنطقة باعتبارهم من السكان الأوائل فيها، وذلك مع غــيرهم مــن المهاجرين السريان والماردلية والأكراد. حيث كان للعلاقات الودية بين فئات المهاجرين ــ وخاصة السريان والماردلية والمحلمية في مدينة القامشلي أثر بالغ في تأسيس هذه المدينة، وخاصة أن هذه العلاقة كان لها جذورها الطيبة في منطقة وجود هذه المجموعات في تركيا، حيث أن منطقة ماردين قريبــة من مناطق قرى المحلمية هناك.

وعليه فإننا نستطيع القول: إن بدايات الوجود المُحلَمي في الجزيرة يعود إلى ما يقارب قرن كامل ونيف ولم يقتصر هذا الوجود على مدينة القامشلي وحسب بل وإنما كانت هناك هجرات إلى عدد من المدن والبلدات في المحافظة كالحسكة ورأس العين وعامودا واليعربية وغيرها من المدن، كما أن هناك عائلات كبيرة جداً قد استقرت في مناطق الريف وعملت بالزراعة وقامت بإنشاء القرى في الريف الجزيري.

ولابد من الإشارة هنا إلى أننا قد تعمدنا عدم ذكر الشخصيات والعائلات الأولى المهاجرة، لأن لهذا الكتاب هدف واحد وأساسي وهو إبراز الهوية العربية لعشيرة المُحلَمية أولاً وأخيراً، وتبيان جذورها وأصالتها وانتماءها تاريخياً، وليس الغرض منه تسليط الضوء على الأسماء والمسميات والأشخاص والعائلات وغير ذلك.

والمهم في الأمر أن الوجود المُحلَمي في المنطقة كان له آثاره الواضحة وبصماته في هذا المكان وخاصة في مدينة القامشلي وضواحيها.

ـ ثالثاً ـ

الانتشار المُحلَمي في الجزيرة وغيرها

ما إن حل العام ١٩٥٠ حتى كانت أعداد المُحلَمية قد ازدادت في منطقة الجزيرة حتى بلغت أعدادهم في ذلك الوقت أكثر من خمسة عشر ألف نسمة في مدينة القامشلي وقراها وبلدات المحافظة.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الوجود المُحلَمي في المنطقة يؤتي ثماره وأُكُلَه حيث بدأت العشيرة مرحلة التكوّن والتشكّل والظهور، وأصبحت المجموعات المهاجرة عشيرة ساهمت في بناء مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية في هذه المنطقة.

وهو الأمر الذي جعل هذه العشيرة ــ كما سلف وذكرنا ــ محط أنظار العشائر العربية الأخرى، والتي كانت تساكنها في مناطق الريف الممتد من القامشلي إلى اليعربية شرقاً وإلى تل حميس إلى حدود العراق.

ونتيجة لتحسن ظروف المعيشة في المنطقة في تلك الآونة بسبب امتهان العمل الزراعي وإدخال وسائل الإنتاج الزراعي الحديثة من آليات وجرارات زراعية وحصادات وغير ذلك، فإن هذا التحسن المعيشي قد فتح مجالات عديدة للعاطلين عن العمل، من ذلك الاستقرار في الريف، كما بدأت نواة القرى المُحلَمية والتجمعات السكانية المُحلَمية في التشكل، وإن كانت هذه القرى (حالياً) لم تصبغ (بالطابع المُحلَمي) الخالص، بل هي ككل قرى الجزيرة التي تعيش فيها عشائر وطوائف مختلفة ومتنوعة.

ولقد ازداد الوجود المُحلّمي في الأرياف والقرى، وخاصة بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي في سورية عام ١٩٥٨ ــ ١٩٦١، وما تبعه من عمليات استملاك وتحديد الملكية الزراعية وبالتالي عمليات توزيع الأراضي على (المنتفعين) الفلاحين، ولقد استفاد عدد من أبناء المُحلّمية مثلهم مثل غيرهم من المواطنين، وحصلوا على أراضي انتفاع في عدة قرى من المحافظة وخاصة القامشلي والدرباسية ورأس العين واليعربية والقحطانية وغيرها.

وبالمقابل فإن أبناء المُحلّمية في المدن (خاصة القامشلي) قد ازدادت أعدادهم بشكل طبيعي، لأن قسماً منهم قد اتجه نحو العمل في وظائف وشركات الدولة بينما بقيت الأقسام الأخرى تعمل في شتى مجالات العمل من بناء وتجارة وصناعة وفي بعض المهن اليدوية وغير ذلك.

ولقد أدى المناخ الاجتماعي الموائم في هذه المنطقة إلى خلق علاقات اجتماعية جديدة ومتفرعة ومتشعبة، ومنها علاقات الجوار والمصاهرة والتزاوج وغير ذلك، وأدت هذه العلاقات إلى نتائج ايجابية جيدة للعشيرة ككل، وإن كانت هذه العلاقات قد أدت في بعض الأحيان إلى إشكالات، وخاصة أن بعض هذه العلاقات الاجتماعية قد وصلت إلى حد الانصهار الاجتماعي أو العائلي مع مجموعات أخرى وخاصة الكردية منها، ولقد انعكس ذلك كله ــ كما سلف وذكرنا في هذا الكتاب ــ على الوضع العام للعشيرة من حيث فقدان الملامح العربية الأساسية للفرد المُحلّمي، والتي وصلت أحياناً إلى درجة التخلي عن لغته الأساسية في الحديث والمخاطبة والتعامل.

وإننا نستطيع القول بأن الوجود المُحلّمي في الجزيـــرة أصبـــح اليـــوم وجوداً كبيراً حيث انتشر أفراد العشيرة في كل مكان في هذه المنطقة بحيث لا تخلو مدينة أو بلدة في الجزيرة من العنصر المُحلّمي.

وإننا لسنا في صدد إعطاء إحصائية تقديرية لأعـــداد (المُحلّميـــة) فـــي الجزيرة أو أماكن وجودهم وعدد قراهم وغير ذلك من الأمور. ذلك أن هـــذا الأمر يحتاج إلى دراسة سكانية كاملة ومتكاملة وخاصة أنه لـــم يكـــن فـــي حسباننا أثناء التفكير في عمل هذا البحث الحديث عن هذه النواحي، ذلـــك أن الغاية من هذا المؤلَّف كانت كما أسلفنا التأكيد على الهوية العربية المُحلّمية، وإبراز جذورها وانتماءها العربي الأصيل.

وإننا نفكر في إصدار ملحق خاص بهذا الكتاب يتضمن دراسة ســـكانية انتربولوجية عن الوضع السكاني للمُحلّمية من حيـــث أعدادهـــم وتوزعـــهم الجغرافي بشكل علمي ومدروس.

ـ رابعاً ـ

البروز المُحلّمي في الجزيرة

لقد ذكرنا في الفصل الماضي أنه اعتباراً من العام ١٩٥٠ تقريباً بدأت عشيرة المُحلّمية بالتكوّن والتشكّل كهيكلية عشائرية، وأخذت تبحث عن وجودها ودورها العشائري ضمن مجموعة العشائر العربية.

وإن عشيرة المُحلّمية لم تظهر بقوة كعشيرة عربية في المنطقة إلا في عهد الوحدة ما بين مصر وسورية بالأعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ولذلك سبب جوهري.

إذ إنه في هذه الحقبة التاريخية كان لمجيء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر إلى مدينة القامشلي ذكرى ومناسبة عند هذه العشيرة لا يمكن نسيانها بأي شكل من الأشكال وما زالت ليومنا هذا في ذاكرة الذين عاشوها وعاصروها وما يزالون يتحدثون عنها ويعدونها من الأيام الخالدة.

فلقد استقبل الرئيس الراحل عبد الناصر شيوخ القبائل والعشائر ووجهاء الجزيرة، وحينما التقى مع (وجهاء المُحلّمية) آنذاك، بدأ الوفد المُحلّمي التعريف بالعشيرة وانتمائها ومحبتها لعروبتها حتى وصل بأحد هؤلاء الوجهاء بأن يخرج عن طوره وعن بروتوكولات اللقاء ليتحدث بعمق وجرأة عن عروبة هذه العشيرة حديثاً ذا شجون، ترك أثره عند الرئيس الراحل والذي بدا متأثراً بالحديث، وخاصة أن المتحدث شرح قصة معاناة هذه العشيرة بشيء من اللوعة والحزن، ومن وقتها تبلور الوجه العربي للمُحلّمية

بصورة جلية واضحة، وعُدت العشيرة إحدى العشائر العربية الأصيلة وقد نالت بذلك اعتراف المجموعة العربية بأسرها.

وتبعاً لذلك فلقد ظهرت عشيرة المُحلّمية كقوة سياسية في المنطقة حينما أعلنت صراحة وعلناً عن محبتها وعشقها لعبد الناصر، لكونه زعيماً عربياً أصيلاً، ولقد جسَّد حب المُحلّمية لعروبتهم في محبتهم لعبد الناصر وكأني بهم يقولون: إننا عرب، وعبّرنا عن ذلك بصورة واضحة، وهي حبنا لعبد الناصر بطل هذه العروبة آنذاك.

حتى إن بعضاً من المُحلّمية البسطاء أراد أن يعبر عن هذه الحقيقة فقال بشكل معكوس: «إن عبد الناصر مُحلّمي» وهو أراد أن يقول: «إن المُحلّمية كلهم ناصريون».

ولقد ترك ذاك اللقاء نتائج طيبة لحقت بالعشيرة كلها، فلقد اتجه الشباب والرجال المُحلّميون إلى الانضمام إلى صفوف الأحزاب الناصرية فيما بعد، وما زالت صفة (المُحلّمي) هي (الناصري) في هذه المنطقة، وهذا دليل قوي على وحدة الترابط بين المُحلّمية كعشيرة عربية و(الناصرية) التي كانت مجسَّدة في شخصية عبد الناصر العربي القومي.

وكان لهذا الحدث الهام نتائج عديدة من أهمها:

١ ـ بروز المُحلّمية كعشيرة عربية أصبح لها وجود اجتماعي وسياسي في المنطقة، مما جعلها محط أنظار العشائر العربية والمجموعات الأخرى.

٢ ـ بروز الوجه السياسي للعشيرة والمتمثل في الوجه الناصري.

٣ ـ جعلت العشيرة محل استقطاب لعدد كبير من أفراد العشائر الأخرى والمجموعات، ولقد انطوى فيها عدد كبير من العناصر الكردية التي

أعلنت انتماءها لهذه العشيرة، وإن كان قد ظهر فيما بعد أن هــذه العنــاصر كانت تبحث عن مكاسب خاصة بها ليس إلاّ. كالحصول على الهوية السورية أو الانتفاع بأرض.

٤ ــ بروز الوجه المدني الحضري (للمُحلّمية) مــن خــلال مشاركــة العشيرة في كافــة مجــالات الحيــاة الاجتماعيــة والسياســية (البرلمــان، والأحزاب).

ـ خامساً ـ

علاقة المُحلَمية مع غيرهم من العشائر

(١)

علاقة المُحلَمية مع العشائر العربية

لقد ذكرنا في فصول متقدمة أن عشيرة المُحلَمية الوافدة إلى المنطقة قد انضمت إلى المجموعة العشائرية العربية، ومنذ ذلك الحين توثقت العلاقة ما بين المُحلَمية وهذه العشائر، وتطورت فيما بعد واتخذت طابعاً مميزاً في عهد الوحدة ما بين مصر وسورية.

وتتسم العلاقة ما بين المُحلَمية وغيرها من العشائر العربية في الجزيرة بالسمات التالية:

١ ـ اعتراف العشائر العربية بالمُحلَمية كعشيرة عربية وضمها إليها، ودعمها قولاً وفعلاً في مختلف المناسبات والوقوف معها في كل الأوقات ونورد مثالين عن ذلك يعبران عن مدى قوى الارتباط بين المُحلَمية وبقية العشائر العربية:

المثال الأول:

في الخمسينيات من القرن الماضي حدثت مشاجرة كبيرة بين بعض العائلات المُحلَمية وبعض العائلات الكردية في مدينة القامشلي، ولقد ذهب على أثرها عدد من القتلى والجرحى من المُحلَميين، ولقد حرك هذا الحادث

شعور المجموعات العربية التي عملت على إظهار مساندتها ودعمها للمُحلّمية باعتبارهم من أبناء جلدتهم.

وحدث أنه التقى في مقهى (كربيس) بالمدينة والذي كان في ذلك الوقت وربما ما يزال مكاناً وملتقى لكثير من زعماء العشائر ووجهاء المدينة وغيرهم، حدث أنه التقى وقتها الشيخ دهام الهادي شيخ عشيرة شمر العربية مع حسن حاجو زعيم العشائر الكردية في المنطقة آنذاك، ولقد أعلن الشيخ دهام الهادي استنكاره وإدانته لما حصل وقال موجهاً كلامه لحسن حاجو: «إن العربان في المنطقة لن يقفوا مكتوفي الأيدي جراء ما حصل للمُحلّمية العرب أو ما قد يحصل لهم» مؤكداً على أن المُحلّمية (عرب.. منّا وفينا.. واللي يصيبهم يصيبنا)، وطالبه بالإيعاز لجماعته بالكف عن إيذاء أي فرد مُحلّمي أو التعرض له أو الإساءة إليه.

المثال الثاني:

كما إن العلاقة كانت جيدة ومتينة ما بين قبيلة طي العربية ذات النفوذ الكبير والواسع في المنطقة وما بين المُحلّمية، حيث كان وجهاء المُحلّمية على علاقة متينة مع شيوخ القبيلة وعشائرها، حيث إن هؤلاء الشيوخ كانوا يعبرون دائماً عن إعجابهم بغيرة المُحلّمي وتمسكه بعروبته واعتزازه بقوميته.

٢ ـ إن أصالة العنصر المُحلّمي وحفاظه على لغته العربية وعاداته وتقاليده الأصيلة، قد جعله محط أنظار العشائر العربية الأخرى، الأمر الذي حدا إلى إقامة علاقات اجتماعية ومصاهرة وزواج وعلاقات عمل ومزارعة وتجارة فيما بين أبناء المُحلّمية وغيرهم من أبناء العشائر العربية الأخرى.

٣ ـ اتخاذ المُحلّمية موقف الحياد في حال حصول أي نزاع ما بين العشائر العربية فيما بينها والعمل بعد ذلك على التوسط لدى العشائر المتنازعة لحل خلافاتها ودياً، وتقديم الدعم الكامل لتلك الحلول التي من شأنها إصلاح ذات البين بغية المحافظة على قوة ومتانة ووحدة هذه العشائر العربية.

٤ ـ نظراً لأهمية (المُحلّمية) فلقد عدتها السلطات جزءاً من الهيكلية القبلية والعشائرية في المنطقة، حيث كانت تدعو العشيرة إلى سائر الاجتماعات المهمة في المحافظة المتعلقة بشؤون المنطقة ومناقشة الأوضاع الاجتماعية والعشائرية فيها.

٥ ـ دفاع العشائر العربية عن عشيرة المُحلّمية والوقوف معها في كل ما تتعرض له من هجمات من قبل مجموعات الجذب والتي تحاول النيل من قوة الانتماء العربي للمُحلّمية.

بقي أن نذكر بأن المتتبع لتاريخ هذه العشيرة منذ وجودها في الجزيرة السورية سيلحظ بأن السلوك الاجتماعي لهذه العشيرة هو مهادن وحيادي، ولم يحصل أي نزاع عشائري ما بين هذه العشيرة ومع غيرها من العشائر العربية، أو مع أي مجموعة عرقية، أو دينية أخرى تعيش في المنطقة.

(٢)
علاقة المُحلّمية مع الطوائف الأخرى

إن المحيط الجزيري متنوع وتعيش فيه عدة اثنيات مع العرب، فهناك الأرمن، والسريان وغيرهم من الطوائف المسيحية، وهناك الأكراد، والماردليون، وهم الوافدون من منطقة ماردين وما حولها.

وأغلب هذه الاثنيات ـ إن لم نقل جميعها ـ قد وفدت إلى الجزيرة مع بدايات القرن العشرين أو أقل من ذلك بقليل، حيث لم تكن الحدود السياسية قد رُسمت بعد بين الدول، حيث كانت المنطقة بأسرها واقعة تحت السيطرة العثمانية ومنذ ذلك الحين كانت العلاقات ما بين المُحلّمية وبين هذه الطوائف متبلورة تماماً، وذلك حتى قبل وفود هذه المجموعات واستقرارها في الجزيرة السورية، فقد كانت تتجاور في محل سكناها الأساسية، إذ إن مناطق وجودها في تركيا كانت تحيط بديار المُحلّمية من الشمال والغرب.

أولاً: العلاقة بين المُحلّمية والأكراد

لقد ذكرنا في فصل متقدم جذور العلاقة ما بين المُحلّمية والأكراد في منطقة وجودهم في تركيا، وقلنا إن منطقة ديار المُحلّمية فرضت حولها حصاراً اجتماعياً، وأصبحت تعيش حياة شبه مستقلة داخل كيانها، وإن لذلك أسبابه، منها حرص المُحلّمية على المحافظة على صبغتهم، ولغتهم، وأصولهم، ودماءهم العربية، بغية عدم الذوبان والانصهار في مجموعات عرقية أخرى.

وإن هذا الحرص الذي وصل في كثير من الأحيان إلى حد (التعصب) و(العصبية) جعلهم ينعزلون عن بقية المجموعات العرقية الأخرى ومنها الكردية، ونستطيع أن نقول إن العلاقات الاجتماعية كانت مقطوعة بين المُحلّمية وهذه المجموعات العرقية ومنها الكردية، وذلك لحرص المُحلّمية على المحافظة على نسلهم ودماءهم العربية وسط ذلك المحيط ولقد وصل بهم الحال إلى عدم إقامة أي علاقات مصاهرة أو زواج مع تلك المجموعات العرقية.

ومن خلال قراءاتنا التاريخية للعديد من الكتب والمراجع التي تتحدث عن تاريخ تلك المنطقة ومنها مؤلفات السريان مثل كتاب طور عابدين، وكتاب اللؤلؤ المنثور، لمار أغناطيوس الأول وكتاب «القصارى في نكبات النصارى» لاسحاق أرملة، ومؤلفات الأكراد ومنهم (مذكرات جكر خوين).

فإننا نستطيع أن نحدد بعض ملامح العلاقة ما بين المجموعات العرقية في تلك المنطقة ونخص هنا العلاقة ما بين العرب (المحلمية) وما بين المجموعة الكردية بما هو آت:

١ ـ إن هذه العلاقة كانت مرتبطة، بعلاقة الحكومة العثمانية، وبعدها الحكومة التركية مع هاتين المجموعتين، ذلك أن الحكومة العثمانية وبعدها الحكومة التركية اتبعت سياسة (ازدواجية التعامل أو المعاملة) أو ما يسمى بسياسة ازدواجية المعايير في معاملتها مع المجموعات العرقية التي كانت تحكمها، وذلك وفق ما كانت تتطلبه مصلحتها القومية.

فهي كانت تدعم المجموعة الكردية على حساب المجموعات الأخرى، حينما تتطلب مصلحتها دعمهم، ولقد شغل الأكراد دورا كبيرا في الحقب

الأخيرة من الحكم العثماني، حيث ساهموا في الدفاع عن الحكام العثمانيين مقابل الحصول على نفوذ كبير ومكاسب على الأرض لهم.

إلا أنه في المدة التي تلت سقوط السلطة العثمانية، ومع بدايات الحكم التركي، فإن مصلحة الأتراك كانت تتطلب كسب ود العنصر العربي في المنطقة ودعمه على حساب العناصر الأخرى.

ومنذ ذلك الحين كانت السياسة التركية قد انحازت كلياً لكسب المجموعة العربية (المُحلّمية) إلى جانبها، لأن هذه المجموعة لم يكن لها أية مطالب تاريخية ظاهرة في تلك المنطقة، وإن كانت هذه المجموعة تعدّ مناطقها جزء من وطنها العربي الكبير.

ولأن المجموعة الكردية بالذات كان لها مثل هذه المطالب الظاهرة في تلك المناطق وقد تحول الصراع بين المجموعتين الكردية والتركية إلى شكل الصراع القومي بينهما فيما بعد.

كل هذه الظروف والأوضاع السياسية والأمنية المعقدة، كان لها أثرها على العلاقة ما بين المُحلّمية والأكراد.

٢ ـ التمايز الحضاري ما بين المُحلّمية والأكراد: لقد ذكرنا أن (المُحلّمية) هي من عرب بني شيبان البكرية والتي استوطنت مناطقها منذ زمن طويل، وقامت بتعمير تلك المنطقة وانتقلت بذلك من حياة التنقل إلى حياة الاستقرار، حتى إنها قامت بحركة عمرانية واسعة حيث أنشأت مئات القرى والبلدات المُحلّمية الممتدة من أزخ إلى حدود ماردين وكانت أكثر من خمسمئة قرية وبلدة.

وبذلك أصبحت عشيرة مستقرة حضرية، فتخلى أفرادها عن زيهم وعاداتهم البدوية، وتأثروا بالجوار المحيط بهم من أتراك وسريان وغيرهم.

فتراهم يمتازون عن الأكراد بذلك، حيث ظل الأكراد ولزمن غير بعيد مجموعات رعوية غير مستقرة تعتمد على التنقل، والغزو، والكر والفر، في تأمين حياتها.

لذلك فإن هناك تمايزاً حضارياً ظاهراً وواضحاً بين المجموعتين، بالإضافة إلى التمايز القومي والعرقي، فعمق ذلك كله الهوة بينهما وكان من شأنه الحد من إمكانية إقامة أي علاقة اجتماعية أو اقتصادية بينهما فامتاز العنصر المُحلّمي عن الآخر بهويته العربية، ولغته، وتحضره ومدنيته.

وعليه فإننا نستطيع القول بأن التمايز القومي والحضاري بين المُحلّمية والأكراد كان واضحاً في مناطق وجودهم في تركية، وقد ظل هذا التمايز موجوداً وقائماً وانتقل معهم إلى الجزيرة السورية، وما يزال قائماً إلى يومنا هذا.

فالمُحلّميون منذ أن وطئت أقدامهم أرض الجزيرة السورية عُرفوا وما يزالون يُعرفون بأنهم في جهة، والأكراد في جهة أخرى، وأنهم غير الأكراد، كما يعرف الأكراد تماماً أن المُحلّمية ليسوا منهم، بل هم عرب.

إلا أن طبيعة العلاقات الاجتماعية في الجزيرة والقائمة على أساس التعايش والجوار وهي علاقات اجتماعية ريفية زراعية قد خلقت نوعاً من التواصل الاجتماعي بين المجموعتين المُحلّمية والكردية، وخاصة أن المناخ السياسي العام في سوريا ـ والجزيرة منها ـ يختلف تماماً عن ذلك المناخ السائد في تركيا من حيث وجود مشاكل عرقية هناك، بينما يعيش الجميع هنا في ظل دولة عربية تحترم كل الطوائف التي تعيش تحت ظلّها.

فخلاصة القول: إن جذور العلاقة ما بين المُحلّمية والأكراد تقوم على أساس التمايز العرقي والحضاري بين المجموعتين، وما يزال هذا التمايز

موجوداً في منطقة ديار المُحلَمية في تركيا وهنا أيضاً. وتبقى العلاقة ما بين المجموعتين علاقة طيبة، وهي صفة غالبة على علاقة المجموعات فيما بينها في الجزيرة السورية.

ثانياً: علاقة المُحلَمية مع (المجموعة السريانية والماردلية)

إن جذور العلاقة متينة ما بين المُحلَمية العرب والمجموعة الســـريانية والماردلية ولذلك أسبابه التاريخية.

فمن المعروف أن طور عابدين قســـمها المؤرخـــون والســـريان إلـــى منطقتين سكنيتين تبعاً لاسم القوم الذين سكنوا في كل منطقة وهمـــا منطقـــة (بيت مُحلَم) وفيها يسكن المُحلَميّة ومنطقة (بيت ريشا) وهي منطقـــة سكن السريان. وهذا يعني أن ديار المُحلَمية تقع إلى الجهة الجنوبية لطور عابدين والسريان موجودون في الجهة الشمالية وهي مناطق متجاورة جغرافياً ولكل مجموعة منهما قراها ولغتها وعاداتها، فالتمايز بين المجموعتين تمايز لغوي واجتماعي وطائفي.

وإن هذا الجوار قد ساهم في خلق علاقات طيبة ما بين المجموعتيـــن، وخاصة إن كلاهما (حضريتين)، وإذا كانت المجموعة المُحلَمية العربية كما سبق أن ذكرنا قد عزلت نفسها اجتماعياً بسبب عصبيتها القومية الخاصة بها بغية الحفاظ على جذورها وأصولها وصبغتها.

إلا أن هذا التخوف كان تجاه المجموعات العرقية (القومية) فقـــط ولـــم يكن تجاه المجموعات الدينية وخاصة السريانية أو المسيحية، بسبب الفـــارق الديني بينهما.

فالمُحلَمية كانت تحافظ على تمايزها العرقي تجاه المجموعات الكردية والتركية لكنها لم ترَ في (السريان) مجموعة عرقية بل (مجموعة دينية) ومن هنا كان انفتاح المُحلَمية على المجموعة السريانية دون تخوف أو وجل.. ولهذا السبب فإن العنصر المُحلَمي العربي لم يشارك يوماً ما في عمليات التطهير الطائفي التي حدثت في (تركيا) تاريخياً.

ولذلك ترى وجود علاقة جيدة ما بين المُحلَمية والسريان في تلك المنطقة على الرغم من الاختلاف في الدين.

والشيء الذي جعل المُحلَمية يمتنعون عن المشاركة في عمليات التطهير الطائفي تلك فيرجع إلى أن المُحلَمية، وطائفة من النصارى (الأزخية) يرجعون إلى أصول عربية واحدة، وفي هذه الحالة تغلب الانتماء القومي للمُحلَمية على الانتماء الديني عندهم، ولذلك أسبابه التاريخية أيضاً.

لذلك نجد أن بعض القرى المُحلَمية اليوم ما زالت تعيش فيها العديد من العائلات المسيحية (السريانية وغيرها)، حتى إن بعض المدن والبلدات لا يعيش فيها سواهما (كاستل) مثلاً.

ولذات السبب نجد سكان القرى (الأزخية) المجاورة لقرى المُحلَمية كانوا يرون في قرى المُحلَمية وبلداتهم مكاناً آمناً لهم، حماهم من غارات الأتراك والأكراد في ذلك الحين.

ذلك أن المُحلَمية كانت تعد أولئك النصارى هم من بقايا القبائل والعشائر العربية، لذلك كان الانتماء القومي عندهم في هذه الحالة غالب على انتمائهم الديني في العلاقة فيما بينهم وبين السريان، والعكس ليس صحيحاً كما تصور بعض مؤرخي السريان.

وإن هذا الأمر يبدو أكثر وضوحاً اليوم في العلاقة ما بين المُحلّمية والسريان في منطقة الجزيرة، حيث ما تزال هذه العلاقة قوية ومتينة، ليس هناك أي فوارق بين المجموعتين من الناحية الحضارية والاجتماعية، وليس هناك أي مانع سوى الدين، لإقامة علاقات المصاهرة والنسب فيما بينهما.

وبشكل عام فإن العلاقة ما بين المُحلّمية والسريان وغيرهم من المسيحية والماردلية أساسها المحبة والاحترام المتبادل بين المجموعتين والتي لم يذكر التاريخ أي نزاعات أو صراعات فيما بينهم.

ومهما يكن من أمر فإن هذه العلاقة السليمة والجيدة من شأنها أن تدعم أسس الوحدة الاجتماعية، والحضارية، والثقافية في الجزيرة السورية، وتجعلها نموذجاً يُحتذى به للتعايش الأخوي بين المجموعات كلها، في سبيل تحقيق حياة ملؤها السعادة والرفاهية والتقدم لأبناء هذه المحافظة وللوطن.

وهكذا فقد تحدثنا في المحور المتقدم عن أسس وجذور العلاقة ما بين المُحلّمية وغيرها من المجموعات العربية أو غير العربية، وإن هذه العلاقات أولاً وأخيراً هي محكومة بالطابع العام لأسس العلاقات القائمة بين مختلف المجموعات في منطقة الجزيرة، والتي تتصف بكونها جيدة وحسنة، وهي قائمة على التمايز والاحترام، وحسن الجوار، والمعاملة، والأخوة.

ــ سادساً ــ

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري للمُحلّمية

أولاً: الحياة الاجتماعية

يعيش أبناء عشيرة المُحلّمية اليوم في مدن وبلدات المحافظة وخاصة في مدينة القامشلي، حيث يستقر القسم الأكبر من هذه العشيرة، وليس هناك مدينة أو بلدة في المحافظة إلا ويعيش فيها عائلات مُحلّمية أو أفراد، كما إن هناك نسبة جيدة من أبناء المُحلّمية تعيش في القرى المنتشرة في مناطق القامشلي والحسكة والمالكية وغيرها.

ولا يستقر المُحلّميون في حي أو قسم معين من المدينة، بل هم يتوزعون في مختلف أحياء المدينة مثلهم مثل غيرهم من السكان، وإن كانت بداية سكناهم في المدينة كانت في بعض الأحياء (الحارات) ومنها (قدور بك).

وإن هناك صفات موروثة للمُحلّمية قد حافظوا عليها وتوارثوها من جذورهم وأصولهم العربية ومن هذه الصفات:

١ ــ الشجاعة: فالفرد المُحلّمي يتّسم بالشجاعة والجرأة، وتراه لا يخاف في الأوقات التي تتطلب شيئاً من العزم والقوة والجرأة، وهو شديد طيب القلب متواضع في الوقت نفسه.

٢ ــ الوفاء: إن الفرد المُحلَمي حريص على أداء ما عليه من واجبات تجاه نفسه والآخرين، وهو وفيٌّ لجيرانه، وليس الغدر من شيمه، ولا يمكن له أن يخون صديقه أو حتى عدواً له، كما إنه حريص على كسب محبة الناس والآخرين.

٣ ــ الكرم: المُحلَميّ عربي أولاً وأخيراً، وهذه الصفة هي من صفات العرب ومن شيمهم وأخلاقهم، والمُحلَمي لا يبخل بأي شيء عنده، وهو دائماً حريص على مساعدة الآخرين وضيافة الغريب أو القريب، كما إنه على الرغم من ظروفه الاقتصادية تراه محباً للضيف مبادراً إلى مساعدة الآخرين والأهل والجيران والأقرباء وغيرهم.

٤ ــ حماية الجار: لا يوجد فرد مثل الفرد المُحلَمي يحرص كحرصه على جيرانه، حيث تراه دائماً محباً لهم ومساعداً، ويحترمهم ويصون حقوقهم، ويقدّر تماماً حق الجار عليه، فهو يزوره إذا مرض ويقوم بمساعدته وإعانته إذا احتاج الأمر، ويعرض على جاره المساعدة والخدمات، ويبتعد دائماً عما يثير غضب جاره أو مضايقته بأي شكل من الأشكال، ولقد عُرف المُحلَميةُ بذلك، وإن الجميع يحبذون جيرة المُحلَمي وصداقته.

٥ ــ العفة: فالمُحلَمي شهم، نبيل، غيور، يحافظ على خلقه وأخلاقه ويرى أن الشرف عنده شيء مقدس، كما إنه حريص على شرف الآخرين وسمعتهم، ذو غيرة وأنفة، لا يحب الغرور بل تراه طيب القلب واللسان.

وهذه الصفات يعرفها أكثر الذين يخالطون المُحلَمية أو يجاورونهم في السكن أو العمل أو غير ذلك.

كما إن العلاقات الأسروية الاجتماعية وطيدة بين أفراد المُحلَمية، فهم يجتمعون في الأفراح والأحزان والمناسبات الأخرى، وهم يشاركون الغير

أفراحهم وأحزانهم، ويقومون بتأدية واجباتهم الاجتماعية تجاه أنفسهم وتجاه غيرهم على أكمل وجه.

وإن أفراح المُحلّمية وأعراسهم ما زالت فيها بعض العادات والتقاليد الموروثة، على الرغم من عمليات التأثر والتأثير الاجتماعية المتبادلة، والعرس المُحلّمي يسمى (دَعوة) أو (دعوي)، وهي كلمة مأخوذة من فعل (دعا)، سمي بذلك لأنهم يدعون الناس لمشاركتهم في أفراحهم.

كما إن لهم دبكة خاصة بهم، كما إن أغانيهم ممتعة، وكلماتها مطبوعة بالطابع العاطفي الرقيق، وتكثر فيها الشكوى من هجر الحبيب وقسوته، وتظهر فيها أيضاً لوعة المحب وحرقته، ولقد امتزجت الأغنية المُحلّمية بالأغنية الماردلية وأخذت الطابع نفسه تقريباً.

كما إن الزي النسائي المُحلّمي ما يزال زياً محافظاً، والمرأة المُحلّمية نالت نوعاً ما حظها من التعليم والعلم، وهي تشارك زوجها وأسرتها في أكثر مجالات الحياة، فهي تساعد الأسرة وتعينها في الأرض وفي المنزل، كما إنها عاملة وموظفة وتمتهن الحرف النسائية (كالنسيج، والخياطة، والتمريض، والحلاقة النسائية) وغير ذلك.

والمُحلّميون منفتحون على الناس بشكل كبير، حيث تراهم يندفعون نحو الآخرين بكل جوارحهم وبصدق وإخلاص، فهم يحبون الناس بسرعة ولا مجال عندهم للغدر بالصديق أو النميمة أو غير ذلك.. لذلك عُرفوا وامتازوا بهذه الميزات وكانوا مثار إعجاب غيرهم من السكان الذين تسابقوا لإقامة علاقات عمل وتجارة وزراعة ومصاهرة وزواج معهم.

كما إنه ما يزال يظهر فيهم (الطابع البدوي) أحياناً، فنرى فيهم الأنفة، وعزة النفس، وعدم قبول الضيم، والكرامة والإباء، وهذه الصفات عندهم من أساسيات الحياة كالطعام والشراب والهواء.

وبشكل عام فالمجتمع الأسري المُحلّمي مجتمع عربي محافظ، قوامه عادات وتقاليد أصيلة، وإن صفات المُحلّمي تتلخص في كونه: كريماً، أميناً، ذا أنفة وإباء، شجاعاً، بسيطاً، لا يعرف البغضاء والخديعة والمكر.

ثانياً: الحياة الاقتصادية

إن أبناء المُحلّمية ــ مثلهم مثل غيرهم من سكان الجزيرة السورية ــ يحكمهم نمط العمل الزراعي، لذلك فإن الأغلبية من أبناء هذه العشيرة يعيشون على الزراعة، سواء كان بشكل مباشر من خلال عملهم في أرضهم الزراعية ــ ملكاً كانت أم انتفاعاً ــ أو بشكل غير مباشر في المجالات التي يتطلبها العمل الزراعي وتوابعه.

كما إن هناك أغلبية جيدة منهم ــ وخاصة سكان المدن ــ يعملون في مجالات التجارة والصناعة والمهن اليدوية الحرة، ومجالات البناء والأعمال والبيع والشراء، وغير ذلك من الأعمال، وهناك من اتخذ من العمل لدى الدولة ومؤسساتها وشركاتها مصدراً لرزقه ومعيشته، فترى من أبناء المُحلّمية الموظف والعامل والإداري، وغير ذلك، وهناك من تسنى له الحصول على الشهادة العلمية، فعمل في مجالات التعليم، والمهن الحرة الأخرى، فمنهم الطبيب، والمهندس، والمحامي، والمعلم، وأصحاب المحلات التجارية، وبالمقابل فإننا نجد الكثيرين منهم عاطلين عن العمل، مثلهم مثل

غيرهم من أبناء المحافظة، لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل تراهم قد سافروا إلى خارج القطر سواء إلى الأقطار الأوروبية أو العربية، وخاصة لبنان والسعودية والخليج، حيث يعمل هناك عددٌ لا بأس به من أبناء المُحلّمية، وخاصة في بيروت، حيث تقيم جماعات كبيرة من المُحلّمية هناك. وإننا سنفرد فصلاً خاصاً نتحدث فيه عن أوضاع المُحلّمية في لبنان.

والملاحظ ـ وبشكل عام ـ أن المُحلّميين قادرون على تأمين دخلهم المعاشي، كما إن مستواهم الاقتصادي مقبول، وإن بعضاً منهم حالته المادية جيدة، والبعض الآخر فقير.

وكما سلف وذكرنا، فإن المرأة المُحلّمية دخلت مجالات العمل جنباً إلى جنب مع الرجل، تساند وتساعد أسرتها في أمورهم المعيشية، وبشكل عام فإن المُحلّمية في الجزيرة السورية مثلهم مثل غيرهم من أبناء هذه المحافظة، يعيشون حياة اقتصادية واحدة. أساسها العمل الزراعي وما يتفرع عنه من أعمال وغير ذلك.

ثالثاً: الحياة السياسية

لقد سلف وذكرنا أن (عشيرة المُحلّمية) عرفت سياسياً أيام الوحدة السورية ـ المصرية، وخاصة بعد قدوم الرئيس الراحل عبد الناصر إلى مدينة القامشلي والتقائه يومئذ بوفد من العشائر والمجموعات العرقية في المنطقة.. ولقد برز المُحلّميون وقتئذٍ (كعرب قوميين) أكثر من بروزهم كتنظيم سياسي يقف مع عبد الناصر، حيث لم تكن التنظيمات الناصرية بعد قد ظهرت في تلك الآونة.

وللحقيقة والواقع نقول: إن حب المُحلّمية لعبد الناصر لم يكن أساسه (سياسي)، بل كان حباً عربياً قومياً (شعبياً)، ذلك لأنهم أرادوا أن يعبروا عن حبهم لعروبتهم وقوميتهم وانتمائهم العربي، فوجدوا أن الفرصة التاريخية لهم كانت أيام مجيء عبد الناصر إلى منطقة الجزيرة.

ومنذ تلك اللحظة تبلور عندهم (حبهم للقومية)، والذي تحول فيما بعد إلى شكل من أشكال النضال السياسي، فانخرطوا في الأحزاب القومية، وخاصة الأحزاب الناصرية، و من ثم حزب البعث العربي الاشتراكي، وكانت الأغلبية الساحقة منهم (ناصريين) دون ممارسة حزبية، أي أنهم غير منظمين سياسياً، فالناصرية بالنسبة لهم هي توأم القومية والعروبة.

ومن هنا شاركوا أمتهم العربية أفراحها وأحزانها واحتفالاتها بأيام العرب المجيدة، وهم في كل مناسبة قومية أو وطنية يقيمون المراكز الاحتفالية الخاصة بهم، والمنتشرة في عدة أماكن في المدينة أو الريف وعدد من المدن والبلدات الجزيرية الأخرى.

كما إن ذلك قد دفعهم للمشاركة في الانتخابات التشريعية والمحلية والبلدية، والتي كانت تجري على مستوى القطر أو المحافظة، ولقد تمثلوا المناصب في هذه المجالس سواء في مجلس الشعب أو في المجالس المحلية.

وفي الوقت نفسه نجد أن هناك عدداً قد لا يتجاوز أصابع اليد ممّنْ تنظّم في أحزاب أخرى كالشيوعية أو غيرها، بينما لا نجد منهم من انتسب إلى الأحزاب الكردية، أو أي تجمعات غير عربية.

فالمُحلّمي: وطني قومي بطبعه، يحب وطنه وقوميته، وتراه منفعلاً مع الأحداث التي تحيط بهذه الأمة من مآسي ونكبات وغير ذلك.

وإن الحس القومي العربي عنده يبلغ أعلى درجاته، ولذلك سببه، وهـو أن هؤلاء المُحلّمية، قد حرموا من التعبير عَن قوميتهم وانتمائهم العربي عدة قرون، بسبب القهر والاستبداد السلطوي من الحكم العثماني، ومن ثم الحكـم التركي من بعده، والذي حرمهم من التعبير عن عروبتهم وقوميتهم، وخاصة لمّا وجدوا أنفسهم يعيشون فوق أرض عربية، ولامانع يمنعهم أبداً من التعبير عن حبهم بأي شكل يريدوه.

كما إنهم غيارى، حريصون على وطنهم وقوميتهم، لذلك لم يقفوا يومـاً ما مع أي حزب أو جماعة أو مجموعة تريد النيل من هـذا الوطـن وهـذه العروبة خلال عقود طويلة إلى يومنا هذا.. وإن دلّ هذا الأمر على شـيء، فإنه يدل ــ وبشكل قاطع ــ على مدى محبة المُحلّمي لوطنه وقوميته.

وإن ما ذكرناه عن تعلق المُحلّمية بقوميتهم ووطنـهم لا يعنـي البتـة، التقليل من محبة أبناء العشائر العربية الأخرى لقوميتهم ووطنهم، كذلك محبة بقية المجموعات الأخرى لهذا الوطن الذي ولدوا وترعرعوا فيه.

رابعاً: الحياة الفكرية

لقد دفع الآباء المُحلّميون أبناءهم إلى مجالات العمل والتعليـم، ومنـذ نشوء المدارس والمعارف الحكومية، ولقد حرص هؤلاء الآباء علـى ذلـك على الرغم من أن ظروفهم الاقتصادية الصعبة قد تتطلب أن يعمل هـؤلاء الأبناء لمساعدة أهلهم في الحصول على لقمة العيش.

ولقد نتج عن ذلك وجود نسبة كبيرة من أبناء المُحلّمية ممـن حصلـوا على شهادة علمية في مختلف الفروع والاختصاصات ومنها شهادات عليـا

(طب، هندسة، حقوق، صحافة، آداب، تاريخ) وغير ذلك من الشهادات العليا في الفروع العلمية و الأدبية.

ولقد اتّسم أبناء هذه العشيرة أنهم (متعلمون، مثقفون)، وخاصة أبناء الجيل الجديد، كما إن هناك طبقة واعية مثقفة بدأت تظهر منذ عقدين من الزمن، وأصبحت مجموعة فاعلة في هذه العشيرة تتدارس أمورها وهمومها وأوضاعها وتقترح الكثير من الحلول، وتنتقد السلبيات وتحاول دائماً دفع عجلة هذه العشيرة نحو الأمام.

وكذلك فقد كان لهذه الطبقة الواعية والمثقفة دورٌ فكريٌ وثقافي من خلال مشاركتها في الندوات الثقافية واللقاءات الاجتماعية وغير ذلك من النشاطات الفكرية والثقافية في المحافظة.

ولقد تبوأ عدد من أبناء هذه العشيرة مراكز حزبية واجتماعية و إعلامية جيدة سواء كان ذلك على مستوى المحافظة أو القطر، ولا مجال هنا لذكر الأسماء، لأننا قلنا مراراً وتكراراً بأن الهدف من هذا الكتاب هو تسليط الضوء على أوضاع هذه العشيرة بشكل عام.

كما إن المُحلّميين عرفوا بمواقفهم الفكرية القائمة على (الشفافية) والوضوح، وعدم الانغلاق أو التعصب الفكري تجاه ما يطرح من أمور ومناقشات، كما إنهم حريصون على محاورة جميع أصحاب الاتجاهات الفكرية والسياسية والثقافية حواراً مفتوحاً، دون التعصب لرأي أو مذهب أو فكرة أو عقيدة.

وخلاصة القول: إن الحياة العامة لعشيرة المُحلّمية في الجزيرة السورية هي جزءٌ من الحياة العامة الجزيرية، وإن كان هناك أحياناً طابع مميز، خاصٌ بحياتها، لكنه يندرج ضمن إطار الوضع العام، مثلها مثل أي عشيرة لها طابعها المميز وتمايزها الغالب عليها.

الفصل العاشر

الوضع التنظيمي لعشيرة المُحلَمية

ـ أولاً ـ

تعريف.. ونبذة تاريخية

إن المقصود بالوضع التنظيمي لعشيرة المُحلّمية هو (الهيكلية العشائرية)، أي شيخ العشيرة ورؤساء الأفخاذ ووجهاؤها وغيرهم، وحتـــى نسـتطيع أن نتحدث عن هذه المسألة بدقة وموضوعية فلابد لنا أن نعطي لمحة تاريخيـــة عن هذه الهيلكية العشائرية.

(نبذة تاريخية)

لقد تحدثنا في فصول سالفة ان المُحلّمية عشيرة عربية تنتمي إلى (بني شيبان)، وأن ديارهم الأساسية هي المنطقة العربية في تركيا حالياً، وتحدثنـــا أيضاً عن أسباب تقلص الوجود العربي القبلي والعشائري في تلك المنـــاطق، والتي كانت تعرف بديار بكر وربيعة ومضر، والتي شكلت منطقـــة واحـدة عُرفت باسم الجزيرة الفراتية.

ولقد (انتهت الهيكلية العشائرية) للقبائل والعشائر العربية ومنها المُحلّمية لعدة أسباب منها:

١ــ ضعف الوجود العربي في المنطقة.

٢_ الانتقال من حياة البداوة والتنقل إلى حياة الحضر.

٣ــ استقرار ما تبقى من تلك القبائل والعشائر في المـــدن و البلـدات والقرى التي أقاموها وشيدوها.

٤ـ الحكم البيكوي الذي حكم المنطقة وعشائرها خلال قرون طويلة، ومازال لهؤلاء الحكام صفة اسمية باسم (الأمراء) أو (بيت الأمير)، على الرغم من أن هؤلاء الأمراء الحكام هم من بقايا (البكوات) أصولهم تركمانية.

وهنا يجب أن نقف قليلاً عند تعبير (الأمير) والذي نراه أحياناً مرادفاً لكلمة (بيك) عند الأتراك أو التركمان، وإن لقب الأمير هو لقب أطلقه الأتراك حديثاً بدلاً من (البيك)، على اعتبار أن المُحلّمية هم (عرب)، والعرب يطلقون عادةً على حكّامهم لقب (الأمير) لذلك نجد أن كثيراً من الكتب السريانية والكردية تذكر عبارة (أمير المُحلّمية) بينما تطلق على نظيره الكردي (آغا) فيقولون (آغوات الأكراد).

ومهما يكن من أمر فإن نظام (الإمارة) أو (البكية) هذا ليس من جوهر النظام العشائري الذي يقوم على هيكلية عشائرية معينة، هي شيخ العشيرة ورئيسها ومن ثم رؤساء الأفخاذ والوجهاء وغيرهم.

ونستطيع القول مؤكدين أن (المُحلّمية) قد فقدت طابعها العشائري وهيكليتها العشائرية في تلك المنطقة، وأصبحت تبعيتها (للبيك أولاً) ثم (للأمير لاحقاً)، وإن كلا الحاكمين لم يكونا يمثلان (النظام العشائري)، بدليل أن عشائر المُحلّمية في حقبة من الحقب قد حُكموا من قبل (بكوين) اثنين، فقسم منهم قد وقع تحت نفوذ (عيسى بيك) والقسم الآخر تحت نفوذ (خليل بيك)، لذلك فإن عشائر المُحلّمية كانت منقسمة تنظيمياً وتبعياً، وبالتالي فإن هذا الانقسام ليس انقساماً عشائرياً.

بالإضافة إلى ذلك فإن (النظام البيكي) كان نظاماً سلطوياً قمعياً إدارياً سياسياً بالدرجة الأولى، ولم يكن أساسه قائماً على لَمّ شمل العشيرة، والدفاع عنها ومؤازرتها، أو غير ذلك من مهام زعيم العشيرة وشيخها.

وترك هذا الأمر آثاره السلبية على العشيرة ككل، وقد تحدثنا مطولاً عن هذه الآثار والتي كلفت العشيرة ثمناً باهظاً:

ـ ثانياً ـ

تكوّن عشائري جديد

للأسباب التي ذكرناها قبل قليل فإن (المُحلَمية) في مناطق وجودهم في المنطقة العربية في تركيا، مايزالون لا يعرفون نظام (المشيخة العربي) أو قل: فقدوه، ولقد انتهى أيضاً (الحكم البكوي) أو (حكم الأمير) ولم يبقَ إلا اسمياً لاقيمة تذكر له.

وحينما بدأ (المُحلَمية) يفدون إلى أرض الجزيرة السورية، ويستقرون فيها شيئاً فشيئاً وأصبحوا فيما بعد يشكلون أعداداً كبيرة منتشرة في أماكن عدّة من المحافظة بدأ (التكوّن العشائري) يتشكل عندهم من جديد إذ انهم لم يعرفوا هذا الشكل من قبل، وإن هذا التكون العشائري بدأ يظهر بصورة عفوية أو قل بصورة طبيعية ليواكب النظام العشائري الذي مايزال موجوداً في هذه المنطقة، وبدأت المُحلَمية تتشكل وتتبلور كعشيرة شيئاً فشيئاً حتى اصبحت كذلك.

ولعوامل عدة لا يجدر بنا ذكرها هنا تشكلت نواة الهيكلية العشائرية أو المشيخة في الريف، واستأثر بها أبناؤهم المقيمون هناك دون سواهم من أبناء المُحلَمية، وخاصة المقيمين منهم في المدينة، وذلك لكون أبناء المدينة (حضر) بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وأنهم يعشيون في مجتمع مدني، ومع مرور الزمن استطاعت (الهيكلية العشائرية) المتشكلة في الريف أن تحصل على اعتراف الهيكليات القبلية والعشائرية العربية في المنطقة،

والتعامل معها على أساس أنها تمثل مشيخة العشيرة، وأصبحوا فيمـــا بعـد يعرفون باسم (شيوخ العشيرة)، وإن هذا (الانتقال الدراماتيكي للمشيخة) كان له أسبابه ولم ينشأ أو يخلق في يوم وليله، ومن أهم هذه الأسباب:

آـ عدم وجود مرجعية عشائرية تاريخية أصلية وشرعية في منـــاطق وجود المُحلّمية في ديارهم في تركيا، لتنتقل معهم إلـــى منــاطق وجودهــم الجديدة في الجزيرة السورية.

لذلك فإن منصب (المشيخة أو رئيس العشيرة) كان فارغاً هناك، بل لا وجود له مطلقاً وخاصة بعد انهيار (النظام البكوي والأميري).

ب ـ إن أبناء المُحلّمية الذين سكنوا المـــدن وكـــانوا، هـــم الأغلبيـــة، انخرطوا. في حياتهم المدنية ولم يكونوا يهتمون بأي مرجعية عشائرية قيادية لهم، وكان يمثلهم بعض الوجهاء وكبار السن منهم.

ج ـ إن هذه الأمور كلها جعلت (مشيخة المُحلّمية) في هذه المنطقـــة لا تستند إلى (شرعية شعبية عشائرية)، كما إنها أصلاً لا تستند إلى (شرعيـــة تاريخية).

ـ ثالثاً ـ

إعادة ترتيب (الهيكلية العشائرية)

لقد كان النهج الذي سرنا عليه منذ البداية في هذا المؤلَف.. هو النهج الموضوعي، والذي كانت الغاية منه تحليل الإشكالات المتعلقة بعشيرة المُحلّمية سواء أكانت هذه الاشكالات متعلقة بالانتماء، أو الرد على ادعاءات مجموعات الجذب، أو غير ذلك من أمور.

لأن هدفنا الأول والأخير هو إعادة الاعتبار والثقة بالنفس لأبناء المُحلّمية، وخاصة الكتلة الكبيرة منهم والتي كانت تدفع دائماً ثمن هذه الشكوك.

لذلك رأينا أن من بين هذه الإشكالات (إشكال المشيخة)، فكان ولابد من تحليل هذا الإشكال وتسليط الضوء عليه وتفنيده، كل ذلك من أجل وضع حلول له.

وعليه فإنه يجب على أبناء المُحلّمية أن يفكروا بهذه العشيرة، وخاصة بعد أن حُلّت كل الإشكالات المتعلقة بها، وظهر شكلها العربي الأصيل وانتماؤها القبلي مدعماً بالإثبات، وعلى ضوء هذه النتائج، فلا بد إذن من التفكير في إعادة بناء هيكليتها العشائرية من جديد على ضوء المعطيات الجديدة، ويجب على القائمين على أمر هذه العشيرة ووجهائها ومثقفيها وأبنائها، التفكير والعمل بأمانة تاريخية على إعادة بلورة (هيكلية عشائرية) للعشيرة على أسس جديدة من المشروعية، بعيداً عن كل المصالح الخاصة

والغايات الشخصية والتصرفات الفردية غير المسؤولة، فالأمر هنا لا يتعلق بمسألة فردية أو دعاية انتخابية أو منصب يدرّ (ذهباً وفضة)، وإنما يتعلـــق بمجموعة كبيرة جداً من الناس وبحياتهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم، لذلـــك فإن العامل الأول الذي يحقق المصداقية والأمانة في العمل هو نبذ المـــاضي وترك كل مساوئه وعدم البحث في ثناياه وخفاياه. والعامل الثاني هو التفكير بمنطق ونزاهة وصدق وأمانة، ومراجعة الحقبة الماضيـــة بدقـــة وصـــواب وموضوعية، هذان العاملان إذا وُجدا، ووجدت معهما الإرادة والنية الصافية لإعادة ترتيب (البيت المُحلّمي) وبنائه من جديد، وبما يحقق المنفعة العامـــة لأبناء هذه العشيرة، وإبرازها كوجه عربي أصيل، وتفعيل دورها العشائري بين المجموعة العربية، في سبيل وضعها في مكانها الذي تستحقه كعشـــيرة عربية لها تاريخ عريق ومشرف، يؤهلها لتأخذ دوراً مناسباً في بناء الوطـــن والإنسان أولاً وأخيراً.

الفصل الحادي عشر

المطلوب من المُحلّمية في الحاضر

ترتيب البيت المُحلّمي

لقد تحدثنا في فصل متقدم عن ضرورة إعادة النظر في (ترتيب البيت المُحلّمي) وخاصة بعد ظهور المستجدات الجديدة، والتي أبرزنا من خلالها وبشكل واضح الانتماء العربي والقبلي لهذه العشيرة.

لأن ذلك من شأنه أن يساعد في إيجاد دور ما لأبناء هذه العشيرة على مسرح الحياة العامة في الجزيرة السورية، وإن كلمة (دور) لا تعني بالضرورة (دوراً سياسياً) بل (دوراً اجتماعياً وثقافياً) يساهم في تشكيل الهوية الثقافية والحضارية في هذه المنطقة.

وليس بالضرورة أن تستقر آراء أبناء المُحلّمية على اعتماد (الهيكلية العشائرية التقليدية) بذاتها، وإنما البحث عن (هيكلية ما)، قد تكون (هيكلية إدارية) على شكل (جمعية ثقافية اجتماعية) وخاصة أن أغلبية أبناء العشيرة يعيشون في المدن وهي تفضل مثل هذه (الهيكلية الإدارية)، وإن هذا النمط من الهيكليات الإدارية نراه واضحاً عند بعض المجموعات التي لا تظهر في المنطقة (بشكل عشائري) بل بشكل (ثقافي واجتماعي) وحبذا لو يفكر أبناء هذه العشيرة (بترك الهيكلية العشائرية) والبحث عن نمط حديث يستطيع أن يثبت وجوده الفاعل في تكوين العشيرة على (أسس ثقافية واجتماعية) تأخذ صفة الشخصية الاعتبارية (كجمعية ثقافية واجتماعية وإنسانية) وغير ذلك، حيث يمكن لها أن تقدم فوائد جمة تعود للعشيرة ولأفرادها ومن هذه الفوائد:

١ـ تشكيل مرجعية إدارية تحدد مسؤولياتها وواجباتها تجاه الأشخاص المنتمين لها، وهذه المرجعية تأخذ طابع (الجمعية) يُنتخب أعضاؤها انتخاباً، حيث يمثل الأعضاء فيها أفخاذ العشيرة وتجمعاتها السكانية في المدينة والريف.

٢ـ تستطيع هذه (الجمعية) أن تقوم بأعمال كثيرة غير (تمثيل العشيرة) ومن هذه الأعمال إقامة الجمعيات السكنية أو النوادي الثقافية والاجتماعية، وإقامة صناديق المعونة والمساعدة الاجتماعية وغير ذلك من الأعمال المفيدة لهذه العشيرة.

٣ـ بلورة الوجه العربي لهذه العشيرة ومشاركتها في بناء الحياة الاجتماعية والثقافية. والاقتصادية على أكمل وجه، وذلك من خلال النوادي الثقافية والاجتماعية التي ستقوم بإنشائها.

وفي الحقيقة إن إيجاد مثل هذه (المرجعية الإدارية) للعشيرة من شأنه أن يساعد على إعطاء دفع جديد لغيرها من العشائر العربية لتعمل على تطوير هيكليتها العشائرية، وخاصة أننا في وقت له معطياته وأدواته وآلياته الخاصة به.

وإن هذا الأمر من شأنه أن يعطي دوراً جديداً للقبيلة والعشيرة في المنطقة، وأن يحقق الفائدة لأبنائها، وأن يُحرك العمل الجماعي والثقافي عند الأفراد، وأن يعطي للعشيرة وظائف أخرى اجتماعية وثقافية وعلمية وغير ذلك.

وبذلك نكون قد أنهينا هذا الفصل المتعلق بالهيكلية العشائرية، وربما يكون هذا الفصل بالذات ـ لما قدم من اقتراحات ـ بحاجة إلى قراءة متأنية

ثانية وثالثة، وبشكل موضوعي وعقلاني حتى نطلق الأحكام بترو وبعقلانية، وليس بعفوية ومزاجية، وعلينا أن نأخذ بعين التقدير دائماً وأبداً، أن كل دعوة إصلاحية جديدة لابد أن تلاقي صعوبات عدة حتى يُستطاع فهمها وفهم مقاصدها ومدلولاتها وأهدافها.

ومهما يكن من أمر فإن الغاية من وراء ذلك هو ضرورة إعادة التفكير في كل ما يدور في فلكنا وبين ظهرانينا من هيكليات عشائرية لم تعد تلائم بأي شكل من الأشكال عصرنا الحالي، ومهما كنا مغالين وعنيدين في تقبل هذه الحقيقة فإن هذا الأمر محكوم بنظرية التطور والرقي.

وإن المقصود من إعادة التفكير في (الهيكلية العشائرية) هو إعادة تنظيم القبيلة أو العشيرة على أسس جديدة، وليس إلغاء دور القبيلة أو العشيرة بل تفعيل هذا الدور ليكون أكثر تأثيراً وحيوية من دوره الحالي.

وإن مراجعة بسيطة أولية لطرق وأساليب تفكيرنا ومقارنتها، بواقعنا المعاصر، تجعلنا نفهم لماذا نصرّ دائماً على إعادة التفكير في كل ما تركه الماضي في عقولنا، وإن طريقتنا في التفكير نفسها هي من مخلفات هذا الماضي.

الفصل الثاني عشر

عشائر المُحلَّمية خارج الجزيرة السورية

عشائر المُحلّمية خارج الجزيرة السورية

ويتضمن:

أولاً: عشيرة المُحلّمية في حلب

ثانياً: عشيرة المُحلّمية في لبنان

ثالثاً: عشيرة المُحلّمية في العراق

ــ أولاً ــ

المُحلَمية في حلب

هناك أعداد كبيرة من المُحلَمية يقيمون في مدينة حلب، وهؤلاء استقروا في هذه المدينة وهم قد وفدوا إليها منذ زمن طويل، منذ بدء هجـــرة أبنـــاء العشيرة من ديارهم في تركية، وذلك مع بدايات القرن العشرين الميــــلادي، وقسم من هؤلاء وفد إلى حلب من الجزيرة السورية مباشرة، وهم يقيمــــون الآن في أحياء متعددة من المدينة، ويقيون علاقات طيبة مع بعضهم البعض، كما إنهم على صلة بأبناء عشيرتهم في الجزيرة السورية ومع أبناء العشـــيرة في موطنهم الأصلي في تركية.

ويُعرف المُحلَمية في مدينة حلب باسم (الماردلية) وهذا طبعاً خطـــأ، إذ إن هناك التباساً بينهم و بين الكثير من أبناء ماردين الذين سكنوا حلب أيضاً، وهؤلاء وفدوا من الجزيرة أو من ماردين مباشرة إلى حلب، وغالبيتهم مـــن بقايا العشائر العربية في منطقة ماردين.

وسبب هذا الخلط مابين (الماردلية) و (المُحلَمية) في حلب هو اللهجـــة الماردلية القريبة من اللهجة المُحلَمية أو اللهجة الجزراوية كما سبق وتحدثنا عن ذلك.

والمُحلَمية هنا يعرفون بتمايزهم عن الماردلية، إلا أن التسمية الغالبيـــة عليهم جميعاً هي أنهم (ماردليون) أو (ماردلية) على الرغم مـــن الاختـــلاف بينهما.

ولقد حافظ المُحلّمية في حلب على لهجتهم (المحكية) بالرغم من إقامتهم الطويلة في حلب، حتى إن أولادهم الذين ولدوا في حلب وترعرعوا فيـــها، يتقنون اللهجة الحلبية، مع ذلك أنهم مايزالون يتحدثون بلهجتهم المُحلّمية في بيوتهم وبين أسرهم وعائلاتهم.

ويؤلف (المُحلّميون) مع (الماردليون) هناك مزيجاً عربياً مشتركاً، كمـا إنهم يشكلون مجموعة اجتماعية (عشائريـــة) كبـيرة لـــها مكانتـــها بيـن المجموعات الأخرى.

ويتركّز سكن المُحلّمية في عدة أحياء من مدينة حلب، منها أحياء قديمة من المدينة مثل (أقيول)، و (الرمضانية)، و (الشميصاتيـــة)، و(الجديـدة) و (ميسلون)، وبعضهم يقيم في أحياء جديدة (كالحميديـــة)، و (الجابريـــة)، و (بستان الباشا)، و (الشيخ مقصود)، و (الأشرفية)، وغيرها من أحياء المدينة.

ولقد حافظ المُحلّمية على وحدتـــهم الاجتماعيـــة وعاداتـــهم وتقـــاليدهم الخاصة بهم، وهم لم يمتزجوا بالمجتمع الحلبي.

ويعمل المُحلّمية هناك في كافة الأعمال وفي مختلف مجـــالات العمـــل الاقتصادي، ولقد اتجه الآباء المُحلّميون إلى تعليم أبناءهم، فتخرج قسم جيـــد من أبناء المُحلّمية من الجامعات والمعاهد، وأصبح كثـيرون منـــهم أطبـــاء ومهندسين ومحامين، ومعلمين و غير ذلك.

وفي الحقيقة إنه ليس هناك إحصاء نستطيع أن نعمده ولو بشكل تقريبي أو تقديري لتحديد أعداد المُحلّمية في مدينة حلب، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن المُحلّمية موجودون بكثرة في هذه المدينة منذ أوائل القرن العشرين.

كما إنه لا مجال لذكر أسماء العائلات والشخصيات المُحلّمية المعروفة في حلب كل ذلك للسبب الذي ذكرناه في غير مكان من هذا الكتاب.

والجدير بالذكر هنا أن المُحلّمية وبشكل عام في مدينة حلب لم يعانوا من أي مشكلة تتعلق بأنتمائهم العربي، كما أنهم لم يتعرضوا لأي محاولة كان من شأنها إلصاق نسبهم وانتمائهم بأي مجموعة أخرى.

وهنا يعرف المُحلّميون بأنهم عرب ومن العشائر العربية المقيمة في تركيا والجزيرة السورية.

ـ ثانياً ـ

المُحلَمية في لبنان

إن تاريخ الوجود المُحلّمي في لبنان هو نفسه تاريخ وجوهم في الجزيرة السورية، وحلب، وذلك أن هجرة المُحلّمية من موطنها الأصلي في تركية قد اتخذت عدة محاور، الأول باتجاه الجزيرة السورية، والثاني باتجاه حلب، والثالث باتجاه لبنان، والرابع باتجاه العراق.

وهناك أعداد كبيرة من المُحلّمية تعيش اليوم في لبنان، وخاصة في مدينة بيروت وطرابلس، وإن أبناء هذه العشيرة مايزالون محافظين على لهجتهم المُحلّمية وعاداتهم وتقاليدهم، وإنهم لم ينصهروا تماماً في المجتمع اللبناني، فما تزال لهم صبغتهم المُحلّمية ومايزالون يتحدثون فيما بينهم وبين أسرهم باللهجة المُحلّمية المميزة.

وهم يشكلون مجموعة عربية كبيرة مع غيرهم من أبناء العشائر العربية الأخرى التي هاجرت مثلهم من تركية إلى لبنان، ومن هذه العشائر الراشدية، والمخاشنية والماردلية وغيرهم.

وخاصة أن هذه العشائر تشترك في صفات عديدة، كاللهجة والعادات والتقاليد، وعلى الرغم من هذا التمايز لهذه المجموعة العربية (المُحلّمية، الماردلية ــ الراشدية) فإنها تعاني من مشكلة كبيرة تتعلق (بانتمائها القومي) حيث إن الجهات الرسمية والشعبية هناك في لبنان تصنفهم خطأ مع

المجموعة الكردية، ذلك أنهم يطلقون على أبناء هـــذه المجموعـــة العربيـــة (لأكراد).

ولابد أن نلقي الضوء على هذا الإشكال لكونه مستمر منـــــذ عشـــرات السنين، وقد ترك آثاراً كبيرة على الوضع العام لأبناء هـــذه (المجموعـــة)، وعلينا فإننا سنبحث على الترتيب لأسباب هذه المشكلة أولاً، ثم نبحـــث فـــي المساوئ التي نجمت عنها، ونحاول أخيراً البحث عن الحلول الواجبة لحلـــها وذلك ضمن محاور ثلاث.

المحور الأول

(أسباب المشكلة)

من المعلوم أن المجتمع اللبناني هو مجتمع حضري (مدنـــي) حيـث لا تظهر فيه القبلية والعشائرية بأي شكل من أشكالها، وإن كان هذا الأمــر لا ينطبق على كل لبنان حيث يوجد هذا الشكل العشائري في الجنوب والبقـاع، وهي مناطق ريفية وقريبة من الحدود السورية، حيث يكون هنـاك امتـداداً سكانياً لبعض العشائر السورية داخل الحدود اللبنانية أو بالعكس.

وإننا قد ذكرنا أن النسبة الكبيرة من أبناء المجموعة العربية في لبنـان يعيشون في مدينة بيروت وطرابلس، وهناك بالذات لا وجود لأي شكل مـن أشكال القبلية والعشائرية.

ولأن أبناء المُحلّمية وبقية المجموعة العربية هناك ما تزال تحافظ، على لهجتها وعاداتها وتقاليدها، والتي هي أقرب إلى عادات وتقاليد أهل الريـف منها إلى المدينة، فإن هذه المجموعة لم تستطع أن تنخرط في الحياة المدنيـة اللبنانية بشكل كامل، أو قل لم تستطع أن تنصهر فيها تماماً، وإن كانت قـد اكتسبت عادات وتقاليد جديدة من المجتمع الذي تعيش فيه، لكنها لم تسـتطع إظهار وجودها هناك بشكل منظم (جمعية، حزب) أو غير ذلك.

وبالمقابل فإن المجموعة الكردية في (بيروت) تتشابه من حيـث الـذي ذكرناه مع المُحلّمية وبقية المجموعة العربية، إلا أنها تختلف عنها، حيث إن لها توجهات سياسية معينة وإن هـذه التوجـهات السياسـية جعلـت أبنـاء

المجموعة الكردية تتسارع للانخراط في الأحزاب السياسية اللبنانية وخاصة (الحزب التقدمي الاشتراكي) والذي يعمل على استقطاب المجموعات الشعبية والعمالية من أجل تحقيق أهدافه وشعاراته، وأدى هذا الأمر إلى تمايز العنصر الكردي عن غيره من العناصر والمجموعات الأخرى (المُحلّمية).

ولقد حصل العنصر الكردي من جراء انضمامه لهذا الحزب على بعض المكاسب المادية (الحصول على عمل، هوية (جنسية لبنانية)، إقامة، أو مكاسب معنوية).

الأمر الذي دفع المُحلّمية وغيرهم للانجذاب إلى هذا الحزب أيضاً والانخراط في صفوفه، وعَدّ ذلك ضرورة لتحقيق وجودهم ومطالبهم من خلال تعلقهم بجهة سياسية ما هناك، وخاصة أنها لها بعض التوجهات السياسية (الناصرية) وإن هذا الحزب التقدمي الاشتراكي له بعض من هذه التوجهات الناصرية.

إن هذا الوجود السياسي المشترك لعناصر المجموعتين (الكردية) و(المُحلّمية) بالإضافة إلى تشابه العادات والتقاليد (الريفية)، والسكن في مناطق شعبية في بيروت قد أدى إلى خلق حالة الالتباس التي ذكرناها من حيث اعتبار المُحلّمية هم جزء من المجموعة الكردية وعدّها مجموعة واحدة، لأن المظهر العام للمجموعتين متشابه في عدة أمور منها: المظهر واللباس، ومكان الإقامة، ونوعية الأعمال، وتشابه العادات والتقاليد، وحدة الانتماء السياسي، ولم يكن عامل اللغة هنا حاسماً في هذه المرة، ذلك أن اللهجة التي يتكلم بها الأكراد هي لهجة (جزراوية) وهي لهجة عربية قريبة

من اللهجة المُحلّمية، أما الأكراد الذين يتحدثون باللغة الكردية هناك فيطلقون عليهم اسم (الكرمنج).

فلم تترك هذه الأمور أي مجال للتمايز بين المجموعتين الكردية والمُحلّمية مما أدى إلى إطلاق صفة الأكراد على المجموعتين خطأً. وبذلك عُرف (المُحلّمية) وغيرهم من أبناء المجموعة بأنهم أكراد، ولم تستطع المجموعة العربية (المُحلّمية، الراشدية، المخاشنية، الماردلية) في لبنان أن تشرح وتنقل حقيقة هذا الوضع إلى الجهات المعنية لحل هذا الإشكال.

وإن كان التعبير الأصح هنا أنه لم تتبنّ طرح هذه القضية أي جهة رسمية أو شعبية أو حزبية وخاصة الأحزاب القومية العربية، كما أن الحكومة اللبنانية لا ترى في هذه القضية أي إشكال من أي نوع في ذلك البلد.

المحور الثاني

(النتائج الناجمة عن هذه المشكلة)

لقد أدى الخلط ما بين المجموعة العربية (المُحلَّمية، الراشدية، المخاشنية، المارِدلية) وبين الأكراد في لبنان إلى نتائج سلبية عديدة ومن هذه النتائج:

١ ــ عدم اعتراف السلطة اللبنانية بالأصول العربية لهذه المجموعة ولقد ترتّب على ذلك عدة مشاكل من أبرزها عدم حصول المستحقين منهم على الجنسية اللبنانية، وعدم توظيفهم بالتالي لدى مؤسسات وشركات الدولة اللبنانية.

٢ ــ فرز هذه المجموعة وإلحاقها اجتماعياً وسياسياً بالمجموعة الكردية، ولقد خلق هذا الوضع حالة من الفوضى والضياع من جراء فقدهم لانتمائهم وهويتهم العربية.

٣ ــ عدم قدرة هؤلاء على الحصول على ترخيص لإنشاء شخصية اعتبارية، وتأسيس جمعيات ثقافية أو تعاونية خاصة بهم أو غير ذلك باعتبار أن السلطات تنظر إليهم على أساس أنهم ذوي أصول كردية، وأنهم بذلك فقدوا كل الامتيازات التي تمنح عادة لأبناء العرب في دولة عربية.

٤ ــ لقد لحق بأبناء هذه المجموعة ضرراً مزدوجاً مادياً ومعنوياً، ولقد ذكرنا بعضاً من الأضرار المادية، ويكمن الضرر المعنوي في عدم قدرتهم على انتزاع الاعتراف بهويتهم وقوميتهم العربية، وإلحاقهم بمجموعة عرقية

أخرى دون وجه حق، وهذا بحد ذاته يشكل قلقاً ويأساً لديهم جعلهم يرضخون لهذا الأمر وهم مكرهون عليه.

٥ ـ إن هذه الأمور كلها قد دفعت بهجرة أعـــداد لا بـــاس بـــها مـــن المُحلَّمية ـ وخاصة الشباب منهم ـ إلى أوروبـــة وغيرهـــا مـــن البلـــدان الأخرى.

وبشكل عام، فإن إلحاق هذه المجموعة العربية بغيرهم وإلحاقهم بأصول غير أصولهم ليشكل بحد ذاته مشكلة كبيرة عـــانى منـــها أبنـــاء المُحلَّمِيـــة والراشدية، والمخاشنية، والماردلية زمناً طويلاً وما يزالون يعانون منها.

المحور الثالث

الحلول الواجبة لهذه المشكلة

لقد مضى وقت كبير على معاناة المجموعة العربية (المُحلَمية، الراشدية، المخاشنية) في لبنان، دون أن تثار مشكلاتهم على الصعيد الرسمي أو حتى الإعلامي، ولابد من بلورة حل ينصف هذه المجموعة ويقوم على أساس إعادة النظر في قضية إلصاقهم بالأكراد، وإن المسألة هنا تتعلق بالإنصاف والعدل وليس الحصول على مكاسب معينة، وخاصة أنها قضية تمس الانتماء، لذلك فهي حيوية وتكاد تكون مصيرية عند البعض، ذلك أنه من الظلم أن تصنف مجموعة عرقية من خلال دمجها في مجموعة أخرى لمجرد أن هناك تشابهاً في المظهر أو اللباس أو التصرفات أو السكن والعمل وغير ذلك.

كما إنه من الواجب على القائمين على رأس هذه المجموعة العربية إيجاد حل ما وبلورته وطرحه على الجهات الرسمية في لبنان بوسائل سلمية وإعلامية وحتى قضائية.

وإننا نستغرب كيف أن المُحلَمية وغيرهم من أبناء هذه المجموعة الواحدة معترف لهم بعروبتهم في تركية، أما أبناؤهم المقيمون في لبنان لم يُعترف لهم بهذه الهوية العربية وهم يقيمون في أرض عربية ويتحدثون بلغة عربية وبلسان عربي فصيح؟!

ـ ثالثاً ـ

المُحلَمية في العراق

(١)

لمحة تاريخية عن الوجود المُحلَمي

في الوقت الذي كنا ننجز فيه هذا الكتاب والذي بيّنا فيه نسب المُحلَمية إلى مُحلِّم بن ذهل الشيباني، ونفينا نسبهم إلى بني هلال فإنه ما يزال أبناء المُحلَمية في العراق ـ وخاصة الموصل ـ يعرفون هناك باسم (الهلالية)، وطبعاً إن لهذه التسمية أسبابها أيضاً وهي لم تأتِ من فراغ ولم تُطلق عليهم هناك بالاستناد إلى معطيات تاريخية، وقبل أن نبين سبب هذه التسمية، فإنه لابد أن نتطرق بإيجاز شديد للحديث عن الوضع القبلي والعشائري في العراق، والذي يمتاز عن غيره من الدول العربية بوجود علم متخصص للأنساب العربية هناك، وبوجود نسابين مختصين في تبيان نسب العرب وأصولهم.

حيث إن المرجعية القبلية والعشائرية تُسند وتثبت بأدلة كتابية، ولا يكفي أن يعلن فردٌ ما أنه ينتسب إلى القبيلة أو العشيرة الفلانية، بل عليه أن يمتلك الدليل الكتابي التاريخي الموثق لإثبات ذلك.

وبعد ذلك نستطيع أن نعطي لمحة تاريخية عن الوجود الشيباني في العراق عامة والموصل خاصة باعتبارها المركز الأساسي للتجمع المُحلَمي في العراق.

إن الوجود الشيباني في العراق يرجع إلى زمن بعيد، وهو زمن توافد القبائل العربية البكرية إلى ذاك البلد من البحرين، والشيبانيون لهم تاريخ طويل تحدثنا عنه في فصول متقدمة من هذا الكتاب.

ولقد ذكر ازهر العبيدي: «لقد استمرت هجرة القبائل العربية إلى الموصل، وهي قبائل تغلب وربيعة وشيبان وخزرج»[1].

ثم أضاف: «وبعد التحرير الإسلامي سكنت الموصل قبائل.. ثقيف وبنو شيبان وبنو الحارث وبنو تميم وغيرهم».[2]

ويؤكد حسن شميساني ذلك في كتاب «مدينة ماردين» بقوله: «إنه كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى وثوراتهم وغاراتهم المتواصلة أثرها السيء على تلك الجهات».[3]

فالوجود الشيباني في العراق عامة والموصل خاصة أمر مؤكد ويمكن مراجعة الفصول الأولى من هذا الكتاب، وفيه أدلة كثيرة على ذلك.

إلا أننا على الرغم من هذه المعطيات لا نستطيع أن نؤكد أن المُحلّمية في الموصل والمعروفين باسم (الهلالية) خطأ، هم من بقايا الشيبانيين الذين سكنوا هذه المنطقة منذ زمن بعيد، إنما نستطيع القول بأن المُحلّمية هناك (الهلالية) قد وفدوا من ديارهم الأصلية في تركية أو وفدوا من الجزيرة السورية وسكنوا الموصل.

---

(١) انظر كتاب «الموصل أيام زمان» ــ لأزهر العبيدي ــ طبع دار الكتب ــ جامعة الموصل ــ ١٩٩٠ صفحة /١٢/.

(٢) انظر المرجع نفسه صفحة /٣٣/.

(٣) انظر كتاب مدينة ماردين ــ حسن شميساني ــ ط دار عالم الكتب بيروت ١٩٨٧ ــ ص٨١.

وإننا لم نعثر على دليل في الوقت الحالي يدل على وجود (مُحلَّمية) من بني شيبان سكنت المنطقة منذ زمن قديم، وإن كنا نعرف أن هناك بقايا مـــن قبيلة بني شيبان يسكنون في مناطق البصرة ومنها منطقة الشيبانية المعروفة باسمهم.

وربما سيعمل هذا الكتاب بعد نشره على تحقيـــق نـــوع مـــن الصلـــة والتواصل والتعارف بين (المُحلَّمية) الذين عرفوا بأنهم من بني شيبان حديثاً وما بين عشائر وأفخاذ من الشيبانيين وربما من المُحلَّمية كانوا يقيمون فـــي تلك المناطق منذ زمن بعيد.

(٢)
أسباب تسمية المُحلّمية (بالهلالية)

ربما يخال للوهلة الأولى من أن (مُحلّمية) الموصل هم الذين عرفوا أنفسهم بأنهم هلالية من بني هلال، وهم الذين ألحقوا نسبهم بهذه القبيلة العربية!!

ولكن الأمر ليس هكذا في كافة الأحوال، ولقد ذكرنا من قبل ونؤكد أن نسب المُحلّمية لبني هلال إنما هو (غلط تاريخي) كان مصدره الجزيرة السورية ومنها صدر وانتشر إلى بقية عشائر المُحلّمية سواء في لبنان، أو العراق، أو حلب، أو غير ذلك من الأمكنة.

هذا الغلط أوقع عشائر المُحلّمية في هذه الأمكنة بمشاكل كبيرة، فلقد أخذ المُحلّميون في الموصل مرجعيتهم العشائرية ونسبهم من الجزيرة السورية، حيث إنهم قد أُخبروا أن نسب المُحلّمية يرجع إلى بني هلال، وهم قد اعتمدوا على هذا القول وبنوا أساساً عليه، وأعلنوا في الموصل أن مرجعيتهم هي لبني هلال، وأنهم (هلالية)، وهكذا أطلقوا على أنفسهم (الهلالية)، وهكذا نجد أن الخطأ الذي وقع فيه أبناء المُحلّمية في الجزيرة السورية قد صدّقوه وروّجوه إلى كافة المناطق التي توجد فيها عشيرة المُحلّمية ومنها الموصل.

ولقد وجد (المُحلّميون) في الموصل أنفسهم في ورطة هناك حينما أسندوا أنفسهم لبني هلال استناداً إلى مصادر (جزيرية مُحلّمية)، دون أن يدعموا هذه المرجعية بدليل تاريخي في بلد لا يقبل انتماء فرد لعشيرة ما

دون سند تاريخي كتابي فكيف به يقبل إلصاق عشيرة بأكملها ببنـــي هــلال دون أدلة تاريخية؟!

وبكل صراحة نقول: إن مُحلَمية الموصل لم يستطيعوا أن يقنعوا أحــداً هناك بأن نسبهم هلالي، والقليل جداً من اقتنع بهذا الكلام.

وربما سيساعد هذا الكتاب بعد نشره في حل هذه المشكلـــة وتوضيــح الحقائق هناك وفي كل مكان يوجد فيه (المُحلَمية)، إذ إنه قــد بيــن النســب الصحيح والحقيقي (للمُحلَمية) مدعمّاً بالحجج والأدلة والبراهين كما وجدنــا ذلك في فصول متقدمة.

(٣)

المطلوب إعادة التسمية

لم يكن هناك إذن مرجعية تاريخية موثقة يستند إليها (مُحلَمية) العراق تثبت إلصاق نسبهم ببني هلال ولم يقتنع إلا القليل جداً بهذه المقولة نظراً لعدم وجود الدليل التاريخي، وظل وضع المُحلَمية هناك معلقاً.

وعليه فإن المطلوب الآن هو إعلان النسب الصحيح للمُحلَمية إلى مُحلَم ابن ذهل الشيباني، وإلغاء تسمية الهلالية عنهم، وما ترتب عليها من آثار، وإعادة تسميتهم هناك باسم (المُحلَمية)، وهو اسمهم ونسبهم المدعم بالحجة والدليل التاريخي وفق ما دللنا عليه في كتابنا هذا.

كما إن هذا الأمر من شأنه أن يُعرِّف (بالمُحلَمية) ويظهرها بثوبها الشيباني، وهي صفة لها تاريخها العريق في تلك المنطقة، وربما، بل ومن المؤكد أن يكون هناك أفخاذاً من بنو شيبان في أماكن عدة، وإن أدلة كثيرة تؤكد وجود الشيبانيين أو بعضاً من عشائرهم وأفخاذهم ما يزالون يقيمون في العراق إلى يومنا هذا.

وخلاصة القول:

لسنا مقتنعين بأننا قد أعطينا عشائر المُحلَمية في العراق ولبنان وحلب حقّها في هذا المؤلف، وربما تحتاج دراسة كل عشيرة من هذه العشائر إلى كتاب خاص بها، ويعود سبب تقصيرنا إلى أن المدة التي تم فيها إعداد هذا المؤلف كانت قصيرة جداً، ولأن شرح أوضاع العشيرة في هذه الأماكن

يحتاج إلى دراسة تاريخية وإحصائية عن المكان حيث توجد فيه تلك العشائر.

وربما نكون قد استطعنا أن نعطي فكرة سريعة واضحة عن أوضاع هذه العشائر، ووضعنا لبنة الأساس لمن يريد أن يتوسع ويتابع البحث في هذا الموضوع من أبناء المُحلَّمية في تلك المناطق، خاصة أننا قد تحدثنا بشكل مفصل في مؤلفنا هذا عن الهم العام والكبير للمُحلَّمية والذي يتعلق بمرجعية هذه العشيرة وانتمائها.

الفصل الثالث عشر

اللهجة المُحلّمية

خواصها.. اشتقاقاتها اللغوية

ـ أولاً ـ

الخواص

كما هو معروف فإن العرب سكنوا الجزيرة الفراتية وخصوصاً مناطق «طور عابدين» وماردين والموصل قبل الإسلام وبعده، حيث صارت هـــذه المنطقة تعرف بـــ(عربايا) أي بلاد العرب، ومن القبائل العدنانية التي سكنتها في ذلك الحين: بكر وتغلب وإياد ونمر وقضاعة وغيرها، كمـــا إن العـــرب القادمين كانوا ينتمون إلى عدة قبائل تختلف لهجاتـــها بـــاختلاف مواطنـــها الأصلية فنقلت هذه القبائل لهجاتها وتقاليدها معها، ثم حافظت عليها.

فمن هنا نلاحظ التوافق الواضح باللهجة المشتركة في المنـــاطق التـــي سكنتها قبائل بكر، ومنهم الشيبانيون ومنهم (المُحلّمية) وقبائل تغلب واللتـــان سكنتا من الموصل إلى بعشيقة إلى آزخ وطور عابدين وحتى مـــاردين مـــع اختلاف بسيط في بعض الألفاظ، فـــالموصل ومـــاردين مدينتـــان كبيرتـــان سكنتهما قبائل من أعراق مختلفة واثنيات وطوائـــف متنوعـــة، فـــاختلطت اللهجات فيما بينها ودخلت الكثير من الألفاظ والمسميات الغريبة؛ لهذا السبب فإن لهجتهما تختلف نوعاً ما عن لهجة سكان طور عابدين الشيبانية وســـكان آزخ وبعشقية التغلبيين مع وجود شيبانيين بينهم، فحافظ سكان هذه المنطقـــة على فصاحة هذه اللهجة، وهذا ما جعلها أكثر فصاحة، وإن كان قد دخلـــها بعض الألفاظ الغريبة فيما بعد.

ولقد كتب عادل البكري في كتابه «الفصيح في اللهجة الموصلية»:

«ورغم ذلك فإن اللهجة الموصلية تعتبر أقرب اللهجات العامية إلى اللغة الفصحى لما بينهما من التوافق في كثير من الأمور مما لا نجد له نظيراً في اللهجات الأخرى، ويعود الفضل في ذلك إلى وجود القبائل العربية التي نقلت معها لهجاتها وتقاليدها، ثم حافظت عليها».[1]

وهذا ينطبق تماماً على اللهجة المُحلّمية التي حافظت بصورة أكبر على فصيحتها لقلة اختلاطها باللهجات الأخرى.

فنذكر هنا بعض الكلمات والألفاظ المُحلّمية الفصيحة الثقيلة والتي تبدو غريبة على مسامع الآخرين، وقد يحتاجون أحياناً إلى قاموس لغوي لفهمها ولكنها سهلة بالنسبة لأصحابها المُحلّميون، وخاصة في مناطقهم في طور عابدين في تركية، وهذا لا يعني عدم تشابه هذه اللهجة باللهجات العربية الأخرى فهناك تشابه كبير وكبير جداً في باقي الألفاظ، ففي الجداول التالية أمثلة عما تميزت به اللهجة المُحلّمية عن غيرها.

---

(١) انظر كتاب «الفصيح في اللهجة الموصلية» ــ لعادل البكري ــ طبعة موصل ١٩٨٦ ــ ص١١٥.

جدول رقم (١)

بعض اللفظات التي تستعمل بشكل مميز في اللهجة المُحلَمية

وَرَكْ ــ زد ــ كت ــ تَ ــ وي

ــ وَرَكْ: تستعمل في حالتي الأمر والسؤال، ومعناها اللغوي وَرَك يَرِك وروكاً على الأمر. ورَّكَ الشيء أوجبه، وتستعمل للزيادة في التأكيد والإسراع بالتنفيذ.

مثلاً: رُح العبْ وَرَكْ

ورك مع منْ كنتَ تلعبْ

ــ زد: وتستعمل بدلاً من كلمة (أيضاً) أو بالإضافة إلى.

مثلاً: رُح معُه انت زد

ويلفظها أهل بعشيقة والموصل (زا) وأهل ماردين وآزخ (زي) والبدو (زاد).

ــ كت: وتستعمل لتحقيق الفعل بدلاً من (قدْ) أو (لقد) وتستعمل مع الفعل الماضي تحديداً.

مثلاً: كت راحْ للبيت ــ كت نام

ويلفظها أهل الموصل وبعشيقة (كن) وأهل ماردين (كل).

ــ تَ: تستعمل كأداة استفهام بدلاً من (هَلْ).

مثلاً: تَ تأخذ ابنك معك؟

وعندما تلفظ تِ فيتبدل المعنى وتستعمل كأداة استقبال (سين) و(سوف).

مثلاً: تـ يسافر بالطيارة.

وهاتان اللفظتان يستخدمهما أهل ماردين وآزخ أيضاً.

ـ وي: وتستخدم في حالة السؤال وبدلاً من كلمة (هوَ).

مثلاً: منْ وي؟ ويلفظها أهل دمشق: (مين هوّي) ويلفظها أهل ماردين وآزخ كما يلفظها المُحلَميون.

وهناك بعض الخواص الأخرى لهذه اللهجة كـ:

ـ قلب (الميم) إلى نون، وتحدث في حالة السؤال عن حالة الجمع في الماضي.

مثلاً: أين لعبتن (أين لعبتم).

مع من أكلتن (مع من أكلتم).

وهذه اللفظة يستخدمها أيضاً أهل ماردين وآزخ.

وهناك بعض الحالات الشاذة لـ قلب الميم إلى نون كما في كلمة (اللمّام) فتصير (اللمّان) وهو اسم يطلق على النمل.

ـ قلب الألف إلى ياء في جمع المذكر.

مثل: ذئاب ـ كلاب ـ جِمال، فتصير: ذييب ـ كليب ـ جميل.

وهناك كلمات وألفاظ شاذة لا يمكن ربطها بقاعدة ثابتة.

جدول رقم (٢)

بعض الأسماء المستعملة[١] في اللهجة المُحلَمية

اللفظة المُحلَمية	معناها
الجوف	البطن
فواد (فؤاد)	قلب
الساق	الرُجل
الضيعه	القرية
نيار	أعداء
ناطور	حارس
رحا	طاحونة
خلعه	منحة ـ هدية
سنوره	قطة
خبيز	خبز مخبوز
زاغ	صوص
قفّه	سلة
غلام	خادم
عتمة	ظلمة
الختْن	الصهر

(١) تمّ استخراجها من القاموس ولسان العرب لابن منظور.

اللفظة المُحلّية	معناها
الشعفة	خصلة الشعر
الحس	الصوت
هرم	عجوز
معذور	مجنون ذو عاهة
مقشّه	مكنسة
كرّة	مرّة
زنبور	دبور
كما	مثل
المكتب	المدرسة
موضع	مكان
الجب	البئر
كروة	أجرة
ذليل ــ ذلول	حزين ومتواضع
الحمو	أبو زوج المرأة وبالعكس
الزيق	ما أحيط بالعنق من الثوب
نزق	سفيه
شربه	إناء
معلول	عليل ــ مريض
جبهة	جبين
يقين	حقاً

اللفظة المُحلَمية	معناها
حقّا	صحيح
بعير	جمل
حيْف	حسرة
عَمْله	سوء
نوبه	مرة
سهم	حصة
سعر	عدوى
العقب	الولد وولد الولد
نعل	نعال
آكوله	مرض جلدي
جَوْن	أسود خالص
جاه	منزلة وقدر
الجونه	الخابية
القوبا	القوباء (مرض جلدي)
اغوز	أحول
نفسا	نفساء (المرأة)
خشن	ضخم
ربيّه	ورم (يملأ مكان الجرح ويعلو ويمتلئ قيحاً)
عصعوص	ذيل
دُمّله	خراج (في الجرح)

اللفظة المُحلّية	معناها
هَبْوِه	ثلجة
سِخله	رذيلة
الغم	الحزن والكآبة
دعوِه	عرس
القداري	الطناجر
قشمر	أضحوكة
النقد	المهر (للعروس)
الديّه	الودي
خمّة	نتانة (تستعمل للتوبيخ)
حسوة	جرعة أو شربة واحدة
السع	الآن
جَرِب	أجرب
قربان	فداء
عَجْلَة	دولاب

جدول رقم (٣)

بعض الأفعال المستعملة في اللهجة المُحلّمية

يلهب	يحرق
ينطمر	ينام أو يموت
ينخرع	ينحل جسمه ويخور من الخوف
يدغم	يسيء لـِ
يرشق	يرمي
يقشع	يرى
يكدي	يجذي ـ يشحذ
يحوّل	يزف (العروس)
يبسط	يمد (الفراش)
يقطم	يقطع
يقمع	يقتلع ـ يقطع
يبّك (عينه)	يخرق (عينه)
ينقصف (عمره)	يموت
ينبص	يظهر
يجعر	يبكي
ينبهت	يذهل
يكمد (اللون)	يبجر، ويتغير
يقايض	يبادل

يَمْرِط	ينتف
يقرض	يُسلِّف
ينطر	يحرس
يرقد	ينام ويهدأ
يركد	يهدأ
ينغش (الشيء)	يتحرك
يحرن (الحمار)	يقعد في المكان ولا يفارقه
يحشك	يدخل الشيء بقوة
يِلُوقْ (القميص)	يناسب
يَعْلِقْ (الضوء)	يشعل
يشتم	يسب
يفزع	يخاف
يحزق	يربط بشدة
يفدغ	يشج رأسه
يسكب	يصب
يصغي	يستمع
يزعق	يصيح
يهتك	يفضح
يسمط	يسكت
يطيق (يتيق)	يقدر
يملقَ	يتودد

يكتّ	ينحل ويضعف
يهبط (قلبه)	يخاف
يأدّم	يأكل كمية أقل
يحمّ	ترتفع حرارته
يحدّق	ينظر بعينين مفتوحتين
يحسي	يحسو (الطعام)
يكزّ	يعضّ
يذرق (الطير)	يلقي بسلحه
يجفل	يفزع ويخاف

جدول رقم (٤)

بعض الجمل التي تستعمل في مناسبات مختلفة

ـ قوك الله	تقال للقادم من السفر
ـ يبقى جانك[١] طيب	تقال في التعزية
ـ عيد مبارك عليك	تقال في الأعياد
ـ مبارك ما خلفت	تقال لقدوم مولود جديد
ـ دايمة قط وقط[٢]	تقال بعد الانتهاء من تناول الأكل والشرب
ـ الله يصبرك على بلاك	تقال في حالة المرض أو وقوع مصيبة
ـ الله يطعمك كماه[٣]	تقال للرد على التهنئة بمولود أو بمدح شيء
ـ لا تبلبل[٤] اذانيك	تقال لمن يحاول أن يتنصت أو يريد أن يسمع
ـ حرج[٥] عليك	تقال في حالة التحريم والمنع
ـ شري[٦] عليك	تقال للتحذير والتنبيه
ـ حط رماده[٧] براسك	تقال للتوبيخ

---

(١) الجان ـ هو أول الشباب.

(٢) قط ـ أبدا.

(٣) كماه ـ مثله.

(٤) يبلبل ـ يحرك أو يهيج.

(٥) حرج عليه ـ منعه.

(٦) شري عليه ـ احذره.

(٧) رماده ـ بقايا الخشب المحروق.

ـــ لـــ خاطرك تقال للوداع

ـــ قفل[8] من برده. تقال لمن يشعر بالبرد الشديد

ـــ كيف انت ـــ أين كنت ـــ تستعمل كـــ أسئلة

من أنت

---

(٨) قفل من برده ـــ يبس من برده.

جدول رقم (٥)

بعض الأمثلة التي تضرب لدى المُحلَّمية

وأهل الموصل وماردين وآزخ وبعشيقة

ـ أنا أكدّي والفارة تودّي	(يكدّي: يتسوّل)
ـ قلبي على ولدي وقلب ولدي عل الحجر	
ـ لا قلب يحزن ولا عين ترى	
ـ الكدّى ما غدا	
ـ أعوج كما عصعوص الكلب	(عصعوص: ذنب)
ـ الـ فيُه عاهة مو ينساها	
ـ مرت الأب لا تحب ولا تنحب	
ـ جاب المعلف قبل الفرس	
ـ من حبك اجاك	
ـ دللناك يا حبّي نطيت وجيت بعبّي	
ـ خبيز الشعير عل الفقير كثير	
ـ سبع صنايع والبخت ضايع	
ـ عطيناك وج بدك بطانة	
ـ يوديك للبحر ويردك عطشان	
ـ بيض مسلوق مو يلوق للـ الحلوق	
ـ نوم العرايس للضحى لا عيب ولا مستحى	
ـ العقل زينة وحمّالته حزينة	
ـ البيت بيت أبونا والناس يطردونا	
الجوز المعدود بـ جراب مشدود	(كيس من الجلد)
ـ لا تكثر روحاتك لـ بيت أبوك تـ يكرهوك	

جدول رقم (٦)

بعض الأغاني التراثية التي يرددها الناس
في طور عابدين والموصل وماردين

(١) ياردلي

كـم يـاردلي يــاردلي[1]   ســمرة قتلتينـــي

خــافي مـن رب الســما   وحـــدي لا تخلينـــي

فتّــو علــى بابـــها   كتنقـــش الـــورده

رلس ابرتــا مـن ذهــب   وابريســمو[2] هنـــدي

لادّعـي مـن رب الســما   ليلـــة غــدا عنـــدي

ولا فـرش فـراش الـــهنا   ومخدّتُـــه زنـــدي

رحتـي زرتـــي النبـيّ   مقبولـــة زيـــارتكي

ايمــت تَــ يمسّــي المســا   تتنـــامُ جـــارتكي

لاعمــل ســـلالم ذهـــب   واطلـــع لـــ اوضتكـــي[3]

وأبوســو لخـــذ اليميـــن   واحضــن لـــ قــامتكي[4]

---

(١) (ياردلي: كلمة تركية).

(٢) الابريسم: حرير ــ فارسية.

(٣) أوضه: غرفة ــ تركية.

(٤) (القامة: الطول).

أهـلا وسـهلاً دلال | جـاني عزيـز الـروح

لا أطيـق[١] اقـل لُـه تعـا | ولا اطيـق اقـل لُـه روح

وإن قلـتُ لُـه تعـا | أمّـي كـِ عـل السـطوح

وان قلـتُ لُـه روح | روحـي مغُسـه تـروح

أبـوكِ اسـمر حلـو | ماجـا علـى دينـي

دِصومـي خمسـينكي | وأصـوم ثلاثينـي

وانـتِ علـى دينكـي | وأنـا علـى دينـي

---

(١) (أطيق تلفظ اتيق).

(٢) سعاد

تحبـون الله ولا تقولـون سـعاد وكـت[١] مـاتت

والبارحـة العصريـة عـل الجادّه كـت فـاتت

انعـل[٢] ابوهُ الـتّرين[٣] لـ ابـو عجالاتْـه

اخـذ محبـوب القلـب وخلانـي بحسـراتُه

وعلـى ضـوك يـا قمـر تفـاح حلـو حشنـا

ومـن الصبـح للمسـا خـدود حمـر بسّنـا

حبـي نصـب جـادرُه عـل البحـر مشّـاني

وجـدّي مـو مـن علاتْـه يـروح وينسـاني

أمـي اعطينـي تفنكتـي[٤] يـامو اعطينـي رختـي[٥]

لاطلـع لصيـد البنـات وابقـى أنـا وبختـي

وأنـا رايـح لـ حلـب عـل ايـش توصيـني

توصيـك مشـط ومـرا[٦] ومكحلـة لـ عينـي

---

(١) كت: قدّ.

(٢) انعل: العن.

(٣) الترين: القطار.

(٤) تفنكه: باروده الصيد.

(٥) الرخت: توضع فيه الطلقات.

(٦) مرا: مرآة.

جدول رقم (٧)

أهم الأكلات المعروفة في منطقة المُحلَمية

(طور عابدين)

الكتل: وهي أكلة معروفة على شكل كتل من السميد المحشي باللحم والبصل وتُسلق بالماء المغلي.

المخلوطة: شوربة مؤلفة من العدس والرز واللحم.

المدفونة: طبخة مكوّنة من الباذنجان واللحم وعصير البندورة.

المشوّشة: شوربة من العدس المطحون والبصل.

القليّة: لحم عجل مقلي ومملّح يُخزن كـ مونة في البيت.

البلّوع: أكلة تصنع من السميد الممزوج بعصير البندورة.

المثوّمة: أكلة مكوّنة من الكوسا (أو لبّ الكوسا) والثوم.

جدول رقم (٨)

ـ بعض الحكايا المعروفة ـ

ـ شمّة وزهر البان.

ـ عرجا وبرجا (البرجاء: الجميلة).

ـ حُبَيبة الرمّانة.

ـ بيت الشراشيط (الشراشيط مفردها شَرطة:

أي القطعة المقطوعة من القماش) القاموس.

ـ ثانياً ـ

التشابه بين اللهجة المُحلّمية.. والموصلية

نود أن نشير هنا إلى التقارب بين اللهجتين الموصلية والمُحلّمية، والذي يصل في بعض الأحيان إلى حد التطابق بين اللهجتين، سواء ذلك بمفرداتها أو بقواعدها، وإن هذا يعود لكون الموصل مجاورة لمنطقة (عربايا) كما ذكرنا سابقاً.

واننا سنورد بعض الأمثلة على هذا التوافق ونلاحظ أن بعض الكلمات التي أوردناها متطابقة تماماً في اللهجتين.

اللجة الموصلية	اللهجة المُحلَمية	المعنى بالفصحى
انبهت	انبهت	اندهش
انجعص	انجعص	غضب
بزبز	بزبز	بعثر ماله
بهدل	بهدل	أهان
تطوطح	تطوطح	تطوح
تنفوج	تنفوج	تدلل
حيف	حيف	جور وظلم
خاس	خاس	فسد
خلعة	خلعة	هدية
داس	داس	وطئه برجليه

اللجة الموصلية	اللهجة المُحلّمية	المعنى بالفصحى
ريق	ريق	لعاب الفم
جعر	جعر	صرخ
حاص	حاص	حام
حزازة	حزازة	غيظ
سجر	سجر	أشعل التنور
سقاطة	سقاطة	قفل الباب
شطف	شطف	غسل
كوارة	كوارة	وعاء طيني
مليح	مليح	جيد
شلح	شلح	نزع ملابسه
أبهات	أبهات	آباء

كما أن هناك الكثير من الأمثال المشتركة مابين المُحلّمية والموصليـــة ومنها:

ـ إذا طلعت لحية ابنك احلق لحيتك

ـ اعوج مثل عصعوص الكلب

ـ سبع صنايع والبخت ضايع

ـ كلمن ذنبو على جنبو

ـ ما بقى علينا إلا وسخ رجلينا

ـ لا عين تقشع ولا اذن تسمع

ـ أكد والعشا خبازه

وهناك قواعد لغوية مشتركة بين اللهجتين ومن هذه القواعد:

قلب التاء المربوطة إلى ياء: كنة.. كني، فاطمة.. فاطمي.

قلب الألف إلى ياء: كلاب.. كليب، جِمال.. جميل. وهكذا.

قلب السين إلى ص: حسرة: حصرة، فرس: فرص، جرس: جرص

وأحياناً تقلب الصاد إلى س: يصفق.. يسفق.

وإن هذا التشابه الكبير بين اللهجتين والأمثال وبعض العادات والتقاليد، يدلّ بشكل كبير على الوحدة الاجتماعية التي كانت تربط المنطقة الممتدة من الموصل إلى ماردين مروراً بآزخ وطور عابدين وما حولهما من مناطق أخرى.

(خاتمة)

نكون بذلك قد أنجزنا هذا الكتاب المتعلق بعشيرة المُحلَّمية وجذورها العربية الأصيلة، ولقد حاولنا قدر الإمكان إعطاء لمحة كافية عن أوضاع هذه العشيرة بشكل عام، إلا أننا لا نقول بأن هذا الكتاب كان شاملاً وموسَّعاً، وذلك لأسباب عدة أولها: إن الهدف من هذا الكتاب كان إبراز الهوية العربية والقبلية للمُحلَّمية، والرد على ما يطعن في هذا الانتماء. وثانياً: لعدم توفر معلومات وأرقام إحصائية عن أعداد المُحلَّمية في مناطق وجودهم. وثالثاً: لقصر المدة التي تم فيها الإعداد لهذا الكتاب وتوثيقه وهي مدة لا تتجاوز التسعة أشهر تقريباً.

ومهما يكن من أمر فإنه من المؤكد أن يثير هذا الكتاب الجدل لمدة طويلة ذلك أن المعطيات والحقائق التي ذكرت فيه جديدة ومن شأنها قلب المفاهيم عن عشيرة المُحلَّمية رأساً على عقب.

كما إن التطرق لبعض الأمور الهامة كموضوع (الهيكلية العشائرية)، و(الأزخية) وغير ذلك، قد يكون خارجاً عن نطاق هدف هذا الكتاب، لكن في الحقيقة إن هذين الموضوعين يتعلقان بشكل أو بآخر بالموضوع الأساسي من حيث ما بيّناه في فصول هذا الكتاب.

والمهم في الأمر أننا قد حاولنا ــ بما توفر وأُتيح لنا من أدلة ومصادر تاريخية ــ التركيز على الجانب التاريخي المتعلق بالانتماء العربي والقبلي للمُحلَّمية.

وإننا نرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا المؤلَّف قد قدّم الغاية المرجوّة منه.

مصادر عربية

(١)

ابن الأثير: أبو الحسن بن محمد الجزري

ـ كتاب الكامل في التاريخ ـ ج١٣ ـ بيروت ـ دار صادر (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧)

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي

ـ كتاب تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ـ ٤ج ـ تحقيق محمد علي البيجاوي الدار المصرية للتأليف والنشر (دون تاريخ)

ابن حزم ـ أحمد بن سعيد الأندلسي

ـ كتاب جمهرة أنساب العرب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طبعة ١٩٩٨

ابن حنبل ـ أحمد بن حنبل

ـ كتاب العلل ـ تحقيق رفيق جراح أوغلي ـ انقرة ١٩٦٣

ابن حوقل ـ أبو القاسم محمد بن البغدادي الموصلي النصيبيني

ـ كتاب صورة الأرض ـ ج١ ـ بيروت مكتبة دار الحياة ـ ١٩٦٣

ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد

تاريخه ـ ج٢/ ٣ ـ (د . ت)

ابن خياط ـ خليفة بن خياط العصفري

ـ كتاب تاريخ خليفة بن خياط ـ ٢ ج تحقيق سهيل زكار ـ دمشق ـ وزارة الثقافة والسياحة ـ ١٩٦٨

ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي البغدادي

ـ كتاب الأموال ـ تحقيق محمد خليل هراس ـ القاهرة ١٩٧٥

مصادر عربية

(٢)

ابن شداد: عز الدين أبي محمد بن علي

ـ كتاب الأعلاق الخطيرة ـ ج٣ ق٢ ـ تحقيق محي عمارة ـ دمشق ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ ١٩٧٨

ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد

ـ كتاب العقد الفريد ـ ٧ ج ـ الجزء الخامس ـ طبعة ٣ ـ القاهرة ١٩٦٥

ابن عربشاه: أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد ربه

ـ عجائب المقدور في نوائب تيمور ـ ج١ ـ تحقيق علي محمد عمر ـ مصر ـ مطابع دار نافع للطباعة ١٩٧٩

ابن فقيه الهمذاني: أبو بكر أحمد بن محمد

ـ كتاب مختصر كتاب البلدان ـ ج١ ـ لندن ـ مطبعة بريل ـ ١٣٠٢هـ

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

ـ كتاب عيون الأخبار ت ٤ أجزاء ـ القاهرة ١٩٦٣

ابن الكلبي: ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب

ـ كتاب جمهرة الأنساب ـ ج ٢ ـ ط دمشق ١٩٢٢

الألوسي: محمود شكري

ـ كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـ ج ٢ ـ اختيار محمود خالد ـ القاهرة مطبعة الصادي الحديثة ـ نشر دار القلم ـ (د . ت)

مصادر عربية

(٣)

الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن أسمع الباهلي
ـ كتاب نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب ـ مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي ـ تحت رقم ٦١٣ ـ صورة (بالأوفست)
البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز
ـ كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ـ ٤ ج ـ تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤٥ ـ ١٩٥١)
البلاذري: أحمد بن يحيى بن صابر
ـ كتاب فتوح البلدان ـ ١ مجلد ـ مراجعة وتعليق محمد رضوان ـ مصر ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٥٩
الحازمي: أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمداني
ـ كتاب عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ـ القاهرة ـ ١٩٦٥
السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور
ـ كتاب الأنساب ـ ١ مجلد ـ نشر المستشرق د.س ـ مرجليوت ـ بغداد ـ مكتبة المثنى ـ (د . ت)
الطبري: محمد بن جرير
ـ كتاب تاريخ الرسل والملوك ـ ١٠ ج ـ تحقيق محسن أبو الفضل ابراهيم ـ مصر دار العارف ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨

مصادر عربية

(٤)

العسقلاني: ابن حجر شهاب الله بن أبو الفضل

ـ كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ـ ٨ أجزاء ـ ط١ ـ ١٣٣٨ هجرية

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين

ـ التنبيه والاشراف ـ ١ ج ـ تصحيح عبد الله الصاوي ـ القاهرة ـ دار الصاوي ـ للطباعة والنشر والتأليف ـ (د . ت)

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ٤ ج ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ للطباعة والنشر ١٩٦٦

المقريزي: تقي الدين أحمد

ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ـ ٤ مجلد ـ تحقيق محمد مصطفى زيادة. القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣

الهمداني: رشيد الدين فضل الله

ـ كتاب صفة جزيرة العرب ـ ٢ ج في ١ ـ ليدن ـ مطبعة بريل ـ (١٨٨٤ ـ ١٨٨٩)

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

ـ كتاب تاريخ اليعقوبي ـ ٢ ج ـ بيروت ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٩٧٠

مراجع عربية

(١)

أرملة ـ القس إسحاق

ـ كتاب القصارى في نكبات النصارى ـ ج١ ـ طبعة أولى ١٩١٩ ـ طبعة بالأوفست ١٩٧١

برصوم ـ اغناطيوس أفرام الأول

ـ كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ـ ج١ ـ طبعة حلب ١٩٥٦

ـ كتاب تاريخ طور عابدين ـ طبعة بالأوفست ـ ١٩٦٣ ـ نشر الكنيسة السريانية ـ بغداد ـ صورة بالأوفست

الديوه جي ـ سعيد

ـ كتاب تاريخ الموصل ـ طبعة بغداد ١٩٦٩

السامر: فيصل

ـ كتاب الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ـ ج ٢ ـ مطبعة الألوسي ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ (بغداد)

شير: أدي

ـ كتاب تاريخ كلدو وآشور ـ ج ٢ ـ المطبعة الكاثوليكية ـ للآباء اليسوعيين ١٩١٢ ـ ١٩١٣

شميساني: حسن

ـ كتاب مدينة ماردين ـ ج١ ـ دار عالم الكتب بيروت ـ ١٩٨٧

الصائغ: القس سليمان

ـ تاريخ الموصل ج٣ ـ الجزء الثاني ـ بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٨

مراجع عربية

(٢)

العبيدي: أزهر

كتاب ـ الموصل أيام زمان ـ طبع دار الكتب الموصل ـ ٩٩٠.

العبيدي: محمود عبد الله

كتاب ـ بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي والاسلامي

ط ـ دار الحرية بغداد ١٩٨٤

عزاوي: عباس

كتاب ـ عشائر العراق القديم ـ مكتبة الصفا والمروة ـ لندن (د.ت)

القس: يوسف جبرائيل

كتاب آزخ ـ بدون تاريخ

كلوت: جون

ـ كتاب تاريخ الفتوحات العربية الكبرى ـ ج١ بغداد ـ مكتبة دار المنى ـ ١٩٦٣

زكريا: أحمد وصفي زكريا

ـ عشائر الشام ـ دار الفكر بدمشق ـ ط٢ ـ ١٩٩٧

الدواوين

ديوان الأخطل ـ نشر وتوزيع المكتبة الشرقية ـ بيروت ـ (د.ت)

ديوان امرؤ القيس ـ شرح ديوان امرؤ القيس ـ ط٣ ـ مطبعة الاستقامة ـ مصر (د.ت)



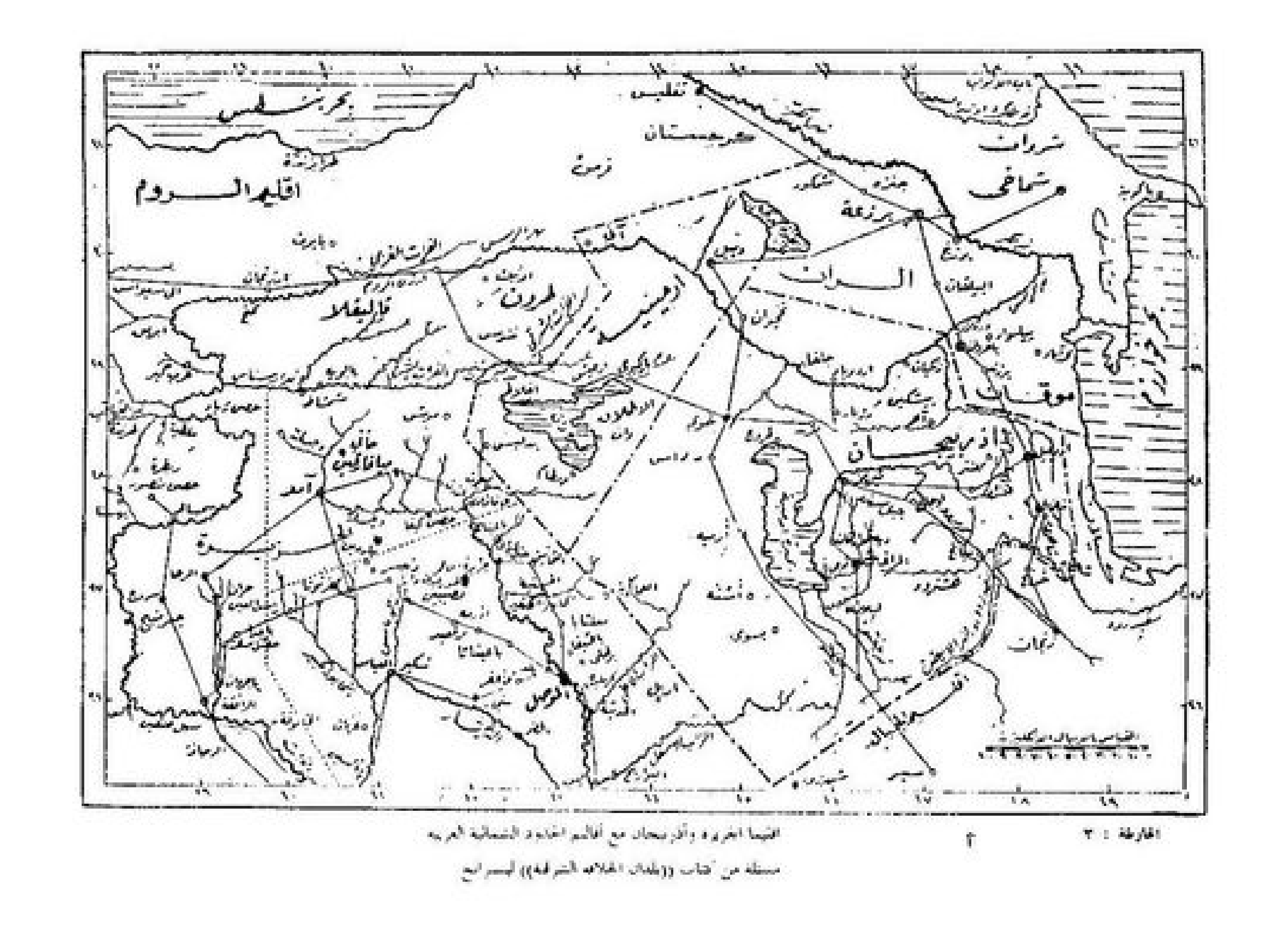
صورة لقلعة المخلسية وهي تبدو في الجهة اليسرى العليا
من الصورة ويمكن مشاهدة أجزاء من بلدة من بلدات المخلسية



صورة لأحد المساكن في قرية من قرى المخلسية في طور عابدين ويشاهد في الصورة نوعية البناء
وهو من الحجر ويظهر قدمه التاريخي وما زالت هذه المساكن قائمة حتى يومنا هذا



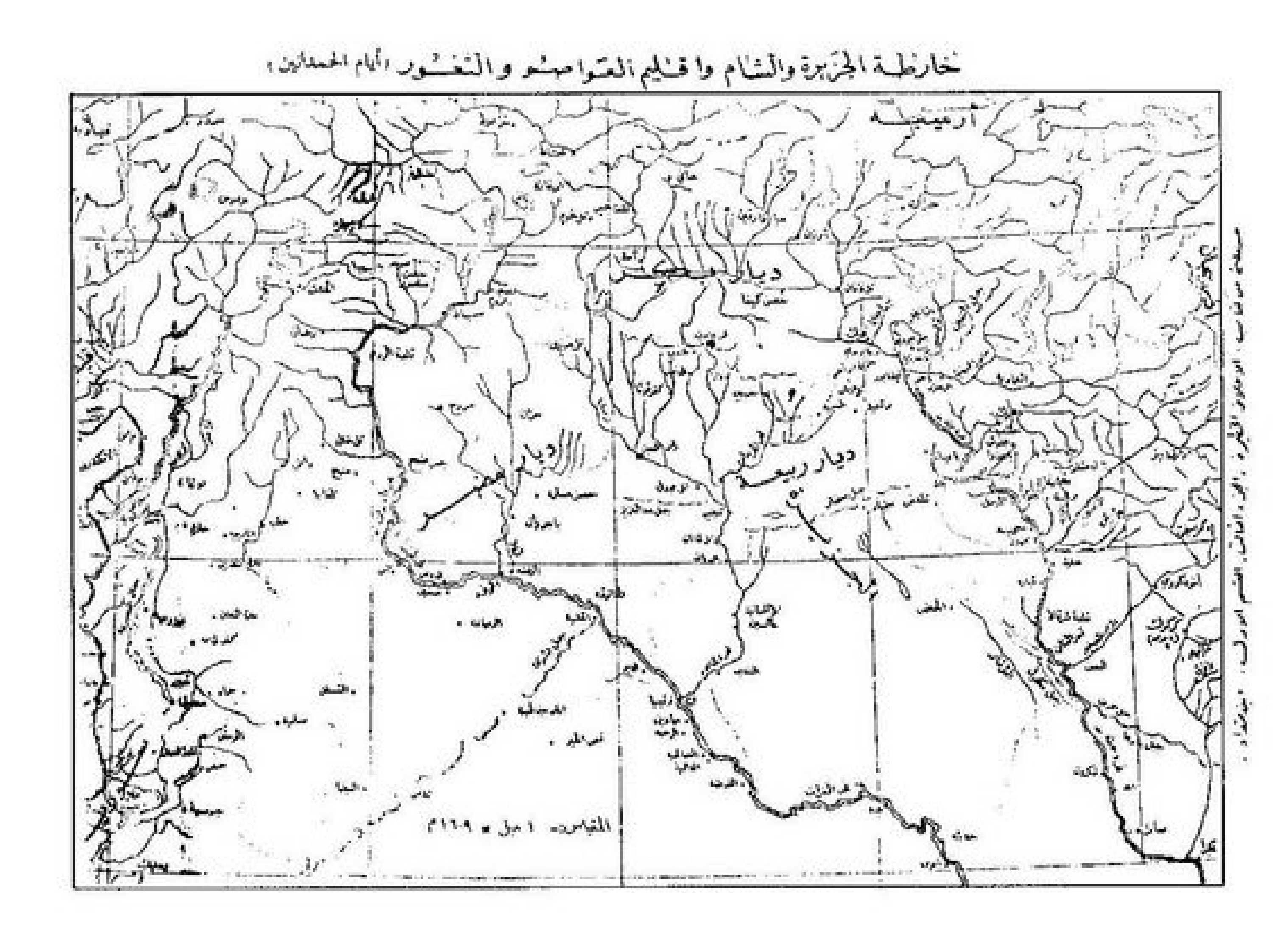
صورة لقلعة المحلمية في منطقة طور عابدين



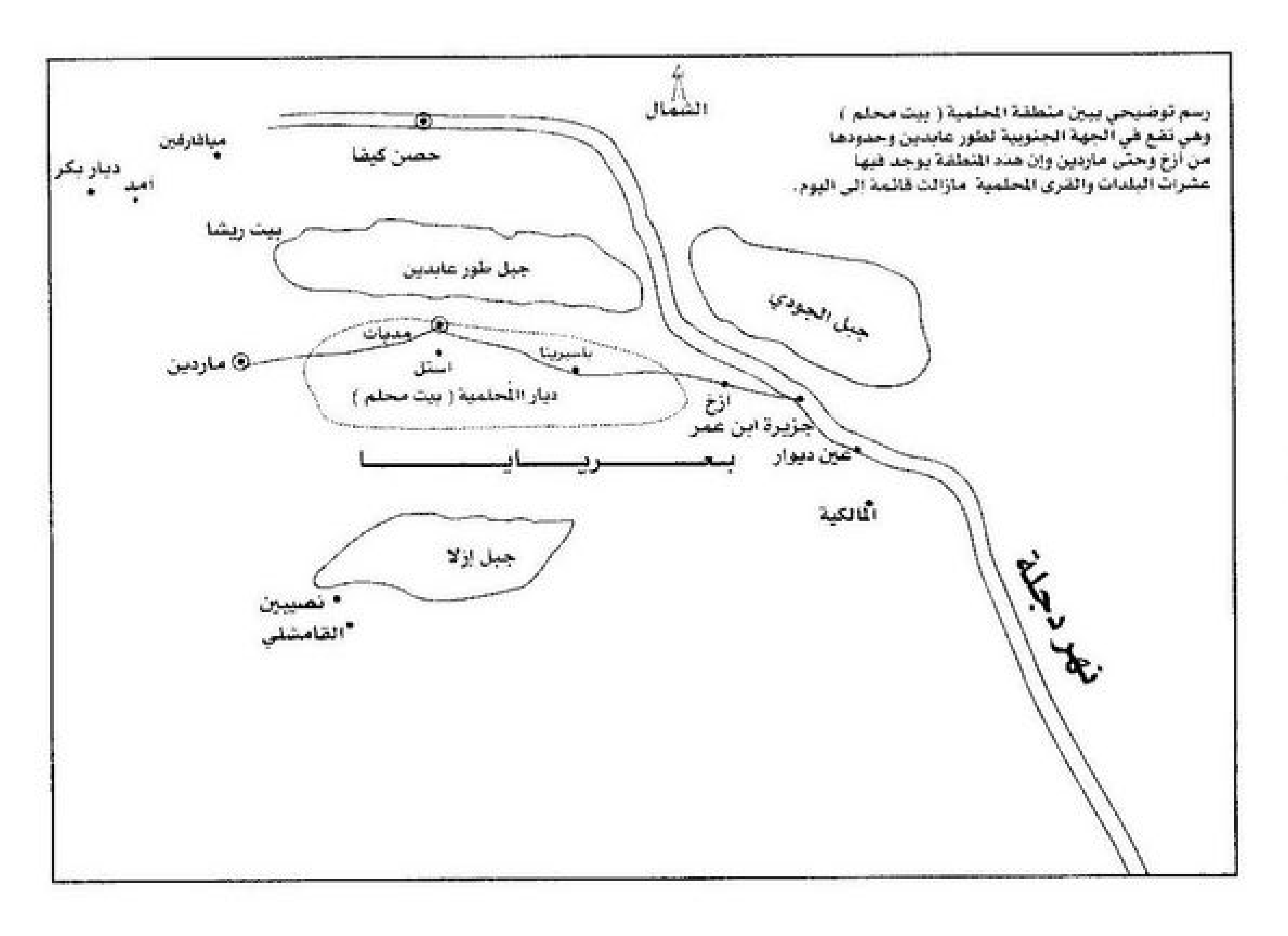
الخارطة : ٣ ﴿ اقليما الجزيرة وأذربيجان مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

مستلة من كتاب ((بلدان الخلافة الشرقية)) لسترنج

خارطة الجزيرة والشام واقليم العواصم والثغور (أيام الحمدانيين)



مستنسخة من كتاب « الموسوعة الكبرى » الجزء الثالث القسم الاول ، بغداد


رسم توضيحي يبين منطقة المحلمية (بيت محلم)
وهي تقع في الجهة الجنوبية لطور عابدين وحدودها
من أزخ وحتى ماردين وإن هذه المنطقة يوجد فيها
عشرات البلدات والقرى المحلمية مازالت قائمة إلى اليوم.
الشمال
حصن كيفا
ميافارقين
ديار بكر
آمد
بيت ريشا
جبل طور عابدين
جبل الجودي
مديات
استل
باسبرينا
ماردين
ديار المحلمية (بيت محلم)
أزخ
جزيرة ابن عمر
عين ديوار
بعربايا
المالكية
جبل إزلا
نصيبين
القامشلي
نهر دجلة

وهؤلاء بنو مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان

ولدُ مُحَلِم بن ذُهل : عوف بن مُحَلِّم ، الذى يُقال له : « لاَ حُرَّ بِوَادِى عَوْف[1] » ؛ وعمرو بن مُحَلِّم ؛ وربيعة ، وأبو ربيعة ، ابنا مُحَلِّم وثعلبة بن مُحَلِّم ، رَهْطُ مُكَيْنِ الخارجي

فمن بنى عمرو بن مُحَلم : ثَوْر بن الحارث بن عمرو بن مُحَلم بن ذُهْل ، وهو أخو آكِلِ المُرارِ لأُمه ؛ ومن ولد ثَوْر المذكور : البَطِين الخارجي ، الذى كان مع شبيب . ومن بنى ربيعة بن مُحَلم : الضحَّاك بن قَيْس بن الحُصَيْن بن عبد الله ابن ثَعْلَبة بن زَيْدمَناة بن أبي عمرو بن عَوْف بن ربيعة بن مُحَلم بن ذُهْل الخارجيُّ الذى بايعه مائة وعشرون ألف مُقاتل على مَذْهَب الصُّفْرِيَّة ، وملك الكوفةَ وغيرها ؛ وبايعه بالخلافة وسلَّم عليه بها جماعةٌ من قُرَيْش ، منهم : عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، وغيرُهما ؛ وفى ذلك يقول شاعرُ الخَوَارِج[2] :

أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بنِ وائلِ

وقتله مروان بن محمَّد .

وولدُ عَوْف بن مُحَلم : أبو عمرو ؛ ومالك ؛ وأمُّ أناس ، تزوَّجها عمر بن آكِلِ المُرَار ، فولدت له الحارث الملك : أمهم من بنى تَغْلب ؛ ومن ولده : عمرو ابن عوف بن أبي عمرو [بن عوف] بن مُحَلم : أمه جُماعة بنت همَّام بن مرّة ؛ ومنهم : مَعْديكَرب بن سلامة بن ثَعْلَبَة بن أبي عمرو بن عَوْف بن محلم ؛ لم يأْتِهِ قطُّ أسيرٌ إلا فَكَّهُ .

مضى بنو مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان .

---

(١) امثال الميداني ٢ : ١٩٧ ، ١٩٩ في (لا حر بوادي عوف) و (اوفى من عوف) والحيوان ١ : ٣٢٠ والاشتقاق ١٥ والمحبر ٢٥٠ والعقد ٣ : ٣٦٢ .

(٢) هو شبيل بن عزرة الضبعي ، كما في تاريخ الطبري ٩ : ٦٤ . وانظر البيان ١ : ٣٤٣ .

أَعْشَى بَنِي أَبِي رَبِيعَةَ .

فَذَكَرَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ الْكَلْبِيِّ قَالَ : جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ حَالِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَقُوا مُحَرِّقَ الْحَالِيقِ مِنْ بَنِي أَبِي رَبِيعَةَ لَهَزَمُوهُمْ .

وَوَلَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ أَبَا مَرْثَدٍ : فِيهِ الشَّرَفُ ، وَعَمْرًا ، وَخَالِدًا .

فَمِنْ بَنِي أَبِي مَرْثَدٍ : الْحَارِثُ بْنُ مُعَاذٍ الَّذِي نَفَرَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ بَيْبَةَ الْمُجَاشِعِيِّ .

فَهَؤُلَاءِ بَنُو أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ذُهْلٍ .

وَوَلَدَ مُحَلِّمُ بْنُ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ عَوْفًا ، وَعَمْرًا ، وَأُمُّهُمَا هِنْدُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَرَبِيعَةَ بْنَ مُحَلِّمٍ ، وَأُمُّهُ رُهْمُ بِنْتُ جَوْبَرِ بْنِ النَّمِرِ مِنْ بَنِي هُجَيْمٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنَ مُحَلِّمٍ وَهُوَ رَهْطُ سُكَيْنٍ الْخَارِجِيِّ ، الَّذِي خَرَجَ بِدَارَا فَأَصَابَتْهُ خَيْلُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ ، فَكَلَّمَهُ كَلَامًا شَدِيدًا فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَبَا رَبِيعَةَ بْنَ مُحَلِّمٍ ، وَأَسْعَدَ دَرَجَ .

فَوَلَدَ عَوْفُ بْنُ مُحَلِّمٍ أَبَا عَمْرٍو ، وَمَالِكًا ، وَأُمَّ أُنَاسٍ ، وَأُمُّهُمْ أُمَامَةُ بِنْتُ كُسَيْبٍ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ ، فَتَزَوَّجَ أُمَّ أُنَاسٍ عَمْرٌو آكِلُ الْمُرَارِ فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَارِثَ الْمَلِكَ ، وَعَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ .

فَمِنْ بَنِي مُحَلِّمٍ : عَوْفُ بْنُ أَبِي عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمٍ ، الَّذِي يَقُولُ لَهُ النُّعْمَانُ : لَا حُرَّ بِوَادِي عَوْفٍ[1] ، وَأُمُّهُ مُجَاعَةُ بِنْتُ هَمَّامِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ ذُهْلٍ .

وَمِنْهُمْ مَعْدِيكَرِبُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمٍ ، لَمْ يَأْتِهِ أَسِيرٌ قَطُّ إِلَّا فَكَّهُ .

---

(١) جاء في مجمع الأمثال للميداني طبعة مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة . ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٢٦ - لا حرّ بوادي عوف .

هو عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وذلك أن بعض الملوك - وهو عمرو بن هند - طلب منه رجلا ، وهو مروان القرظ وكان قد أجاره ، فمنعه عوف وأبى أن يسلمه ، فقال الملك : لا حر بوادي عوف ، أي أنه يقهر من حل بواديه ، فكل من فيه كالعبد له لطاعتهم إياه .

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك لأنه كان يقتل الأسارى .

وقال أبو عبيدة : كان المفضل يخبر أن المثل للمنذر بن ماء السماء ، قاله في عوف بن محلم ، وذلك

خصوبتها وسعة غلاتها . وأزهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصرة لم يبق من اكثرها اليوم سوى اخربة او مدن ثانوية تشير الى عظم مقامها في القرون الغابرة . واخص تلك المدن نصيبين ودارا وراس العين وماردين ودنيسر وآمد والرها وميافرقين وكفرتوث وتل موزا، وحصن كيفا وقرقيسيا والرقة ويطلق على مجموعها اسم الجزيرة . فهذه البلاد المتدفقة فيها الخيرات والغلات أ ّبتها قبائل العرب سواء كانوا حضرا او مدرا واستوطنوها من سالف الاجيال ومما يدلّ على انتشار القبائل العربية فيها أعلامها الشهيرة الى قاطنيها كديار ربيعة وديار مضر وديار بكر وجزيرة ابن عمر وغيرها

اما ديار ربيعة فكانت بين الموصل وراس العين وماردين ودنيسر والخابور وما تتضمن من البلاد والقرى . واسم ربيعة لهذه البلاد قديم كانت العرب تحل في بواديه قبل الاسلام . ويتصل نسب ربيعة بن نزار باسمعيل بن ابرهيم عليه السلام . وتفرع من ربيعة عقيل فتفردت بأرياف الخابور واختصت جشم بكفرتوث وسكن النمر براس العين . وكان مقام ربيعة خاصة بجبال الجودي وخلفهم الاكراد وخلف الاكراد الارمن

اما ديار بكر فهي بلاد واسعة بين ديار ربيعة وديار مضر وتنسب الى بكر بن وائل .. بن ربيعة . وحدّها ما غرّب من دجلة الى بلاد الجبل المطلّ على نصيبين . ومنها حصن كيفا وآمد وميافرقين وسعرت ويدخل فيها جبل الطور البزّي وهو لبني شيبان بن بكر بن وائل . اما اليوم فيراد بديار بكر مدينة آمد وحدها

اما ديار مضر فهي في السهول القريبة من شرقي الفرات كحرّان

بكاظمة »[٩٦] ولكن هذا لايلغي وجود بعض القبائل الاخرى من بكر في كاظمة مع بني شيبان ، ولكن مياه كاظمة كانت بحوزة بني شيبان على الاغلب .

سفوان : يعتقد أن سفوان من المياه المشتركة بين بني مازن من تميم وبني شيبان ، وتقع جنوب البصرة الحالية بحوالي ٦٣ كم بالقرب من جبل سنام ، وكانت به وقعة بين تميم وبكر . وقال الوداك بن تميل المازني متوعدا بني شيبان :

رويدا بني شيبان بعض وعيدكـم تلاقوا غدا خيلي على سفوان[٩٧]

وعلى سفوان أمر قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذو الجدين استعمله كسرى عليها[٩٨] . لاسباب سياسية ، كما سنوضح ذلك في فصل آخر ، وكان قيس حاكما بها في وقت قيام حرب ذي قار بين شيبان والفرس[٩٩] .

وذكر الجغرافيون العرب أسماء جبال ووديان على أنها مواضع لبني شيبان وهي : الطور البري في منطقة الجزيرة باتجاه خراسان ، ذكر الهمداني « جبل الطور البري هو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها لا يخالطهم الى ناحية خراسان الا الاكراد »[١٠٠] ومن جبالهم أيضا جبل الامرار[١٠١] ، ومن ودیانهم وادي الاشاقي[١٠٢] وكان في ديارهم[١٠٣] ، بالحيرة بالقرب من جبل الامرار[١٠٤] . وربما هذه الاماكن من سكناهم في الاسلام .

٩٦ــ **المصدر نفسه** ، جـ٤ ص١١٠٩ ــ ١١١٠ .
٩٧ــ البكري : جـ٣ ص٧٤٠ .
٩٨ــ ابو عبيدة : **النقائض** ، جـ٢ ص٦٤٠ ، ايضا الطبري **تاريخ** ، جـ٢ ص٢٠٧
٩٩ــ الطبري : **تاريخ** ، جـ٢ ص٢٠٧ .
١٠٠ــ الهمداني : ص٢٧٦ .
١٠١ــ البكري : جـ١ ص١٩٣ .
١٠٢ــ قيل ان الاشاقي واد في ديار قيس ، البكري : جـ١ ص١٩٣ .
١٠٣ــ البكري : جـ١ ص١٩٣ .
١٠٤ــ **المصدرنفسه** : جـ١ ص١٩٣ .

وكما تفرعت قبيلة بكر بن وائل الى عدة فروع تفرعت بنو شيبان الى فروع عدة أيضا . ابرزها بنو محلم ، وبنو الحارث وبنو أبي ربيعة ، وبنو مرة ، وانقسم بنو مرة الى بني الشقيقة وبني أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث بن همام وبني مرة بن همام بن مرة ، وبني ثعلبة بن شيبان[١٥٦] .

ونظرا لما يلعبه كل بطن من بطون شيبان من دور هام في التاريخ آثرنا دراسة كل بطن من بطون بني شيبان بصورة مستقلة موضحين أهمية كل بطن من خلال دراستنا الى أبرز الفعاليات والشخصيات المساهمة بها والتي تخص بحثنا[١٥٧] .

بنو محلم[١٥٨] .

وينسبون الى محلم بن ذهل بن شيبان[١٥٩] ، وتفرعوا الى عدة فروع عوف وعمرو وربيعة وابو ربيعة وثعلبة[١٦٠] . ومن رجالات هذا الفرع التي

حي من بكر وهما شيبانان احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، والاخر شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة » . . . ابن منظور **لسان العرب** « مادة شيب » والى شيبان هذا يرجع كل شيباني والى ذهل ابو شيبان بن ذهل بن ثعلبة يرجع كل ذهلي . انظر : النويري : **نهاية الارب** جـ٢ ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

١٥٦– المبرد : **نسب عدنان وقحطان** ص ١٥ – ١٦ ؛ وللايضاح انظر شجرة النسب الملحقة في نهاية بحثنا .

١٥٧– اثرنا الاشارة الى ابرز الشخصيات لكل بطن حتى الفترة العباسية لغرض التعريف بها لا غير .

١٥٨– المحلمي : منسوب الى محلم بن ذهل بن شيبان بن عكابة بن صعب ابن علي ابن بكر بن وائل .

انظر الحازمي : ص١١١ .

١٥٩– **المصدر نفسه** . ص ١١١ .

١٦٠– ابن الكلبي : **جمهرة النسب الكبير** الورقة – ٩ ، ١٠ ؛ انظر أيضا ابن حزم : ص ٣٠٢ ، ياقوت : **المقتضب في كتاب جمهرة النسب** ق١ الورقة ٥٣ .

العقيـــان وتاريخ ماردين تأليف عبد السلام الماردبني ، وقاموس الاعلام التركي .

١٠ ـــ كتابنا « اللؤلؤ المنثور » المطبوع سنة ١٩٤٣ .

١١ ـــ احاديث الشيوخ الصحيحة الثابتة في زماننا .

١٢ ـــ كتابنا التاريخ الكنسي الذي قطعنا اربعين عاماً واكثر في جمعه وتأليفه .

١٣ ـــ التاريخ الممتد الى سنة ٨٤٦م .

١٤ ـــ اخبار مستقاة من تاريخ ميخائيل الكبير .

١٥ ـــ اخبار مقتطفة من تاريخ الرهاوي المجهول .

١٦ ـــ اخبار من تاريخ ابن العبري .

١٧ ـــ احاديث القس اده السبريني .

١٨ ـــ الاخبار المفيدة التي جمعناها نحن من مخطوطات طورعبدين

الفصل الثاني

حدود الجبل ، وسكانه القدماء ، واسمه

طورعبدين ، منطقة (جبلية) تقع في ما بين النهرين في الشمال الشرقي لمدينة ماردين ، متوسط الارتفاع ، كثير القرى والمساكن ، والجانب المطل على المنطقة المعروفة قديماً بـ « باعربايا » او المنطقة العربية يعرف باسم « جبل ازلا » وقد سماه اليونان باسم « ماسيوس »

وفيه ناحيتان :

ان الجغرافيين العرب امثال ابي القاسم ابن خرداذبة سنة ٨٤٨م يقولون : ان منطقة بيث ريشا ، وبيث مخلّ (المحلمية) هي كورة في ديار ربيعة وابو القاسم ابن حوقل البغدادي الذي كان موجوداً سنة ٩٧٠م يقول : ان طورعبدين هو اكبر من جميع الرساتيق المحيطة بمدينة دارا[٢]، وياقوت الرومي المتوفى سنة ١٢٢٢م يقول : انه المنطقة المحاذية لمدينة نصيبين ، وفيه الجبل المطل عليها ، والمتصل بجبل جودي ، وهو عماد الكورة كلها[٣] .

وجبل طورعبدين يتوسط بين مدن، جزيرة ابن عمر، وماردين ونصيبين ، وامد (ديار بكر) وسعرت .

ان سكان هذا الجبل الاصليين هم من الآراميين ، لان القوم كانوا يسكنون جميع جبل «ماسيوس» والمعروف اليوم بجبل «قره جه طاغ» ، وقد حاربهم شلمناصر الاول ملك اثور (بين ١٢٧٦ ـ ١٢٥٦ق م) واحتلّ مدنهم، وهدم حصونهم، وكانوا قبائل وافخاذاً كثيرة ضاربة بين انهار دجلة والبليخ والفرات[٤] .

ويذكر في اخبار الملوك الاشوريين الواردة في الكتابات المسمارية المكتشفة في انقاض مدنهم ، ان ملك اشور المدعو هود ناواري (نيراري) الثاني ، والذي ملك سنة ٩١١ ومات سنة ٨٨٩ م ابن الملك اشوردان (٩٢٢ ـ ٩١٠ق م) حارب ارامي طورعبدين مرات كثيرة[٥] .

ديار بني ربيعة كما تسمى في التاريخ) . وفندقاً آخر كبيراً وواسعاً في قرية بيت بيشان وغير ذلك . هذه الاعمال الجليلة كلها قام بها ذوو الذكر العطر الوجيه توما واولاده .

الفصل الثالث والعشرون

المحلمية

المحلمية منطقة واسعة الى الجهة الجنوبية من طورعبدين . وكانت فيها اكثر من خمسمئة قرية ، والقرى المعروفة منها الى يومنا هذا ، وهي : استل ، كفرحور (كفرحورا)، دير اوسيبينا (دير زبينا) كفرعرق، كنديريب ، كفرشمع ، ابشاي ، شور صفح ، دير لدبب ، طافو (تفى) ، كفرعلاب ، نونب ، عينكاف ، كفرجوزا ، كفرجوسن (كفرجوسي)، كفرسلطا وغيرها ، ومعظم سكانها كانوا سرياناً . وكان يسكن معهم اكراد مسلمون . وكان في هذه القرى كنائس كثيرة ، ودير في قرية كفرشمع . وكبريات هذه القرى هي استل وشور صفح ودير اوسيبينا وابشاي وكفرحورا .

حوالي سنة ١٦٠٩ م (ويظن في سنة ١٥٨٣ م) كثرت المظالم والضيقات على المسيحيين من قبل الحكام الاتراك الظالمين ، اضطرت قبائل المحلمية، ومنها استل والراشدية والمكاشنية وصورا والاحمدي ورشمل وقبالا ولاشئية فاعتنقت الاسلام تخلصاً من الظلم .

الحياة الاجتماعية في مدينة ماردين

أولاً ـ سكان ماردين :

السكان في مدينة ماردين وأطرافها شأنهم شأن سكان سائر بلاد الجزيرة كالموصل وبلد وسنجار ونصيبين وغيرهم، كانوا وما زالوا يتكونون من الفئات الرئيسية الأربع : العرب، التركمان، الأكراد، السريان. ومن مجموعات أخرى قليلة العدد إذا قورنت بها. ونظراً لندرة المعلومات الخاصة بهذه المجموعات فإننا سنقصرّ البحث على الفئات الرئيسية فقط .

١ ـ العرب: علمنا فيما سبق أن مدينة ماردين هي في الجزيرة الفراتية، ومن مدن ديار ربيعة حيناً، ومن مدن ديار بكر أحياناً. وهذه الديار كانت قد وفدت إليها القبائل العربية، وتوطنت فيها قبل الإسلام وبعده لخصبها. ويقول ياقوت بهذا الشأن: « . . . وسميت ديار ربيعة لأنهم كلهم من ربيعة، وهذا الإسم لهذه البلاد قديم، كانت العرب تحله قبل الإسلام في بواديه . . . »[١] .

« . . . وديار بكر، وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنها حصن كيفا وآمد وميافارقين. . . وربما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ربيعة فإنهم كلهم ربيعة . . . »[٢] .

ومن القبائل العربية المشهورة التي كانت قد سكنت تلك الجهات ومن ضمنها ماردين نذكر تلك التي وافتنا بها أخبار الحروب أو الأيام التي كانت قد دارت بينها،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٢ : ٤٩٤ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥ : ٤٣٥ .

(٢) م.ن . ٢ : ٤٩٤ .

أو التي وافتنا بها كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى وأكدتها كتب ومؤلفات الحداث منهم. ومنها قبائل: تغلب، بكر بن وائل، قيس، سليم، ذكوان، قشير، نمير، كليب، عقيل، شيبان، تميم، عامر، عمرو، طي وغيرها[١]. وكان لكثرة هذه القبائل وقوتها، وانتشار الدين الإسلامي واللغة العربية بين أفرادها، أن استطاعت أن تغلب على بقية الأجناس المتواجدة في تلك المنطقة الجزيرية العامرة.

٢ ـ التركمان: والتركمان هم في الأصل صنف من الترك، خرجوا في القديم من مساكنهم في تركستان إلى خراسان وأذربيجان، ثم تفرقوا من هناك في البلاد. وهم أصحاب خيام ومواش يرتحلون تارة إلى المصيف وأخرى إلى المشتى. وقد اندمج فيهم كثير من طوائف الغز (الترك) فأطلق عليهم لفظ تركمان (ترك مان). وهؤلاء هم قبائل شتى، ولكل منها عشائر وبطون وأفخاذ لا تحصى، ولكل واحدة منها اسم مخصوص متعارف فيما بينهم[٢].

---

(١) الأخطل، ديوانه، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ البحتري، ديوانه، ١: ٦٠ (تحقيق عطية).
ـ الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ابن منقذ، المنازل والديار، ١: ٧١.
ـ البكري الأندلسي، معجم ما استعجم...، ٢: ٤٨٢ ـ ياقوت، معجم البلدان، ٣: ٢٦٢.
ـ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ابن خلدون، تاريخه، ٢: ٣: ٦٢١ ـ ٦٢٣.
ـ إسحاق أرملة السرياني، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، مجلة المشرق ١٥: ١٤٧ سنة ١٩١٢.
ـ السامرائي، البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل، ص ١٢٣ و ٢٠١:
ـ ومن القبائل الأخرى التي استوطنت ماردين كانت: قبائل زوبع. هذه القبائل اشتهرت بالغزو إلى أن تداخل أفرادها مع الزمن مع غيرهم من أفراد القبائل الأخرى، حيث ركنوا إلى الزراعة، وكان تجوال هذه القبيلة ما بين ماردين وبغداد. ثم أقامت في تلك النواحي محافظة على لغتها البدوية وعلى الكثير من عاداتها. «العزاوي، عشائر العراق القديمة ـ البدوية الحاضرة، ١: ٢٠٣».
ـ قبيلة بني سبعة: وهي فرع من طي. ولكن بعض بيوتها تدعي أنها من السادة، ومن فرقها: البوخضر، ومنازلها الآن ما بين نصيبين وماردين، وهي على درجة من السعة والغنى... «العزاوي، عشائر العراق القديمة...، ٣: ٢٦٣».

(٢) القرماني، أخبار الدول...، ص ٣٣٦ ـ شاكر الضابط، موجز تاريخ التركمان في العراق، ١: ٣٠.

بواديها منذ ذلك التاريخ. واندمجت مع سكانها الاصليين، وتولت وإياهم تعمير تلك النواحي. والذي نؤكده هنا ثانية، هو أن كلاً من الفرس والرومان كان قد عمل على احتواء تلك القبائل وجرها لسلطانه، ومن ثم فقد قسموا ديارها إلى إمارات أو ممالك، جعلوا على كل منها حاكماً يدين لهم بالطاعة والولاء. وأخضعوه لسلطة الحاكم العام إما الفارسي (المرزبان) الذي كان مقره في نصيبين عاصمة منطقة باعربايا[1]، وإما الروماني، والذي نرجحه هو ان حكام منطقة ماردين تبعوا لسلطة الحاكمين بالتناوب تبعاً للظروف والمواقع.

قلت فيما سبق أن الاتفاقات والمعاهدات التي كانت تبرم بين الدولتين الأعظم، فارس وروما، لم تكن في الواقع اتفاقات أبدية مقدسة، وان الالغاء أو الانتهاك كان السمة الغالبة عليها في كل زمان ومكان. فكثيراً ما كان يحلو لقادة الدولتين من أن يعبث كل منهم بممتلكات الآخر ويستولي على بعض من أجزائها ضارباً عرض الحائط فيما أخذ على نفسه من عهد، وماردين وديارها كانت ـ وكما ورد ـ من المناطق التي أصابها الأخذ والرد نتيجة لتلك التصرفات. والذي يهمنا من هذا كله هو معرفة أي من الدولتين الكبيرتين كانت صاحبة السيادة عليها عشية تحرك الجيوش الاسلامية لفتح العراق واقليم الجزيرة. وهذا ما سنوضحه في الفقرة التالية.

---

(١) باعربايا أو بيت عرباي. هي لفظة أطلقها السريان على المنطقة الممتدة بين بيت بازبدى (قرب جزيرة ابن عمر)، وإلى بلد ونصيبين من ـ من ضمنها بلاد ماردين: انظر خارطة الاصطخري المرفقة في آخر البحث ـ، ومعناها موطن العرب أو بلد العرب، أي ان سكانها كانوا عرباً، والمسماة بديار ربيعة، ولهذا أطلقت على هذه الديار تسمية باعربايا، « ادي شير، تاريخ كلدو وآثور، توطئة الجزء الثاني».
ـ المرجي، توما، كتاب الرؤساء، هامش ص ٦١ ـ بابو اسحاق، مدارس العراق قبل الإسلام، هامش ص ٢٦». والمرزبان هو الرئيس من الفرس، بضم الزاء، والجمع المرازبة، والمرازب، أعجمي معرب، تكلمت به العرب، وتفسيره بالعربية حافظ الحد « الجواليقي، أبو منصور موهوب، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص ٣١٧ ».

الزمن ، وتقاصر مواطنهم عن كفايتهم ، وبسبب ما فطروا عليه من حب الغزات واستباحة حمى المعمور . وذكروا أن قضاعة أول من قدم الشام من قبائل العرب ، فصارت إلى ملوك الروم ، فملكوهم على من في بلاد الشام من العرب ، فكان أول الملك لتنوخ بن مالك بن فهم ، ثم وردت الضجاعم وهم فخذ من سليح ، وسليح بطن من قضاعة ، فتغلبت على تنوخ ، وقامت مقامها في السيادة على بلاد الشام وأعرابها ، حتى جاء الغساسنة من اليمن في أواخر القرن الرابع الميلادي ، وقد يكون انهيار سد مأرب من جملة أسباب مجيئهم ، واستظهروا على الضجاعم ، وعظم شأنهم ، وحالفوا الرومان ، وصاروا عمالهم على إخوانهم عرب الشام وخفراءهم على الحدود الغربية تجاه الفرس ، كما كان اللخميون المناذرة حلفاء الفرس وعمالهم على عرب العراق وخفراءهم تجاه الرومان ولقبوهم بلقب فيلارك أو أمير أو ملك ، وكان بعض العرب قبل مجيء الغساسنة يتقدم في خدمة الرومان ومناصبهم ، حتى أن أحدهم وهو فيلبوس العربي من : أبناء بصرى في حوران صار قيصراً وملك على رومية من سنة ٢٢٤ إلى سنة ٢٤٩ م ، وكانت أيامه محمودة في عمران المملكة الرومانية ورغدها ، وسارت هذه القبائل العربية على دين ملوكها فتنصرت وشيدت في أنحاء حوران والصفا واللجا والبلقاء كثيراً من الأديرة والكنائس ، لا تزال آثارها ماثلة ، وكانت لغة النبطيين والتدمريين الآرامية ، وما بقي من القبائل كانوا يتكلمون لغة عربية ، ولكنها بعيدة نوعاً ما عن لغة القرآن القرشية لكثرة ما كان فيها من المفردات والتعابير الآرامية .

وضاقت فيما يبدو وقتئذ بادية الشام بهذه القبائل العربية ، فانساح قسم منها قبل الإسلام بقرن أو قرنين إلى براري الجزيرة الفراتية ، ذات الخصب الكثير والخير الوافر ، وانتشروا فيها واستقروا على نحو ما عملته قبائل بكر وربيعة ومضر وأنمار وإياد وشيبان وتغلب ، وكلهم من أعقاب نزار بن معد بن عدنان ، فاحتل بنو بكر شمالها ، ومن ذلك اسم (ديار بكر) للبلاد التي نزلوها وكانت (آمد) حاضرتها فسميت باسمهم إلى أن قلب الترك أخيراً اسمها إلى ديار باقر أي (ديار النحاس) محواً لصبغتها العربية ، فكان في الجزيرة ديار بكر التي قال عنها ياقوت في معجمه « هي بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ... بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد وميارفارقين » . وقال عن ديار

ربيعة » ديار ربيعة بين الموصل إلى رأس عين ودنيسر والخابور جميعه ، وما بين ذلك من المدن والقرى ، وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة ، وسميت كلها ربيعة ، فإنهم كلهم ربيعة ، وهذا اسم لهذه البلاد قديم كانت العرب تحله قبل الإسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكل » . وقال عن ديار مضر « ديار مضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقي الفرات ، نحو حران والرقة وشميشاط وسروج وتل موزن » . قلت : يظهر من هذا التعريف : أن القسم الغربي من الجزيرة الواقع ما بين الخابور والفرات وفيه في يومنا قضاءا الرقة وعين العرب كان من ديار مضر وحاضرتها الرقة ، والقسم الأوسط الواقع ما بين الدجلة والخابور وفيه قضاءا القامشلية والحسكة وجبل سنجار كان من ديار ربيعة وحاضرتها الموصل ، والقسم الشمالي الذي فيه جزيرة ابن عمر وميا فارقين مما ظل داخل حدود الترك كان من ديار بكر وحاضرتها آمد ، وفي هذه الجزيرة حدثت الوقائع بين قبائل ربيعة وأهمها بين بكر وتغلب ، وهي حرب البسوس بين كليب وجساس . وهي مشهورة ومذكورة في كتب التاريخ والأدب دامت وقتئذ بينهما أربعين سنة ، مات في أثنائها الشيوخ وشاخ الشبان ،وشب الولدان ، وولدت طبقة من الناس لم تكن بالحسبان . وكان الحرب سجالاً إلى أن تصالحا لآخر مرة على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر اللخميين ، وجرت واقعة بين شيبان وتغلب بقرب الفرات ، فاز فيها بنو شيبان ، ومن قبيلة تغلب هذه نشأ الشاعر المشهور عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ، عقيد قبيلته وزعيمها ، وقاتل عمرو بن هند المذكور في داره ، وكان ذلك في أواخر القرن السادس الميلادي ، وهو صاحب المعلقة التي مطلعها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

مما يدل على أن الأندرين الشاخصة بأطلالها وآثارها[1] حتى الآن في براري حلب الجنوبية كانت عامرة في عهده ، وتنتج خموراً جيدة ، وأن تغلب كانت توافيها وتمتار الخمرة منها ، وكانت النصرانية شائعة فيهم قبل الإسلام لمجاورتهم الروم . وقد أبلوا بلاءً حسناً مع المسلمين في فتح العراق قبل أن يفتح المسلمون الجزيرة .

---

(١) راجع وصفها في كتابنا (جولة أثرية في بعض البلاد الشامية) ص ٣٠٦ ــ ٣١١ .

عسى أن نرى ، والله ما شاء فاعلٌ ،
بأكثبة الدهنا من الحيّ باديا

وإن حال عرض الرمل والبعد دونهم ،
فقد يطلب الإنسانُ ما ليس رائيا

يرى الله أن القلب أضحى ضميره
لما قابل الروحاء والعرج قاليا

دُهْنَّا : بضم أوله وثانيه ، وتشديد نونه ، مقصور : ناحية من السواد قرب المدائن .

دهشتخيرجان : مدينة كبيرة بأذربيجان ، بينها وبين تبريز يومان وبينها وبين مراغة يومان، وبعضهم يسميها خرّقان ، والذي ترجم هنا معناه قرية النخيرجان ، والنخيرجان كان خازن كسرى ، وهذه البلدة مضافة إليه .

الدُّهَيْمُ : تصغير ترخيم أدهم : أظنه موضعاً كان فيه يوم للعرب .

باب الدال والياء وما يليهما

ديارُ بكرٍ : هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وحدّها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطلّ على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد وميّافارقين ، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل ، وقال أبو الفرج عبد الواحد بن محمد المخزومي الببّغاء يمدح سيف الدولة في ضمن رسالة ، وكان سيف الدولة قد انصرف من بعض غزواته إليها ، فقال :

وكيف يقهر من لله ينصر من
دون الورى ، ويعزّ الله يعتصمُ

إن سار سار لواء الحمد يقدمه ،
أو حلّ حلّ به الإقبال والكرم

يلقى العدى بجيوش لا يقاومها
كثرُ العساكر ، إلّا أنها هممُ

لما سقى البيضَ ريّاً ، وهي ظامئةٌ
من الدماء ، وحكّمُ الموت يحتكم

سقت سحائبُ كفّيه بصيّبها
ديارَ بكرٍ ، فهانت عندها الدّيَمُ

ينسب إليها من المحدثين عمر بن علي بن الحسن الدياربكري ، سمع الجبّاني بحلب .

ديارُ رَبيعةَ : بين الموصل إلى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرى ، وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة ، وهذا اسم لهذه البلاد قديم ، كانت العرب تحلّه قبل الإسلام في بواديه ، واسم الجزيرة يشمل الكلّ .

ديار مُضَرَ : ومُضَر ، بالضاد المعجمة : وهي ما كان في السهل بقرب من شرقي الفرات نحو حرّان والرقة وشمشاط وسروج وتلّ موزن .

دِباقُ : بكسر أوله ، وآخره قاف ؛ قال ابن حبيب : دباق من قرى الشام ، وقيل : من قرى الجزيرة ، وأهلها نبطُ الشام، تنسب إليها الإبل والسيوف، وإذا عرضوا برجل أنه نبطيّ نسبوه إليها ؛ قال الفرزدق :

ولكن دِباقيٌّ ، أبوه وأمهُ
بحوران يعصرن السليطَ أقاربُهْ

وقال الأخطلُ :

كأنّ بنات الماء ، في صَرَخاته ،
أباريقُ أهدتها دِباقُ بصرخدا

فأرسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث: إما أن يعطوا بأيديهم، وإما أن يتركوا ديارهم، وإما أن يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي، فأشار بالحرب فآذنوا الملك بالحرب. فأرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش، ومعه مرازبة الفرس والهامرز التستري وغيره من العرب تغلب وأياد، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذى الجدين وكان على طف سفوان فأرسل الفيول — وكان قد بعث النبي ﷺ — فقسم هانئ بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بنى شيبان قال هانئ بن مسعود[1] يامعشر بكر لاطاقة لكم فى قتال كسرى فاركبوا الى الفلاة فسارع الناس الى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال ياهانئ أردت نجاتنا فالقيتنا فى الملكة، ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهى الحزم للرحال فسمي مقطع الوضن، وضرب على نفسه قبة، وأقسم ان لايفر حتى تفر القبة فرجع الناس[2] واستقوا ماء لنصف شهر فأتتهم العجم فقاتلهم بالجنود، فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبلت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول:

ان يظفروا[3] يحرزوا فينا الغرل ◦ إيها فداء لكم بنى عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم[4] ومالت العجم الى بطحاء ذى قار خوفا من العطش، فأرسلت

---

(١) فى بعض الروايات ان هانئ بن مسعود لم يكن موجودا والذى تولى ذلك قبيصة بن هانئ بن مسعود

(٢) وانشدهم رجزا يحمسهم فيه ثم قال أيضا

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا ◦ أجدر يوم ان تفلوا الفرسا ◦ الادارة

(٣) فى بعض الروايات (ان تهزموا يحرزوا فينا القلف) وهو المستقيم لفظا والمعنى على ان المصراع الثانى لايلتئم مع الاول (٤) نقل ابن عبد ربه فى العقد الفريد قال قال أبو عبيدة سئل أبو عمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلي ويشكري فزعم العجلي انه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبان وعجل وقال اليشكري بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم فقال أبو عمرو قد فصل بينكما التغلبي حيث يقول

ولقد رأيت أخاك عمرا مرة	يقضي وشيبته بذات المجرم
فى غمرة الموت التى لاتشتكى	غمراتها الابطال غير تغمغم
وكأنما أقدامهم وأكفهم	سرب تساقط فى خليج مفعم
لما سمعت دعاء مرة قد علا	وابنى ربيعة فى الغبار الاقتم
ومحلم يمشون تحت لوائهم	والموت تحت لواء آل محلم
لايصرفون عن الوغى بوجوههم	فى كل سابغة كلون العظلم

﴿ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند ﴾

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند، فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام أنوشروان ثمانية أشهر، وفي أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة اشهر، ثم ولى بعد قابوس السهراب . ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين . ثم ولى بعده النعمان بن المنذر ابو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك فى زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر، وفى زمان ابنه أبرويز أربع عشرة سنة، وأربعة أشهر . ثم ولى إياس بن قبيصة الطائى ومعه النخير خان، فى زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر من ولاية اياس بعث النبي ﷺ . ثم ولى أزاد به بن مايان الهمذانى سبع عشرة سنة من ذلك فى زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر، وفى زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر . وفى زمن أردشير ابن شيرويه سنة وسبعة أشهر، وفى زمن رانذخت ابنة كسرى شهرا . ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذى تسميه العرب المغرور الذى قتل بالبحرين يوم

قالوا البقية والهندى يحصدهم	ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل معد كان شاركنا	فى يوم ذى قار ما اخطاهم الشرف
لما امالوا الى النشاب أيديهم	ملنا ببيض لثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت	حتى تولت وكاد القوم ينصف
بطارق وبنى ملك مرازبة	من الاعاجم فى آذانها النطف
من كل مرجانة فى البحر احرزها	تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل فى حافات جمعهم	والبيض برق بدا فى عارض يكف
ما فى الخدود صدود عن سيوفهم	ولا عن الطعن فى اللبات منحرف

وان يكن الأعشى مدح بنى بكر قومه، ولكن الحرب كانت تدور على بنى شيبان وقيس الحرب منهم هانى* كما فى العقد الفريد وحنظلة صاحب الرأى، وقد أكثر الشعراء فى مدحهم منهم بكير أصم بنى الحارث الذين عدد الفرس الحاريين فى قوله

ان كنت ساقية المدامة اهلها	فاسقى على كرم بنى همام
وأبا ربيعة كلها ومحلها	سبقا بغاية امجد الأيام
ضربوا بنى الأحرار يوم لقوهم	بالمشرفى على مقيل الهام
عربا ثلاثة آلف وكتيبة	الفين أعجم من بنى الفدام
شد ابن قيس شدة ذهبت له	ذكراً له فى معرق وشآم
عمرو وما عمرو بفحم داله	فيها ولا غمر ولا بغلام

الادارة

١٨٤

وقال *:

١ ـ لُجيمُ بنُ صَعبٍ لم تَنَلْها عَداوتي
وما نَبَحَتْ آلَ الحَصيبِ كِلابي (١)

« الحَصيب » : عامرٌ ، أحدُ بني أبي ربيعةَ ، من(٢) ذهلِ بن شيبان ، سُمِّيَ الحَصيب لسخائه .

٢ ـ أُولئكَ قومٌ ، يَرفعُونَ مَحلَّهُم
٢٤٤ إلى نَجَواتٍ ، أشرَفَتْ ، ورَوابي (٣)

٣ ـ ولكنَّما هاجَ الَّذي كانَ بَيْنَنا
سَدُوسٌ ، وما عِيدانُها بِصِلابِ (٤)

---

* انظر التكملة ص ٥٦ .

(١) لجيم بن صعب : قبيلة من بكر بن وائل .

(٢) في الأصل : « بن » . وأبو ربيعة هو ابن عم بن ذهل .

(٣) النجوات : جمع نجوة ، وهي ما ارتفع من الأرض . وأشرفت : علت وارتفعت .

(٤) سدوس : قبيلة من بكر ، وهي سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

وقد ذكر الأعشى هذه الحادثة ، فقال :

كنْ كالسموأل إذ طاف الهُمام به   في جَحفَلٍ كسَوادِ الليلِ جرّارِ
إذ سامه خُطّتَيْ خَسْفٍ فقال له :   قلْ ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ
فقال : غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما   فاخترْ فما فيهما حظٌّ لِمُختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمّ قال له :   اقتلْ أسيرَك إنّي مانعٌ جارِي

وهي أكثر من هذا .

يوم خَزاز

وكان من حديثه أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَر وربيعة وقُضاعة ، فوفد عليه وفدٌ من وجوه بني معدّ ، منهم : سدوس بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة ، وعَوف بن مُحَلِّم بن ذُهل بن شيبان ، وعوف ابن[1] عمرو بن جُشَم[2] بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضَّحيان[3] ، وجُشَم بن ذُهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضَّحيان[3] ، فلقيهم رجل من بهراء يقال له عُبَيْد بن قُراد[4] ، وكان في الأسارى ، وكان شاعراً ، فسألهم أن يُدخلوه في عدّة من يسألون فيه ، فكلّموا الملك فيه وفي الأسارى ، فوهبهم لهم ، فقال عُبَيْد بن قُراد[4] البهراويّ :

نفسي الفداءُ لعَوفِ الفعالِ   وعوفٍ ولابنِ هلالٍ جُشَمْ

---

1) R. add. ومخزوم .   2) B. et R. خيثم .   3) R. الصهبان .
4) B. مراد .

عالى لا تلد من عاليه * ان الذى اهلكت من ماليه
ان ابن اسماء لكم ضامن * حتي يؤدى أنس ناويه
لا أفصد الناقة فى أنفها * لكننى أوجرها العاليه
إني عن الفصد لفى مفخر * يكره منى المفصد الآليه
والخيل إن شمص[١] فرسانها * تذكر عند الموت أمثاليه

وقال رميض العنزى يفتخر :

نحن أسرنا حاتما وابن ظالم فكل ثوى فى قيدنا وهو يخشع
وكعب اياد قد أسرنا وبعده أسرنا أباحسان والخيل تطمع
وريان غادرنا بوج كأنه وأشياعه فيها صريم مصرع

وقال يحي بن منصور الذهلي : قصيدة يفتخر بايام قومه وهي طويلة ، وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل وأولها :

أمن عرفان منزلة ودار تعاورها البوارح والسوارى

وقال أبو عبيدة : جاء الاسلام وليس فى العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حليفاً من شيبان كانت عبنة من لخم فى الأحلاف ، وكانت در مكة بن كندة فى بنى هند وكانت عكرمة من طيء ، وحوتكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء فى بنى الحرث بن همام ، وكانت عائذة من قريش ، وضبة وحواس من كندة هؤلاء فى بنى أبي ربيعة ، وكانت سليمة من بنى عبد القيس فى بنى أسعد بن همام ، وكانت وثيلة من ثعلبة ، وبنو خيبرى من طيء فى بنى تيم بن شيبان ، وكانت عوف بن حارث من كندة فى بني محلم ، كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت ه

﴿ يوم مُسحلان ﴾

قال أبو عبيدة : غزا ربيعة بن زياد الكلبي فى جيش من قومه فلق جيشاً لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالا شديدا ، فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وذلك يوم مسحلان ، وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم ، وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبدالله بن قيس الحلبوه وقيل : كان رئيسهم زياد بن مرثد من بنى أبي ربيعة فقال شاعرهم :

(١) اى طرد ولحق ه

١٦٧

وقال أيضاً * :

١ ـ أفي كُلِّ عامٍ ، لايَزالُ لِعامرٍ
علَى الفِزْرِ نَهْبٌ ، مِن أرُوشٍ ، مُزَنَّمِ؟(١)

« عامر » من بني أبي ربيعةَ ، من(٢) ذُهل بن شيبانَ . و « الفِزْرُ » : ابن شَريكٍ (٣) أخو الحَوفَزان . و « الأُروش » : دُونَ الدِّيَاتِ مِن جراحاتٍ ، وما أشبهها .

٢ ـ لَعمرُكَ ، ماأدري ، وإنّي لَسائلٌ :
أمُرَّةُ ، أم أعمامُ مُرَّةَ ، أظلَمُ ؟

« مرّة » : ابن ذهل بن شيبان .

٣ ـ فما لِلسَّمينِ ، لا يَقُومُ خَطِيبُها
وما لابنِ ذِي الجَدَّينِ ، لايَتَكلَّمُ ؟

« السَّمين » : من بني أسعد بن همّام بن مرّة . و « ذو الجدّين » :

---

* انظر ب ص ١٠٥ و ١٧٢ ورقم ٩٦ .

(١) في الأصل : « مزنم » . والتصويب من ب . والزنم من الابل: الذي شقت أذنه طولاً ، وتركت تنوس .

(٢) في الأصل : « بن » . وأبو ربيعة هو محلم بن ذهل .

(٣) كذا في الأصل و ب ، وفسره في رقم ٩٦ بأنه سعد بن زيدمناة بن تميم.

« الحزّان » : جماعة حَزِز [1] وأحِزّة . و « الهَجْل » : ماانخفض من الأرض ،وَغَمُضَ ،واتسَعَ .

٢ ـ مَنازِلُ ، أقْفَرَتْ مِن أمِّ عَمْرٍو
يَظَلُّ سَرابُها ، فيها ، يَجُولُ

٣ ـ شآمِيَةٌ المَحَلِّ ، وقد أراها
تَعُومُ ، لَها بِذي خِيَمٍ ، حُمُولُ

« تعوم » : تمرّ كعوم السُّفن . و « ذو خيم » : موضع . و « حمول » النساء : مراكبها .

٤ ـ ولو تأتي الفَراشةَ ، والحُبَيّا ،
إذاً ، كادَتْ تُكَلِّمُكَ الطُّلُولُ [2]

٥ ـ عنِ العَهْدِ القَديمِ ، وما عَفاها
بَوارِحُ يَخْتَلِفْنَ ، ولا سُيُولُ [3]

٦ ـ ألا ، أبلغْ بَني شَيبانَ عَنّي
فَما بَيني ، وبَينَكُمُ ، ذُحُولُ [4]

---

(١) الحزِز : ماغلظ من الأرض وارتفع .

(٢) الفراشة والحبيا : موضعان .

(٣) عفاها : درسها ومحاها . والبوارح : جمع بارحة ،وهي الريح الشديدة . ويختلفن : يترددن ،أي : تذهب هذه وتجيء هذه .

(٤) الذحول : جمع ذحل وهو الحقد والبغضاء .

٨٠

وقال أيضاً * :

١ ـ أيُوعِدُني بَكرٌ ، ويَنْفُضُ عُرْفَهُ ؟

فقُلتُ لِبَكْرٍ : إنَّما أنتَ حالِمُ !

يقول : كما تَنْفُضُ الحُبارَى (١) عُرْفَها للصَّقر ، تُوعِدُهُ ولا يدَ

١٨١ لها به . /

٢ ـ ستَمْنَعُني مِنكم رِماحٌ ، ثَرِيَّةٌ

وغَلْصَمَةٌ ، تَزْوَرُّ عَنها الغَلاصِمُ (٢)

« الثرية » : الكثيرة .

٣ ـ فما لِبَني شَيبانَ ، عِندي ، ظُلامةٌ

ولا بِدَمٍ تَسْعَى ، عليَّ ، الحَنائمُ

بنو حَنْتَمٍ (٣) من بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة .

٤ ـ غِضابٌ ، كأنّي في بَياضِ أكُفِّهِمْ

ألا ، رُبَّما لم تَستَطِعْني اللَّهازِمُ (٤)

---

* انظر ب ص ٩٣ واليزيدي ص ٢٨٣ .

(١) في الأصل : « الحباري » . والتصويب من ب .

(٢) الغلصمة : الجماعة والعدد .

(٣) في الأصل : « جشم » . والتصويب من ب .

(٤) في الأصل : « غضابي » . والتصويب من ب .

٩ ـ فلا تُوعِدُونا باللِّقاء ، وأبرُزُوا
إلينا سَواداً ، نَلْقَهُ بِسَوادِ (١)

١٠ ـ فقدعَرَكَتْ شَيبانُ مِنّا بِكَلْكَلٍ
وعَيَّلْنَ تَيْمَ اللاّتِ ، رَهْطَ زِيادِ (٢)

« تيم اللات » : ابن ثعلبة بن عكابة . و « زياد » : ابن خَصَفَة ، صاحبُ عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام .

١١ ـ ولو لم يَعُذْ بالسِّلْمِ مِنهنَّ هانئٌ
لَعَفَّرْنَ خَدَّيْ هانئٍ ، بِرَمادِ

« هانئ » : ابن قبيصة ، أحدُ بني ربيعةَ بن ذُهل بن شيبان .

١٢ ـ وظَلَّ الحُراقُ ، وهْوَ يَحرُقُ نابَهُ
لِما قد رأى ، مِن قُوَّةٍ ، وعَتادِ (٣)

« الحُراق » : رجل من بكر بن وائل .

١٣ ـ هَديرَ المُعَنّى أَلْقَحَ الشَّوْلَ غَيْرُهُ
فظَلَّ يُلَوّي رأسَهُ ، بِقَتادِ (٤)

---

(١) في الأصل : « فلا توعدَنّا » . وفي الحاشية ما أثبتنا . والسواد : العدد الكثير .

(٢) عركت : سحقت . والكلكل : الصدر . وعيلنهم : تركنهم عيالاً .

(٣) يحرق نابه أي : يحك أحد نابيه بالآخر . وذلك كناية عن الغيظ .

(٤) الشول : جمع شائلة ، وهي الناقة نقصت ألبانها ، فشالت ضروعها . و « غير » فاعل ألقح ، وبناه على الفتح لأنه مضاف إلى مبني . والقتاد : شجر ضخام له شوك .

١٨٣ *

وقال أيضاً :

١ - ياعامِرُ بنَ عُمَيرٍ ، أنتَ مِدْرَهُنا
بالثَّلِّ ، يَومَ تلاقَتْ أوجُهُ العَرَبِ [1]

٢ - يارُبَّ داعٍ ، دَعا ، والموتُ يَكرُبُهُ
حتَّى تَناوَلَهُ ، مِن عامِرٍ ، سَبَبُ [2]

---

* انظر التكملة ص ٥٦ .

(١) عامر بن عمير : من بني أبي ربيعة ، من ذهل بن شيبان . والمدره : السيد الدافع عن القوم .

(٢) يكربه : يشتد عليه .

العراق والجزيرة وعلى طول نهر الفرات ، حتى أن اعتداءاتهم بلغت الحرمين الشريفين مكة والمدينة . ومنذ سنة ٩٠٠ م/٢٨٧ هـ بدأت غارات القرامطة على البصرة وسائر أعمال الجزيرة. وقصد أبو سعيد القرمطي البصرة بنفسه وكبسها وأتى من أعمال السلب والنهب فيها، وكذلك قام ولده أبو طاهر سليمان في سنة ٩٢٨ م/٣١٦ هـ بغارات على الأنبار، ثم الرحبة . وقيل أنه ملكها واستباحها . وكان للمذابح التي أحدثها بالغ الأثر في تخويف أهالي المناطق المجاورة الأمر الذي اضطرهم الى طلب الأمان ، كأهل قرقيسياء مثلاً . وذكر أنه لما وصل الى الرقة استباحها وأقام بها ، ومنها بث سراياه في اتجاه الشرق والشمال ، إلى أطراف كفرتوثا ونصيبين ورأس عين وماردين وبلد وسواها . وقيل أنه دخل بنفسه الى سنجار وفتك بسكانها . كما أمعن رجاله في السلب والنهب الى أن طلب من بقي من أهل تلك الأصقاع الأمان فأجابهم اليه[1] . وتعددت بعد ذلك غارات القرامطة على تلك الديار كافة . كما أنه كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى ، وثوراتهم وغاراتهم المتواصلة على مناطق واسعة من أرض الجزيرة اثره السيء على تلك الجهات ، ولا بد أن يكون قد نال بلاد ماردين بعض مما اقترفوه من أعمال سيئة لوقوعها في مجال تحركاتهم . والواقع أن سياسة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للعباسيين حيناً ، والانتفاضة عليهم أحياناً ، وذلك حسبما كانت تستوجب ظروفهم المعيشية وحياتهم الخاصة . فنراهم يساندون جيش الخلافة من جهة كما فعل يزيد بن مزيد الشيباني في اخماد ثورة الوليد بن طريف الخارجي[2]، وينضمون الى الثائرين عليه من جهة ثانية ، كما فعلوا عندما أيدوا الخارجي هارون الشاري في ثورته ، وحاربوا الى جانبه وجانب حلفائه من الإعراب الآخرين والأكراد[3] . ولشدة ما اقترفه هؤلاء من مآسٍ وخراب في طول الجزيرة وعرضها

(١) ابن الأثير، الكامل ، ٨ : ١٨١ ـ ١٨٢ . وكتب ابن خلدون بهذا الخصوص فقال : « . . . وسار أبو طاهر القرمطي الى الرقة فقاتلها ثلاثاً ، وبعث بعد ذلك سراياه الى رأس عين وكفرتوثا ونصيبين . . . وسنجار فاستأمنوا اليهم . . . » تاريخه ، ٣ : ٤ : ٧٩٣ ـ ٧٩٤ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ٢ : ٧١٨ ـ ٧٢٢ ـ ابن الأثير، الكامل ، ٦ : ١٤١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ : ٣٨ ـ ابن الأثير، الكامل ، ٧ : ٤٦٦ .

حيث شاءوا من البلاد ولا يتبعوا ، وأرسل ابن عمر الى عمر بن الغضبان
ابن القبعثرى يأمره بنزول القصر وإخراج ابن معاوية فأرسل اليه عمر بن
الغضبان فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل
السواد وأهل الكوفة ، فسارت بهم رسل عمر حتى أخرجوهم من الجسر
ونزل عمر القصر ، ثم بعث ابن عمر اسماعيل بن عبد الله أميرا .   ٥

وفي هذه السنة وهي سنة سبع وعشرين ومائة .

• مات سعيد بن بَحْدَل الخارجي .

فحدثني اسماعيل بن ابراهيم أن سعيد بن بَحْدَل لما حضرته الوفاة
بشَهْرَزُور اجتمع اليه قواده فدعاهم أن يستخلف عليهم رجلا منهم
فجعلوا ذلك اليه ، فقال لنا : اختاروا منكم عشرة ، فأخرج منهم   ١٠
عشرة ثم صيرهم الى أربعة ، ثم قال للأربعة : اختاروا . فاختاروا الضحاك
ابن قيس المُحلمي ، وشيبان بن عبد العزيز اليشكري . فقال لهما سعيد :
اختارا للمسلمين ولأنفسكما ، فقال شيبان : فاني أختار لنفسي وللعامة
الضحاك ، وقال الضحاك : أختار لنفسي وللعامة شيبان ، فأبى شيبان
إلا الضحاك ، ورضي بذلك أصحابها فبايعوا الضحاك ، فقال الضحاك بيتا :   ١٥

لأُوردَنَّ رجالاً إن ملكتهمُ   طعناً يثج كأفواه المثاعيبِ

قال اسماعيل بن ابراهيم : حدثني الوليد بن سعيد الشيباني : أن
سعيد بن بَحْدَل جعلها شورى بين ستة منهم الضحاك ، والخيبري ،
وشيبان ، وعُبيدة بن سَوّار التغلبي ، وكان غائباً بأذربيجان فبايعوا
الضحاك ، ثم قدم عُبيدة فأبى أن يرضى بالضحاك ، فقالوا له : لتدخلن   ٢٠

١٥ ـ تَرَبَّعْنا الجَزيرةَ بَعْدَ قَيْسٍ
فأضحَتْ ، وَهْيَ مِنْ قَيْسٍ قِفارُ [١]

١٦ ـ يُزَجُّونَ الحَميرَ ، بأرضِ نَجْدٍ
وما لَهُمُ ، مِنَ الأمرِ ، الخِيارُ [٢]

١٧ ـ رأوا ثَغْراً ، تُحيطُ بهِ المَنايا
وأكْبَدَ ، ما تُغَيِّرُهُ الغِيارُ [٣]

غيّر [٤] الدهر . ويروى: « رأوا حِصْناً » و« الحِصْنُ » : الضخم . وإنما أراد جبلاً ، وحصنهم السيوف .

١٨ ـ تُسامي ماردُونَ بهِ الثُرَيّا
فأيدي النّاسِ ، دُونَهُما ، قِصارُ

« ماردون » : مدينة كفرتوثي [٥] .

---

(١) تربعنا الجزيرة : نزلنا فيها وأقمنا .

(٢) يزجون : يسوقون على خوف .

(٣) الثغر : الموضع المخوف من العدو . والأكبد : الحصن الضخم يدرك كبد السماء .

(٤) يفسر « الغيار » .

(٥) في الأصل : « كفر توثا » . وماردون : قلعة مشهورة .

٢٦ ـ تَصُكُّ الهَوادي مَنكِبَيْهِ ورأسَهُ
فبالدَّمِ ، لِيتا عُنْقِهِ خَضِلانِ (١)

« الهوادي » : المتقدِّمات ، فاذا لحِقْنَ واستاقهنَّ ضربْنَه .

٢٧ ـ فلو لا يَزيدُ ، ابنُ الإمامِ ، أصابَني
قَوارعُ ، يَجنيها عليَّ لِساني (٢)

يقول هذا حين هجا الأنصار .

٢٨ ـ ولم يأتِني في الصُّحْفِ إلاّ نَذيرُكُمْ
ولو شِئتُمُ أرسلتُمُ بأماني (٣)

٢٩ ـ فآليتُ ، لا آتي نَصيبينَ ، طائعاً
ولا السِّجْنَ ، حتّى يَمضيَ الحَرَمانِ (٤)

أراد : شهرَيْ حرام .

٣٠ ـ لَيالِيَ لا يُجْدِي القَطا ، لِفِراخِهِ
بِذي أبْهَرٍ ، ماءً ، ولا بِحِفانِ

---

(١) المنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والليت : صفحة العنق . والخضل : الندِيّ المخضوب .

(٢) القوارع : جمع قارعة وهي الداهية الشديدة .

(٣) النذير : الانذار . يشير إلى إخبار يزيد إياه بما توعّده به معاوية لهجائه الأنصار .

(٤) نصيبين : مدينة في الجزيرة .

٩ ـ نِساءُ زَيدِ اللهِ تَردي،عُصَبا[١]

١٠ ـ يَعتَدْنَ بالجُوديِّ وَرداً، أُصْهَبا[٢]

« الجوديّ » : الجبل ، الذي جنحت عليه سفينةُ نوح .

١١ ـ خاظِي البَضيعِ ،لم يكنْ مُجَشَّبا

١٢ ـ كانتْ له سِنجارُ أُمّاً ، وأبا[٣]

« الخاظي » : المُكتنِزُ اللّحم . و « البَضيع » : اللّحم . و « المُجشّب » : الذي يأكل الطّعام الجَشِبَ ، وهو : الغليظ .

١٣ ـ ظلَّ يُفَدّيها ، إذا تَغَيَّبا

١٤ ـ أبْزَى بِها ، في خُرْتِها ، فَقَبْقَبا[٤]

فرجها[٥] .

---

(١) تردي : تجري .

(٢) في الأصل : « صبّها » . والتصويب من اليزيدي . ويعتدن : يزرن . والورد : رجل أحمر اللون . والأصهب : الأحمر .

(٣) في الأصل : « لهم » . والتصويب من اليزيدي . وسنجار : بلد في الجزيرة .

(٤) في الأصل : « أبزي » . وأبزى : خرج صدره ودخل ظهره . وقبقب : هدر .

(٥) يفسر : « خرتها » .

وعلى يده جواب كتاب الأمير حمزة يشكره والثناء عليه وتشريف له بنيابة السلطنة . . »[١].

وبعد هذه الخطوة وتلك المكانة التي تبوأها الامير حمزة من قبل دار السلطنة، وبعد الانتصار الذي حققه على أخيه الاكبر ناصر الدين علي بيك بخلعه من ديار آمد، التفت الى ديار ارزن الروم (ارزنكان) وكانت يومئذ لأخيه الأصغر يعقوب بيك وبإشراف جهانكير بن علي بيك. فاحتج عليه بأنه واطأ العساكر السلطانية وسلم إليها المدينة ولذا فإنه سائر إليها لأخذها وانتزاعها من تلك العساكر . . . وعندما التقى الجمعان خامر اكثر الامراء ممن مع حمزة وصاروا الى جهانكير فانهزم حمزة بعد حرب شديدة كانت بينهما وهو جريح في عدة مواضع . . »[٢].

ويبدو ان هذه الهزيمة لم تفقد حمزة الامل في العودة الى ارزنكان وتأديب ابن أخيه. فبعد أن اقتص من أمرائه الذين خامروه وتركوه في الوقعة، وبعد أن أعاد تنظيم القوات، عاود المسير. لكن في هذه المرة كان بخطى أسرع وبضربات اشد فتمكن من ابعاد جهانكير عن المدينة، فدخلها والحقها بممتلكاته. وعلى أثر ذلك اطلق عليه اسم متملك ماردين وارزنكان[٣].

واستتب أمر الملك لحمزة بيك . وساس البلاد الجزيرية طولاً وعرضاً بعد أن أناب فيها العمال والأعوان . ويقال أنه كلف هؤلاء ببذل الجهد والعطاء من أجل إعادة الحياة الى البلاد . فشهدت الفترة المتبقية من حياته هدوءاً واستقراراً شجعا السكان على القيام بأعمال الترميم والتعمير، وعلى تعاطي نشاطاتهم المعيشية بكل جد واهتمام من تجارية وزراعية وصناعية وخدمات . واستمرت هذه

---

(١) المقريزي، السلوك. . ، ٤: ٣: ١٠٦٩ حوادث سنة ٨٤٢ هـ .

ـ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة . . ، ١٥ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٢) المقريزي السلوك. . ، ٤ : ٣ : ١٠٧٢ حوادث سنة ٨٤٢ هـ ـ الجوهري، نزهة النفوس. . ، ٣: ٤٣٥ .

(٣) المقريزي، السلوك. . ، ٤: ٣: ١٠٥٥ ـ الجوهري، نزهة النفوس. . ، ٣: ٣٩٩ .

بنو تغلب ونمر فإنهم هبطوا جنوبها ، وكانوا على النصرانية ، فلما جاء الإسلام أكرهوا على أداء الجزية ، ويرجع إلى بني بكر بن وائل بنو حنيفة أصحاب اليمامة ، وكذلك جيرانهم بنو شيبان ، ممن يرجع أيضاً إلى ربيعة عبد القيس الذين كانوا يسكنون البحرين . أما مضر فكان في مقدمتها بنو قيس ، وقد بلغوا من القوة والمنعة منزلة حتى أنه سمي قيسياً كل عربي لم يكن يمانياً ، واليوم ليس من يتسمى بهذا الاسم إلا قبيلة صغيرة من أهل المدر ، نازلة على الفرات وهي تدفع الخوة لبني شمر[١] وفي شرقي هذه القبيلة يقطن بنو عدوان وهم يدينون لشمر أيضاً ، وكانوا ينزلون سابقاً جنوبي الحجاز ، بجانب بني فهم وهذيل[٢] ويرجع إلى حي قيس أيضاً هوازن وبني سليم ، وكانوا يقيمون في غربي ديار نجد في شرقي المدينة ومكة ، وفي أوائل القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) اشتد أمر بني سليم ومجاوريهم بني هلال الراجعين إلى هوازن وضاقت البلاد بعددهم العديد حتى خيف على المدينتين المقدستين من جهة الأمن فيهما ، فأكرهوا على المهاجرة ، فهاجروا إلى ديار مصر فهبطوا أولا دلتا النيل ، ثم اضطروا إلى مغادرته قسراً فذهبوا إلى الصعيد ، وفي سنة ٤٤٤ هـ رضوا بالذهاب إلى شمالي أفريقية على شرط أن يعطى كل منهم بعيراً وديناراً ، فأغلب بدو أفريقيا الشمالية يعودون في أصلهم إلى بني سليم وبني هلال ، وشهرة بني هلال معروفة إلى هذا العهد في شعر العامة في قلب بلاد العرب نفسها[٣] ، وكانوا يعيدون في السابق إلى أحلاف قبائل عامر بن صعصعة ، ومنهم كانوا أيضاً بنو كلاب وبنو قشير وبنو عقيل ، وما زالت بنو عقيل إلى زمننا هذا ذات شأن وخطر في بلاد نجد ، وهم باعة الأباعر إلى القوافل التي تظعن من ديار الشام إلى بغداد ، وهم خفراؤها أيضاً ، ومن عقيل خرج المنتفق ، وكانوا أصحاب عز ومنعة منذ القرن الرابع الهجري وهم لا يزالون كذلك إلى عهدنا هذا ، وديارهم جنوبي العراق .

ويشمل حي قيس بني غطفان ، وفيهم قبيلتان شهيرتان ، وهما عبس وذبيان وقد

---

(١) هذا ما كان قبل عشرين سنة ، ثم صارت قيس (وتلفظ الآن جيس) من أشهر العشائر وأقدمها . وبعد تحديد الحدود بين دولتي الشام وتركية ظلوا في شمالي الحد واستتركوا وانقطع أمرهم عن سكان البقاع الشامية .

(٢) هؤلاء ليسوا العدوان المعروفين في بلاد شرقي الأردن ، بل هم العدوان المنضمون إلى عشيرة الملّي الكردية في ناحية رأس العين من محافظة الجزيرة الفراتية .

(٣) وعلى وقائعهم نظمت القصة المعروفة باسمهم والمنتشرة في أيدي العامة كثيراً .

في سنة ١٦٠٦م الى سنة ١٦١١م استوزر في حلب حاكم من مدينة كوملخية اسم نصوح باشا . وفي سنة ١٥٥٩م كان قد اثار حرباً ضد محمد بن احمد الطويل واندحر ، وصار حاكماً في امد ثلاث سنوات (الى سنة ١٦٠٦) وهذا ، وان كان عاقلاً وعمر قرى كثيرة في نواحي ماردين ، الا انه كان طماعاً فجمع ذهباً كثيراً ، وتزوج من بنت شرف بك الكردي . وفي سنة ١٦١١م صار رئيساً للوزراء ، وذهب الى امد مدة سنة واحدة ، لكي يتوسط في الصلح بين الاناضول وكردستان . وكان اتباعه ظلاماً واشراراً ولذلك قتله السلطان سنة ١٦١٤م . وروى البعض انه مات .

ان المحلمية الآن يعدون زهاء اثني عشر او خمسة عشر الفاً ، ولا نظن الا انهم كانوا يوم اسلموا بنصف هذا العدد .

حدث هذا الحادث الهام في عهد سهدو بطريرك طورعبدين. وفي رواية ضعيفة اخرى ان ذلك جرى في عهد عبدو الهوزي الذي تجهل حتى رئاسته . اما التقليد الشعبي الذي يتناقله الناس في طورعبدين والذي مؤداه ان هذا الحدث كان في عهد البطريرك اسماعيل بطريرك ماردين ، فلا صحة له مطلقاً ، وليس الا رواية خيالية . وسببه ان اسم اسماعيل اصبح غير ذا قيمة في طورعبدين للشقاق الذي اثاره في الكنيسة بسوء ادارته . فنسب اليه اعداؤه هذا الحدث ايضاً ، وادعوا ان ذلك إنما حدث عندما منع هذا البطريرك أبناء هذا الشعب من تناول الطعام المحرم في الصوم

للجماعة الضاربة أطنابها بينهم عهدئذٍ ، فحرمهم البطريرك أو رفض قبولهم فاسلموا ؟

ان كنيسة مار جرجس في كفرشمع كانت عامرة سنة ١٤٥٧ وظهر من كفرشمع نفسها المفريان شمعون الاول بن شلوج سنة ١٥٤٩ ــ ١٥٥٥ . ودير مار يعقوب في كفرشمع التي ترهب فيه هذا المفريان كان عامراً سنة ١٥٨٣ م واخبرنا شيوخ ثقات ان اسلام المحلمية لا يرتقي الى اكثر من ثلاثمئة سنة .

الفصل الرابع والعشرون

حكام طورعبدين

في سنة ٦٤٠ (م) استولى عياض بن غنم على طورعبدين صلحاً ومنذ ذلك حكم المنطقة حكام امد المسلمون . واسماء حكام الجبل الخصوصيين مجهولة اسماؤهم . وأما الباقون فنعرف منهم :

١) بين سنتي ٩٨٤ ــ ٩٩٠ استولى عليه باد بن دوشنك ابو عبدالله الحسن الكردي . وخلفه :

٢) ٩٩٠ ــ ٩٩٠ ابن اخته الامير ابو علي الحسن بن مروان الكردي .

٣) ... ــ ١٠١٠ اخوه ممهد الدولة ابو سعيد منصور بن مروان

٤) ١٠١٠ ــ ١٠٦١ اخوه الامير نصر الدولة ابو نصر بن احمد بن مروان .

مكانه . ثم سار حسن الى العراق وولى اخاه القاسم شؤون ماردين وديار بكر واستنهضه ليعمّر ما تهدم ويجدد ما تقوض . فنقل الامير قاسم الى ماردين نيفاً وثمانين الف عائلة من نواحي توريز واذربيجان ورمّم المساجد والحمامات والاسواق والدور وشاد مدرسة غربي البلد عرفت بالقاسمية حتى يومنا ورتب لها الاوقاف وابتنى جامع التكيه وشادت زوجته الى جانبه مدرسة الخاتونية . واقام ابرهيم ابن اخته والياً على ماردين فدبرهـا سبعاً وثلاثين سنة . وعام ١٥٠٧ تولى امور ماردين اوستاجلو المعروف بمحمد كَرْونه فظهر عليه السلطان سليم خان الاول ابن السلطان بايزيد ١٥١٣ ـ ١٥٢٠ فامست ماردين مذ ذاك خاضعة للسلاطين العثمانيين ينصبون لها الحكام واحداً فواحداً

الفصل الثامن

الدولة العثمانية

وسنة ١٦٢١ اوفد السلطان مصطفى الى ماردين عيتابلي محمد آغا ليتولى شؤونها من قبله . وخلفه سبعة حكّام لم تطل مدتهم الا تسعة اعوام . وسنة ١٦٣٠ سمي يعقوب حاكماً لماردين فانشأ السراي الجديد شرقي البلد . وشدد الحكام بمده على النصارى . وانزلوا بهم النكبات والعقوبات فاضطر نصارى الصور والاحمدي واستل ورشمل وقباله وعشائر المحلية والراشدية والخاشنية ان يهجروا النصرانية ويدينوا بالاسلامية

ومذ عام ١٦٤٧ جعل حكام ماردين يراجعون وزراء بغداد

وفتح حصن كفرتوثا . . . ونصيبين بعد قتال . . . وفتح طورعبدين، وحصن ماردين ودارا على مثل صلح الرها . . . وكل ذلك حصل في سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين . . . »[1].

ـ وفتوح عياض لماردين ولسائرمدن الجزيرة أكدها ابن الفقيه الهمداني بقوله: « . . . قال الزهري: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب، على يدي عياض بن غنم. فتح حران، والرقة، وقرقيسيا، ونصيبين، وسنجار، وميافارقين، وكفرتوثا، وطورعبدين، وحصن ماردين، ودارا وقردى وبازبدى وارزن . . . »[2].

ـ وأيد جهود عياض في تلك الفتوح كل من ابن الاثير، وابن العبري، وابن شداد، وابن كثير، وابن خلدون، وأمثالهم[3]، ويستخلص مما ذكره هؤلاء المؤرخون، من أنه لما ولي عمر بن الخطاب أمر الخلافة ٦٣٤ ـ ٦٤٤ م/١٣ ـ ٢٣ هـ، أوفد إلى أبي عبيدة أن يعقد عقداً لعياض بن غنم، ويجهز معه الجيوش الى ديار ربيعة وديار بكر، فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل، وسار عياض يريد الجزيرة. ففتح بالس والرقة. ورأس العين وجيلين . . . وماردين . . . وغيرها، ثم أرسل الوليد بن عقبة فجمع بني تغلب النصارى في تلك الديار وطالبهم بالاسلام فأسلموا، في حين أطبق النعمان بن المنذر الغساني على الملك شهرياض صاحب رأس العين من قبل الروم وفاجاه بطعنة فقتلته. ثم حمل المسلمون على قرقيسيا، وملكوها، وكذلك استولوا على ماكسين والشماسية وعربان والمجدل والخابور. أما ارسوس بن جارس صاحب ماردين من قبل الروم فيقال أنه انهزم الى حران، وان

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٠ ـ ياقوت، معجم البلدان، ٥ : ٣٩.
ـ عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص ٥١٤ ـ ٥١٥.

(٢) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥ : ٥٣٤ ـ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ٣ : ٢ : ٥٤٥.
ـ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٠١ ـ ابن خلدون تاريخه، ٢ : ٤ : ٩٥٥

مثل صلح الرها وذلك في سنة ١٩ ، ووجه عياض الى قَرْقِيسِيَا حَبيب ابن مَسْلَمَة الفِهْري ، ففتحها صلحاً على مثل صلح الرَّقة ، وفتح عياض آمد بغير قتال على مثل صلح الرها ، وفتح مَيَّافارقين على مثل ذلك ، وفتح حصن كَفَرتوثا ، وفتح نَصِيبين بعد قتال على مثل صلح الرها ، وفتح طور عَبْدِين ، وحصن مَارِدِين ودارا ، على مثل ذلك ، وفتح قَرْدَى وبازَبْدَى ، على مثل صلح نَصِيبين ، واتاه بطريق الزَّوْزان فصالحه عن ارضه على اتاوة وكل ذلك في سنة ١٩ ، وايام من المحرم سنة ٢٠ ثمّ سار الى أرْزَن ففتحها على مثل صلح نَصِيبين ، ودخل الدرب فبلغ بَدْلِيس وجازها الى خِلاط وصالح بطريقها ، وانتهى الى العين الحامضة من ارمينية فلم يعدها ، ثمّ عاد فضمن صاحب بَدْلِيس خراج خِلاط وجاجها وما على بطريقها ، ثمّ انه انصرف الى الرّقة . ومضى الى حمص وقد كان عمر ولاه اياها ، فمات سنة ٢٠ وولى عمر سعيد بن عامر بن حِذْيَم ، فلم يلبث الا قليلا حتى مات ، فولى عمر عُمَير بن سعد الانصاري ففتح عين الوَرْدَة بعد قتال شديد .

وقال الواقدي : حدثني من سمع اسحاق بن ابي فَرْوَة يحدث عن ابي وهب الجَيشاني دَيلم بن المُوَسّع ، انّ عمر بن الخطّاب «رضه» ، كتب الى عياض يأمره ان يوجه عُمير بن سعد الى عين الوَرْدَة ، فوجهه اليها فقدّم الطلائع امامه ، فاصابوا قوماً من الفلاحين وغنموا مواشيَ من مواشي العدوّ ، ثمّ انّ اهل المدينة غلّقوا ابوابها ونصبوا

وفي سنة ١٠٦٢ يونانية (٧٥١ م) دك هذا الحصن رومي حاكم طورعبدين ، وهدم معاقله واحرق ابوابه بالنار ، لأنه وجد ان الحروب مستمرة وقاسية على المنطقة بسبب هذا الحصن الحصين .

وفي سنة ١٢٨٣ يونانية (٩٧٢ م) بني هذا الحصن للمرة الثالثة بيد هيثم[1] . ان حصن هيثم هذا اقيم في الجنوب الشرقي لطورعبدين ومن قراه المشهورة هي باسبرينا ، وسميت المنطقة في وقت بنائه باسم منطقة هيثم . وكان غنياً بالغلال . ذكر الامير شرف البدليسي في كتابه (الشرفنامة) ان معظم الغلال التي كانت ترد للامراء البختيين ، أي في القرن السادس عشر ، من منطقة هيثم هذه .

ويتحدث القس ادي السبريني في القرن الخامس عشر ، انه كان في قلعة هيثم والٍ ، وكان الاكراد والتركان وابناء الحصن يقتتلون في سبيله ، وفي سنة ١٤٦٢ م ، أخذ كور خليل قلعة هيثم من أحمد ابن نطفة .

وحدث المؤرخ القرتميني قال : في سنة ٨٠١ يونانية (٥٨٠ م) زحف الفرس واحرقوا دير قرتمين ، وفي سنة ٩١٦ يونانية (٦٠٥ م) دك حصن طورعبدين .

وخلاصة القول ، ليس لدينا مصادر تاريخية هامة في هذه المنطقة غير التي سجلت بالسريانية وبيد ابنائها ، وخاصة القس ادي السبريني

(١) ولا نعلم بالضبط متى دك هذا الحصن نهائياً .

٤ ـ قَضَيْنَ مِنَ الدَّيْرَيْنِ هَمًّا طَلَبْنَهُ
فَهُنَّ إلى لَهْوٍ ، وجاراتِها ، شُزْرُ (١)

« الشُّزر » : النَّواظر بمآخير عيونهنّ .

٥ ـ ويامَنَّ عَنْ سانِيْدَمَا ، وتَعَسَّفَتْ
بِنا العِيْسُ مَجهولاً ، مَخارِمُهُ غُبْرُ (٢)

٦ ـ سَوامِمُ ، مِن طُولِ الوَجِيفِ ، كأنَّها
قَراقِيرُ ، يُغَشِّيهِنَّ آذِيُّهُ البَحْرُ (٣)

يقال : وَجَفَ يَجِفُ وَجِيفاً ، وأَوْجَفَ إيجافاً .

٧ ـ إذا عَرَّقَ الآلُ الإكامَ عَلَوْنَهُ
عُنْتَمِتاتٍ ، لا بِغالٌ ، ولا حُمْرُ (٤)

---

(١) الديران : موضع . ولهو : اسم امرأة .

(٢) في الأصل : « سانيذما » . وسانيدما : اسم جبل بين ميافارقين وسعرت. وتعسفت : أخذت على غير هدى . والعيس : الابل يخالط بياضها صفرة . والمخارم : جمع مخرم وهو الثنية بين الجبلين . والغبر . جمع أغبر وهو الكدر اللون بالغبار .

(٣) السوام : جمع سامة وهي الضامرة المتغيرة اللون . والوجيف : ضرب من السير سريع . والقراقير : جمع قرقور وهو السفينة العظيمة . والآذي : الموج .

(٤) الآل : السراب في الضحى . والاكام : التلال . وقوله لا بغال ولا حمر أي : ليست بهجن كالبغال والحُمُر . وأسكن ميم حمر للتخفيف .

١٥٣ *

وقال : كان مرّ الأخطل ببني زيدِ [١] بنِ عمرو بنِ غنمٍ، فقالوا له : امدحنا . فقال :

١ - إنّ بني زيدٍ مليحو الشكل
٢ - كم فيهم ، من فَعْلَةٍ ، وفَعْلِ [٢]
٣ - يَخطرُ بالمنجلِ ، وسْطَ الحقْلِ [٣]
٤ - يومَ الحصادِ ، خَطَرانَ الفحْلِ

---

* انظر ب ص ١٦١ .

(١) زيد هو زيد الله ، أو زيد اللات . وهو اسم قبيلة من تغلب .

(٢) الفعلة : كناية عن حياء الناقة . والفعل : كناية عن الذكر .

(٣) يخطر : يمشي مزهواً ، وهو يرفع يديه ويضعها . والحقل: الزرع المخضر . انظر اللسان (حقل) .

المحتوى

AL-MUHALLAMIA

هذا الكتاب

محاولة علمية رائدة لتأصيل نسب
قبائل المحلمية الشيبانية في الجزيرة
الفراتية. تناول مع قضية النسب
تاريخ ديار بكر منذ قيام الإسلام
بشكل موثق وملتزم، من دون تزمت
أو انغلاق أو تعصب إنما في إطار
وحدوي حضاري عربي وإنساني.
كتاب جدير بالقراءة والاقتناء.